أساليب الغزو الفكري
للعالم الإسلامي

د. علي محمد جريشة
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

محمد شريف الزيبق
محاضر بكلية الدعوة وأصول الدين

بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

الطبعة الثالثة
١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته الى يوم الدين ...

أما بعـــد ـــ

فهذه الكلمات .. نسطرها فى المذاهب الفـكرية المعـاصرة .. لتكون زادا لطلاب الشريعة والدعوة .. بل زادا لكل صاحب دعوة .

وليس الحديث عن المذاهب الفكرية المعاصرة سهلا ... ان العصر يموج بنظريات ومبادىء تتنازع وتتصارع ، وان حروب السلاح أن هدأ أوارها ، أو وضعت أوزارها فلقد حلت محلهـا حروب الأفكار والعقائد ...

● فالغرب يرفع راية العلمانية التى حبست الدين بين جدران الكنائس ، وأبت عليه أن يكون له خارجها سلطان .

يرفع فى مجال الاقتصاد مبادىء الرأسمالية .

ويرفع فى مجال السياسة مبادىء الديموقراطية .

ويرفع فى مجال الاجتماع مبادىء الحرية والتحرر التى اقتربت من الفوضى الطاحنة القاضية على القيم والمثل والأخلاق .

ويغزو المجتمع الاسلامى بقيمه الجديدة ... ليبتعد به عن قيم الاسلام ومثله وفيها عزته وسعادته .

● والشرق الشـيوعى يرفع راية الاشـتراكية (العلمية) او الشيوعية ، يضلل بها الطبقات الساذجة ، ويمنيهـا بان الحـكم (للصعاليك) او طبقة البروليتاريا ـــ كما يسمونها ـــ ويمـارس ضلاله وتضليله فى الشرق الاسلامى ...

ويصطدم بعقيدته .. فيطور أسلوب دعوته أو « تكتيكها » .. ليخدع جماهير المسلمين .

● ووسط قيم الغرب الفاسدة ، وتضليل الشرق الـكافر .. تعيش جماهير المسلمين بعد ما اصابها من تخلف .. وبعد عن منهج

الله ... تعيش أكثرها بين التمزق والضياع وافتقاد القيادة الراشدة، تتلمس النور وسط السراب وتتحسس الطريق وسط الظلام، وما هى ببالغته حتى تعرف ما هو النور ... وما هو الطريق فتهتدى وتسلك ... وتسير على الدرب حتى النجاة .

وفى باب تمهيدى نتحدث بمشيئة الله عن الواقع الاليم الذى تعيشه أمة الاسلام بين التخلف والتمزق وأسباب ذلك ...

وفى الباب الأول نتحدث عما يجمع الغرب والشرق ، ثم عما يمارسه الغرب المسيحى فى الشرق الاسلامى .. قديمه وحديثه .

وفى الباب الثانى نتحدث عن الغزو الماركسى لبلاد الاسلام .. أساسه من المبادىء وزيف هذه المبادىء ، ثم ما يفعلونه بالمسلمين فى بلادهم ، وما يحاولونه خارجها كاشفين عن أسـاليبهم وتكتيكهم الجـديد .

وفى الباب الثالث نتحدث عن الصـهيونية أو (اليهودية العالمية) ومخططاتها وجمعياتها السرية لتخريب العالم ..

وفى الباب الرابع : نشير الى رد الفعل لغزو الشرق والغرب لبلاد المسلمين والحركات الاسلامية التى قامت مناهضة لذلك الغزو، ومافيها من قصور ، ثم نحاول أن نتبين النور والطريق ...

والله المستعان وعليه التكلان .

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

باب تمهيدى

واقع اليم :

الواقع اليم ينطق .. بتخلف الأمة الاسلامية .

ولم تكن كذلك :

لقد عاشت أكثر من ألف سنة .. فى مقدمة الأمم .. بل لقد عاشت فترة طويلة هى الأمة الأولى فى العالم كله .. يعمل لها ألف حساب ، ويطلب ودها ، ويسعى أمثال امبراطور ألمانيـــا للتقرب من خليفتها فيرســـل له الهدايا ..

وحملت فى خلال هذه الفترة حضارة الاسلام للدنيا كلها .. حملتها بالعلم والخلق قبل أن تحمل السيف فى وجه أعداء الاسلام ، ولم تكره على عقيدتها أحدا .. فان القرآن علمها أن « لا اكراه فى الدين »(١) . ، وانما دخل الناس فى دين الله أفواجا لمـــا رأوا صفاء العقيدة وسموها ، ولمـــا شاهدوا جمال الخلق ورفعته فأحسوا أن هذا الدين ينشىء نشأ جديدا .. يخرجهم من (عبادة العباد الى عبادة رب العباد . ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة) .

وما عرفه الغرب من تقدم .. كان نتيجة احتكاكه بالشرق الاسلامى .

ان نقطة البدء فى ذلك التقدم كانت حركة الاصلاح الدينى ، حيث ثار الناس على ظلم الكنيسة واضطهادها ، وثاروا على كثير من مفاهيمها المعقدة .. بعدما رأوا صفاء العقيدة الاسلامية ويسرها ، وسماحة الاسلام وســـمو خلقه ..

ثم كانت بذور النهضة الأوربية العلمية اخذا عن علماء المسلمين الذين تعلم الغربيون على أيديهم فى جزر البحر الابيض ، وفى الأندلس ، ومن قبل ذلك احتكوا بهم ابان الحروب الصليبية .

واذ بدأ الغرب فى نهضته ... بدأ الشرق الاسلامى فى كبوته .

وكان لذلك أسباب عديدة ... بعضها من انفسنا ، وبعضها خارج عن ارادتنـــا .

اسباب من انفسنا :

« وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير »(٢) تلك

---

(١) البقرة ٢٥٦
(٢) الشورى ٣٠

سنة الله فى أرضه ، وحكمه بين خلقه ... لا يخفض قوما بعد اذ رفعهم الا بما كسبت أيديهم ، ولا يغير بعد ذلك ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وهو ما حدث بالأمة الاسلامية .. حين داخلها شيء من الغرور أن الله اختارها ولن يستبدل بها .. ونسيت أن الاختيار مؤسس على أسبابه « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله(١) » وتحت هذه الشعب الثلاث يندرج الاسلام كله .

(أ) ان أول ما أصاب الأمة الاسلامية بعدها عن كتاب ربها وسنة رسولها .. ومحاولة الأخذ من غير هذين النبعين الصافيين الأصليين ، خاصة بعد ما أوتى الغرب شيئا من التفوق الحضارى على أساس مادى.

(ب) وصحب ذلك انهزام داخلى ... أصاب شعور الأمة ... أو بعضها .... فعدلت ما عند الناس بما عند الله ... ان لم يداخلها الوسواس أنه أفضل .

(جـ) وصحب ذلك ... التقليد والمحاكاة ....

ولم تكن تلك صفة الأمة الاسلامية .

بل ليست هذه صفة الأمم الأصيلة .

انها صفة القردة ... ان كانوا حيوانات ... أو كانوا ممن غضب الله عليهم ولعنهم وجعل منهم القردة وعبدة الطاغوت .

(د) ولازم ذلك كله الفرقة .

تفككت الدولة الواحدة وأصبحت دويلات(٢) ، وتصارع الحكام على الدنيا ، وأحلوا قومهم دار البوار ....

والفرقة دائما فرصة العدو للنفاذ ... ان الصف المتلاحم المتلاصق لا يستطيع عدوان يخترقه .. أما الصف المضطرب المختلف الممزق .. فاختراقه سهل ويسير والحزمة الواحدة قوية قد تستعصى على الكسر .. أما العيدان المتفرقة فكسرها سهل يسير .

(هـ) وأعقب ذلك كله .. تخلف عن مواكبة العصر ... فيما وصل اليه من أبحاث علمية تجريبية ... وما فرض من اغلاق باب الاجتهاد ... مما جر على المسلمين بعد ذلك ... ان ينقلوا عن غيرهم ... فينقلوا الغث مع السمين بل ينقلون الغث أكثر مما ينقلون السمين ، وهكذا رأينا ثمار البعثات الخارجية ... اخذا بقشور المدنية الغربية وفسادها دون اخذ بلبابها .

---

(١) آل عمران ١١٠

(٢) انظر كيف تفككت الامة الاسلامية الواحدة الى دولة المغول الاسلامية فى الهند ودولة فارس ، والدولة العثمانية ، ودولة المماليك فى مصر .

وانظر كيف هى الآن اشد تفككا — وكيف تقوم فيها دول هى بالنسبة للاخرى بمثابة احياء فى مدينة .

أما الأسباب الخارجة عن أنفسنا :

فهى التى فرضها أعداء الاسلام على المسلمين .

وكانت نتيجة لتخطيط أثيم بدأ منذ الحروب الصليبية ... وانتهى الى الحرب الضارية التى تمارس الآن على العالم الاسلامى ، ولكن بأسلوب جديد ... وهو موضوع هذه الدراسة باذن الله .

وقبل أن نغادر هذا الباب للحديث عن غزو المسلمين .. نشير الى أنه رغم الضراوة الشديدة التى يمارسها أعداء الاسلام ... فلا يزال الحل بأيدينا ...

لايزال بأيدينا النور ...

ولا يزال أمامنا الطريق ...

وبعد ذلك فلقد خص الله هذه الأمة .....

فجعلها قلب العالم كله من كل ناحية .

● من ناحية المكان .. هى مركز الدائرة بالنسبة للعالم كله ، وهو ما يجعل لها مركزا استراتيجيا خطيرا لا يتوفر لأية أمة أخرى (١) .

● من ناحية الثروات .. فلقد جمع الله فيها أنواع الثروات الأرضية بما يحقق اكتفاء ذاتيا ، وبما يحقق حاجة العالم كله اليها .

وليس الأمر قاصرا على البترول . .وتكفى هذه الاشارة .

● من ناحية الخامة البشرية ... فان الدراسة المنصفة للطبيعة البشرية وخصائصها تجعل لهذه الأمة من الخصائص البشرية ما ليس لأمة أخرى وبذلك تتحقق الوسطية لهذه الأمة على اختلاف وجوهها .
وصدق الله العظيم :

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (٢) .

وقبل ذلك وبعد ذلك ما قلناه من نور .

ومن طريق .... وهو ما نشير اليه بمشيئة الله فى نهاية البحث كله .

---

(١) سجل الدكتور حسين كمال الدين الاستاذ بكلية الهندسة بجامعة الرياض فى بحث علمى هام أن الكعبة المشرفة هى المركز لدائرة العالم كله ، بحيث لو أردنا رسم دائرة للعالم لكان لزاما وضع السن على الكعبة المشرفة ليمكن رسم هذه الدائرة .
(البحث قدم لمؤتمر الفقه الاسلامى المنعقد بالرياض فى ذى القعدة ١٣٩٦) .
(٢) البقرة ١٤٣

توطئـــــة

تقوم الحضارة الغربية الحديثة على أساس من فكر فلسفى أرسى قواعده أمثال .. ديكارت .. صاحب منهج البحث الاستنباطى ، وفرنسيس بيكون، صاحب المنهج التجريبى ، وكومت ، مؤسس المذهب الوضعى .. وهو فى جملته فكر مادى .. نتج عنه بعد ذلك فى أمريكا مذهب البراجمـــاتزم أو المذهب العلمى ، وهو الذى ساد الفكر الأمريكى منذ القرن الماضى .

وتقوم الماركسية كذلك على أساس من فكر مادى يعطى المـــادة كل شىء ويفسر التاريخ على أساس منها .. وقد أخذ كارل ماركس عن غيره من فلاسفة الغرب ــ كماسنشير بتفصيل فى موضعه باذن الله .

ولئن بقى فى الغرب أثارة من دين وسط التيار المادى العارم .. فانها « غلالة » رقيقة لا نحسب انها ستصمد طويلا .. ودليل ذلك احصائيات كثيرة .. ودليله كذلك لجوء رجال الدين فى الولايات المتحدة من أجل ترويج بضاعتهم الى وسائل لا تتفق أبدا مع الدين .. وهو ما يحدث من دعوتهم الشباب من الجنسين عقب الصلوات الى حفلات راقصة .. تخفت فيهـــا الأنوار .. وتتلاصق الأجساد ، وتنطلق الأنغام خافتة حالمة ... توقظ الرغبة وتشعل الشهوة .

وبقايـــا الحمية الدينيـــة عنـــدهم .. لم تعد تظهـــر ازاء الانحـــرافات الخطيرة الواقعة فى مجتمعاتهم والتى تهدد مجتمعهم نفســـه بالتصـــدع والسقوط .. وانما تظهر فقط ازاء الأديان الأخرى .. وبالتحديد ازاء كل تجمع أسلامى يبغى اعادة مجد الاسلام ــ كما سنبينه من خلال هـــذا البحث .

وقيام الشرق والغـــرب رغم اختلافهما الظاهر ــ على أســـاس فكرى واحد(١) أمر يستلفت النظر ويوحى بالتساؤل . تماما كما تشهد فى طريقك بناءين مقامين على تصميم هندسى واحد . فتشهد ان المصمم واحد .. أو أنهما خريجا مدرسة واحدة .. وكما نشهد خلق الله .. فنجد من كل زوجين اثنين ــ الانسان فيه الذكر والانثى .

---

(١) التفكير المادى العلمى ينقسم الى اتجاهين :

ــ الاتجاه الميكانيكى Mechanistie Materialisme وهو اتجاه مادى لا يرى وجودا للروح أو العقل فضلا عن أن ينسب اليهما تدبير الجسم .

ــ الاتجاه المادى الديالكتيكى Dialecae Maerialisme ويرى أن وجود الروح والعقل تابع لوجود المادة ، والاتجاهان بذلك ينكران الغيب أو يستبعدانه . للدكتور البهى ــ ص٨٦ الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى .

الحيوان فيه الذكر والانثى .

النبات فيه الذكر والانثى .

الجماد فيه الموجب والسالب . كما في الكهرباء .. والمغناطيس .. والذرة ...

فنخرج من هذا .. ان الخالق الصانع .. واحد .. سبحانه وتعالى ..

قيام المعسكرين المتنازعين على أساس فكرى واحد أمر يستلفت نفس النظر ويوحى نفس التساؤل ...

وننظر .. فنجد .. كارل ماركس من أصل يهودى(١) .

ونجد الثورة البلشفية قد مولت بأموال يهودية(٢) .

ونجد كثيرا من القيادات الشيوعية يهودية الأصل(٣) .

ونجد الشعار الشيوعى هو الأفعى الرمزية .

وهى رمز للامة اليهودية ، وبداخلها النجمة السداسية وهى شعار اليهود كذلك(٤) .

وننظر الى الغرب ... فنجد فكرة فصل الدين عن الدولة من عمل اليهود (٥) .

ونجد الحروب الصليبية(٦) وبعض الحروب العالمية من عملهم كذلك(٧) .

ونجد بصماتهم فى وعد بلفور ، وفى الاعداد لدولة اسرائيل ، وفى الاعتراف بدولة اسرائيل ، والتدخل لمساعدتها ...

كما نجد هذه البصمات .. فى مقتل جون كنيدى ، وفى عزل نيكسون ، (وهما من رؤساء الولايات المتحدة السابقين) ، وفى بعض الأحداث فى المنطقة الاسلامية والعربية .

ونعود الى الأساس الذى بنى عليه الفكر الغربى والماركسى ((المادة)) .

فنجد التشابه بينه وبين ما يؤمن به اليهود ... وكل اناء بما فيه ينضح ... أن القرآن وصفهم ((ولتجدنهم احرص الناس على حياة(٨) أى حياة ولو كانت رخيصة ... لان المادة ثقلها فى نفوسهم وقلوبهم .

وانتشار الأساس المادى .. يؤدى الى : الصراع على المادة ، ثم يؤدى الى الانزلاق فى الشهوات ..

وكلا من الأمرين من سياسة اليهود .. ((كلما أوقدوا نارا للحرب اطفاها الله .. ويسعون فى الأرض فسادا ... والله لا يحب المفسدين))(٩) .

---

(١) الشيوعية والانسانية فى شريعة الاسلام للاستاذ عباس محمود العقاد ص ٣٣ ، ٤٣
(٢) ، (٣) محمد خليفة التونسى ـ الخطر اليهودى ـ الطبعة الرابعة ص ٦٨ ، ص ١١٠
(٤) سرجى نيلوس ـ ترجمة البروتوكولات ، المرجع السابق ص ٤ ، ٢٤ ، ٢١٣ ومابعدها .
(٥) ، (٦) وليام غاى كار ـ احجار على رقعة الشطرنج ـ ١٣ تشرين ١٩٥٨ م
(٧) محمد خليفة التونسى ـ المرجع السابق .
(٨) البقرة ٩٦
(٩) سورة المائدة/٦٤

وما نود بعد ذلك أن نخوض فى مدى سلامة البروتوكولات التى نشرها سرجى نيلوس لأول مرة فى سنة ١٩٠٢ بعد أن وصلت اليه — كما ذكر — فى سنة ١٩٠١ فانها من ناحية السند ضعيفة .. اذ لم يعرف مصدرها الحقيقى حتى الآن(١) .

ولكن الأحداث التى جرت والتى تجرى قد تؤكد صحتها وسلامة نسبتها مما يشعر معه الانسان أنه أمام ما قد يسمى بالحقائق المسلمة .

ووقوع الأحداث التى توقعها ناشرها بعد نشرها بفترات أقلها خمسة عشر عاما وأطولها ما يقرب من الخمسين .. يلقى ظلالا على صحة هـذه الوثائق .. فقد تنبأ نيلوس ان يحاول اليهود الاستيلاء على السلطة فى روسيا .. وتم لهم ذلك بعدها بحوالى خمسة عشر عاما . وتنبأ نيلوس ان تحاول الأفعى اقتحام الاستانة قبل أن تقوم دولة لليهود(٢) .

وألغيت الخلافة الاسلامية فى سنة ١٣٤٢ هـ .. وكانت « اليد الخفية » تعمل فى الظلام على تحطيمها .

وقامت دولة اسرائيل سنة ١٣٦٧ هـ .. واعترفت بها أمريكا .. وأعقبتها روسيا فى يوم واحـد .

ومع ذلك كله فيبقى احتمال وجود اليهود وراء الفكرين الغربى والشرقى ... من الناحية العلمية .. مجرد احتمال .. وان كان احتمالا راجحا — لكنا نأخذه بحذر حتى لا نقع فى «التهويل» كما لا ينبغى أن نقع فى «التهوين» فكلاهما تطرف غير سليم .. كلاهما افراط وتفريط .. وتبقى الاحتمالات الأخرى قائمة .. وان كانت مرجوحة — ومن بينها ان يكون الانتكاس قد أصاب الفطرة الانسانية .. فى الشرق والغرب .. فى وقت واحد .. فقامت فلسفتهما وفكرهما على أساس أن :

« لا موجـود الا المـادة »(٣) .

وهذا الأساس بغير اغراق فى الجانب الفلسفى — ليس صحيحا على اطلاقه اذ لا شك بوجود أشياء غير المادة ... فالفكر والفهم ليس أمـرا ماديا .. وهو موجود .... والمشاعر والعواطف ليست أمرا ماديا ... وهى موجودة ...

والله سبحانه وتعالى .. ليس شيئا ماديا وهو سبحانه وتعالى موجود .

....

ولا يلزم للوجود أن تدركه الحواس بالبصر .. أو باللمس .. أو بالشم .. كما يذهب أكثرهم فان الادراك بالاثر .. أقوى وأشـد ، فانت لا ترى

---

(١) تعلمنا علوم السنة علما جليلا لم يصل اليه بعد علم الغرب وهو علم الرجال وما يتعلق بهم من جرح وتعديل ، وهو علم دقيق بالغ الدقة .. وتطبيق قواعده لمعرفة سند البروتوكولات الى ابناء صهيون قد يؤدى — حتى الآن — الى استبعادها .. لكن الاحداث تؤيد وترجح صدق ما جاء فيها اى صدق نسبتها .

(٢) سرجى نيلوس — المرجع السابق ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٣) الزميل الكبير الدكتور جعفر ادريس فى محاضرة قيمة له عن المادة — غير منشورة .

الكهرباء .. ولكن تدرك أثرها .. وهو النور وأنت لا ترى الروح .. ولكن تدرك أثرها .. وهو الحياة ..

ثم اذا تدرجت مع الماديين وساءلتهم .. من الذى أوجد المادة .. فسيتدرجون معك . حتى يتدرج مثل « دارون » الى الخلية الأولى ... وتقول له ومن الذى أوجد الخلية الأولى ، سيسكت بعضهم .. وسيقول آخرون .. المصادفة .. أو الطبيعة والساكتون أراحوا واستراحوا .

والقائلون بالمصادفة أو الطبيعة ندع فريقا آخر يرد عليهم .

* ان القول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاقي شبيه في مغزاه بأن نتوقع اعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدفي يقع في مطبعة(١) .

* او جلس ستة من القرود على آلات كاتبة ، وظلت تضرب على حروفها لملايين السنين فلا يستبعد أن نجد من بعض الأوراق التى كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير ، وكذلك كان الكون الموجود الان نتيجة عمليات عمياء ظلت تدور فى المادة لبلايين السنين(٢) .

* ولو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه فان معنى ذلك أن يتمتع بأوصاف الخالق ، وفى هذه الحالة سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الاله .. وهكذا ننتهى الى التسليم بوجود الاله ، ولكن الهنا هذا سوف يكون عجيبا .. الها غيبيا وماديا فى آن واحد .. اننى أفضل أن أؤمن بذلك الاله الذى خلق العالم المادى وهو ليس بجزء من هذا الكون بل هو حاكمه ومدبره ... بدلا من أن أتبنى هذه الخزعبلات ...(٣) .

ويعقب القرآن على تلك القضية ، ويصفها فى تساؤل جميل :

* (أم خلقوا من غير شىء .. ؟ أم هم الخالقون .. ؟

أم خلقوا السموات والأرض .. ؟ بل لا يوقنون ؟)(٤)

وفى مكان آخر تساؤل آخر :

(أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ... أءله مع الله ... ؟ بل هم قوم يعدلون .

(أمن جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا .. أءله مع الله .. ؟ بل أكثرهم لا يعلمون .

(أمن يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض. أءله مع الله ... ؟ قليلا ما تذكرون .

---

(١) البروفسور ايدوين كونكلين .
(٢) هكسلى .
(٣) جورج ايرل ديفس اقرأ تفصيلا وعرضا جميلا فى كتاب الاسلام يتحدى — مدخل علمى للايمان تأليف وحيد الدين خان وتقديم ومراجعة عبد الصبور شاهين — الطبعة الثالثة المختار الاسلامى ١٩٧٣ م .
(٤) سورة الطور ٣٥ ، ٣٦

(أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ... أءله مع الله .. ؟ تعالى الله عما يشركون .

(أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض ...

أءله مع الله ... ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)(1) .

---

(1) سورة النمل ٦٣ ، ٦٤

الباب الأول
الإتجاه الغربي

الفصل الأول :
مراحل الغزو الفكري الغربي

الفصل الثاني :
التغيير السياسي والاجتماعي
في المنطقة الإسلامية

الفصل الثالث :
ماذا يفعل بنا الصليبيون

الفصل الأول
مراحل الغزو الفكري الغربي

مقـــــدمة :

وجود الغرب المسيحى هنا فى شرقنا الاسلامى لم يكن صدفة •• بدأ بالوجود المادى العسكرى •• وتبعه الاستشراق والتبشير (الوجود المعنوى) •• واعقبه مرة أخرى الوجود العسكرى (الاستعمار وتقطيع أوصال دولة الخلافة الاسلامية) ثم اعقبه بث فكرة فصل الدين عن الدولة ، وفكرة القومية ، ثم الاجهاز على الخلافة الاسلامية ، واخيرا •• حين رحلت جنوده •• ابقى له جنودا آخرين •• من جلدتنا ويتحدثون بلساننا وبهم أجرى التغيير السياسى المطلوب ، واجرى التغيير الاجتماعى المقصــود •

ولنحاول ان نقسمها الى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى :

مرحلة ما قبل اسقاط الخلافة الاسلامية ونتحدث عنها فى مبحث أول •

المرحلة الثانية :

مرحلة الاجهاز على الخلافة الاسلامية ونتحدث عنها فى مبحث ثان •

المرحلة الثالثة :

مرحلة ما بعد اسقاط دولة الخلافة ونتحدث عنها فى مبحث ثالث •

المبحث الأول

مرحلة ما قبل اسقاط الخلافة الاسلامية

وتبدأ بالحروب الصليبية ثم الاستشراق ، ثم التبشير .

أولا : الحروب الصليبية :

لسنا نكتب تاريخا .. ولكننا نستخلص عبرا .. من الحقائق التاريخية المسلم بها فمن هذه الحقائق ان الغرب جزد حملات غزت الشرق الاسلامى باسم الصليب وتحت رايته ، وكان رجال الكنيسة فى أوروبا يدفعون الملوك والشعوب الى هذه الحروب[1] ، فاتخذت بذلك طابعا دينيا شكلا وموضوعا ، وكان تفرق المسلمين الى دويلات .. وضعف دولتهم مشجعا لهم على ذلك الغزو .. وليس صحيحا ما يحاول بعض الكتاب العرب تصويره من أنها كانت مجرد حملات استعمارية

---

(١) أول من دعا الى هذه الحروب الصليبية ــ كما يقول صاحب كتاب حاضر العالم الاسلامى هو البابا سلفستر الثانى سنة ١٠٠٢م ولكنه لم يوفق،ثم البابا خريغوريوس سنة١٠٧٥م لكنها تأخرت حوالى عشرين سنة حتى سنة ١٠٩٧ ــ وكان كتاب النصارى ومفكروهم يحرضون عليها كذلك نذكر منهم : هلتون ساتيتو ، ومارينو ، بيين ديبوا ، جيلوم دى نوجارى ،ريموند لول بتراك .

وفى كتاب تاريخ البابوات تأليف السيد فرناند هايوارد بيان كيف الب البابوات ملوك أوربا لحرب المسلمين وكيف حاولوا بأنفسهم قيادة هذه الحروب الصليبية .. راجع حاضر العالم الاسلامى تأليف لوثروب ستودارد ، نقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهض وعلق عليه تعليقات مستفيضة الامير شكيب ارسلان ــ دار الفكر الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م ص ٢١٨ وقد كتب كارلس الثامن الى رئيس فرسان رودس يكاشفه بما نواه من نشر الديانة المقدسة الكاثوليكية وتحرير المسيحيين مما هم فيه من الخنوع للامية الجاحدة وواسترداد الاراضى المقدسة المغصوبة فأجابه رئيس الفرسان متيمنا مؤملا هذه المرة **استئصال شافة الامة الملعونة أمة محمد** ص ٥٩ من كتاب مائة مشروع لتقسيم تركيا ــ تأليف المسيو دجوقارا (الامانى المرجع السابق ص ٢٢٨) .

ويشير المؤرخون الى أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس فى ١٥ يوليو ١٠٩٩ م الموافق ٣ رمضان ٤٩٣ ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الخيل الى صدورها فى الدماء وفى انطاكية قتلوا فى الطريق أكثر من مائة ألف مسلم .

راجع حاضر العالم الاسلامى . وراجع كذلك جوستاف لوبون فى كتابه : حضارة العرب ..

باحثة عن المصالح الاقتصادية •• نعم •• قد يكون الاستعمار والاستغلال الاقتصادى من أهدافها ، لكنه بالتأكيد ليس الهدف الأول الرئيسى ، انما كان هذا هدفا دينيا •• ولم تكن حماسة رجال الدين المسيحى ولا مشاركتهم فى هذه الحملات عفوا ولا لغوا ، ولكنه كان قصدا الى الانتقام من غزو الاسلام لقلب أوربا ، حتى صار البحر الأبيض المتوسط بحيرة اسلامية خالصة ، وحتى بلغ المسلمون جنوب فرنسا •• ثم قصدا بعد الانتقام الى ادخال المسلمين فى المسيحية ذاتها ، وهو ما ستفسره المرحلة التالية لهذه الحروب •• والأمران يفسرهما قول الله سبحانه وتعـــالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم[1]) وقوله : (ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا[2]) وقد يكون صحيحا ما اشـــار اليه كاتب أمريكى[3] ، من أن اليهود كانوا وراء الحروب الصليبية •• قصدا الى اضعاف العالمين المسيحى والاسلامى كما أشار ، ثم تحقيقا لمزيد من الكسب والربا اثناء تلك الحروب ••

لكن لو لم يحركهم اليهود •• لتحركوا كذلك •• فان ما بدا منهم فى تلك الحروب ينم عن حقد دفين ، وما تخفى صدورهم أكبر •

العصمة فى الاسلام للأمة لا للامـــام :

ولئن كانت الدولة الاسلامية فى ذلك الحين مفككة الأوصال •• فلقد جعل الله من معجزات دينه بعد القرآن •• هذه الأمة •• فلقد حولها القرآن بحق خير أمة أخرجت للناس ، حتى صح ما قيل من ان العصمة فى الاسلام للأمة لا للامام •• اخذا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع أمتى على ضلالة » ، ثم استمدادا من أحداث التاريخ التى ظلت معها الأمة الاسلامية صامدة شامخة •• برغم ما وجه الى صدرها وقلبها من سهام وحراب •• ! •

إنتفضت الأمة لـــا رأت الصليب فوق رءوس أعدائها •• انتفضت تحارب أعداء الله واعداءها بكل سبيل ، واسترخصت الدم والروح فى سبيل الله •• وتعجلت لقاء الله وجنته •• فاعطاها الله الحسنيين •• النصر والجنـــة •• وارتدت حملات الصليب على إعقابها خاسرة بعد

---

(١) البقرة ١٢٠
(٢) البقرة ٢١٧
(٣) الكاتب الأمريكى وليام غاى كار .

معارك طاحنة استمرت قرنين كاملين •• وفى قصص التاريخ لبطولات المسلمين فى هذه الحروب •• وتفننهم فيها •• ما يحتاج الى ان يكتب بأحرف من نور •

وبرز نور الدين الشـــهيد محمود بن زنكى التركى •• ثم برز صلاح الدين الأيوبى •• الكردى •• وغيرهما ممن قادوا جماهير الأمة الى النصر •• لتثبت عالمية هذه الدعوة فلا فضـــل لعربى على اعجمى الا بالتقوى وجاهد جماهير من التركستان الحبيبة (التى ترزح تحت الالحاد الشيوعى المجرم) وحرروا أرض الاسلام من جحافل الصليبية الحاقدة •• بينما لم يجد هؤلاء من يقف الى جوارهم يوم أعدمت روسيا منهم ثلاثة ملايين •• !

وايقن الغرب المسيحى أنه مهما ضعفت دولة الاسلام •• فانه لن يستطيع النيل منها ومن أمتها •• حتى ينال •• أولا عقيدتها •• وفكرهـــا ••

وكانت المرحلة الثانية ــ مرحلة الاستشراق والتبشير •

ثانيا : الاستشراق :

وقبل ان يظهر التبشير •• كبديل عن الحروب لتحطيم عقيـــدة المسلمين وفكرهم نشير الى أن الحروب الصليبية انتجت كذلك انتاجا فكريا (هو الاستشراق) •• اذ نفر قوم من الغربيين يدفعهم التعصب الصليبى الى الكتابة عن الاسلام فافقدهم التعصب أمانة العلم ، وعمدوا الى تشويه الاسلام من عدة نواح :

ــ فرددوا أن القرآن من وضع محمد عليه الصلاة والسلام ، وان سذاجة الصحابة وايمانهم دفعهم الى نقله على أنه من عند الله •

ــ وخلطوا فى مصادر الاحكام الاسلامية بين المصادر الالهية (القرآن والسنة) وبين الاجتهاد •• ونظروا الى الجميع على أنها من صنع البشر فسووا بينها فى المنزلة !

ــ ودعوا الى التصوف الاسلامى لمـــا يؤدى اليه فى أكثر الاحيان من صرف أصحابه عن الجهـــاد وهو أكثر ما يثير الصليبيين ويفزعهم (راجع الصوفية فى الاسلام للمستشرق نيلكسون ص ٧ ، ٨) •

وقــد بدأ الاستشراق فى الأندلس (اسبانيا) فى القرن السابع الهجرى ، حين اشتدت حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين •• فدعا (الفونس) ملك قشتالة ميشيل سكوت ليقوم بالبحث فى علوم المسلمين وحضارتهم ، فجمع سكوت طائفة من الرهبان فى بعض الأديرة بالقرب من مدينة طليطلة وشرعوا يترجمون بعض الكتب من اللغة العربية الى لغة الفرنجة ثم قدمها سكوت لملك صقلية الذى أمر باستنساخ نســخ منها وبعث بها هدية الى جامعة باريس •

وكذلك قام رئيس أســاقفة طليطلة ريمون لول بنشــاط كبير فى الترجمة ، ومع الزمن توسع الأوربيون بالنقل والترجمــة فى مختــلف الفنون والعلوم من الهيات وطب وهندسة وفلك وغيرها ، وبعد اختراع الطباعة أنشئت فى أوربا مطابع عربية لطبع عدد من الكتب التى كانت تدرس فى المدارس والجامعات الأوربية •

ولم يكن عمل المستشرقين منفصلا عن عمل المبشرين بل كانت مهمة كل من الطائفتين تدخل فى الأخرى • وكان فشــل الصليبيين فى حملاتهم المتوالية على الشرق الاسلامى دافعا للمزيد من الاهتمام بالثقافة الاسلامية ، وقد ظهرت أخيرا وثيقة خطيرة تلقى الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكرى الى الغزو الفكرى ، وهذه الوثيقة تتضمن وصية (القديس) لويس ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة التى انتهت بالفشل والهزيمة ووقوع (لويس) فى أسر المصريين فى مدينة المنصورة ، وقد بذل الملك لويس فدية عظيمة للخلاص من الأسر ، وبعد أن عاد الى فرنسا أيقن أنه لا سبيل الى النصر والتغلب على المســلمين عن طريق القــوة الحربية ، لأن تدينهم بالاسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس فى سبيل الله لحماية ديار الاسلام وصون الحرمات والأعراض به والمسلمون قادرون دوما للانطلاق من عقيــدتهم الى الجهاد ودحر الغزاة • وأنه لابد من سبيل آخر ، وهو تحويل التفكير الاسلامى وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى • بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الاسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذى يغزون به (الفكر) الاسلامى ، وهكذا تحولت المعركة من ميــدان السلاح الى معركة فى ميدان العقيدة والفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة التى تحمل طابع الجهاد وتدفع المؤمنين الى الاستشهاد •

وقــد سار الأوربيون فى طريق تنفيذ وصية القديس لويس فى

تزييف العقيدة الاسلامية وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وايمان عن طريق التفرقة بين العقيدة والشريعة ، وتصوير الاسلام بصورة الدين الذى يبذل غاية همه فى العبادة كالمسيحية ، الى أن وصلوا الى الفصل بين الدين والدولة ، وفقد المسلمون ذلك السر الخطير الكامن فى أصالة عقيدتهم وجوهر دينهم[1] .

ويرى كثير من الباحثين أن الاستشراق تولد من الاستعمار والتبشير .

فالاستعمار : يرى فى المفهوم الاسلامى السليم ما يعطى المجتمع الاسلامى قوة تحول بينه وبين سيطرة الاستعمار ، فعمل المستشرقون على تقويض العقيدة الاسلامية ، واحلال مفاهيم تحل الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوبة .. محلها ، تحت اسم : الحضارة ، أو العالمية ، أو وحدة الثقافة والفكر البشرى .

وأما التبشير فانه يستهدف الحيلولة دون توسع الاسلام وانتشاره ، وعدم منافسته للمسيحية فى البلاد التى تحاول القيام بالتبشير ونشر المسيحية فيها .

والخطر الأكبر فى نظر المبشرين هو فى وصول مفاهيم الاسلام الصحيحة الى عالم الغرب نفسه ، ومما يذكر أن المسلمين لما فتحوا مدينة القسطنطينية — عاصمة الدولة الرومانية الشرقية ، وفيها مركز البابوية للكنائس الشرقية — هب رجال الكنيسة وقد هالهم الخطب العظيم ، فأخذوا فى الافتراء والتشنيع على الاسلام وتشويه أحكامه الالهية العادلة ، وكان الدافع لهم فى هذه الحملة الحيلولة بين رعاياهم الذين أقبلوا على الدخول فى دين الله أفواجا ، ليصدوهم عن الاسلام الذى يبيح تعدد الزوجات والطلاق .

وجاءت الصهيونية فدخلت ميدان الاستشراق لتحول دون اجتماع المسلمين فى وحدة تقاوم اليهودية العالمية ، وتواجه دولة اليهود الباغية (اسرائيل) ، والمستشرقون اليهود يعملون فى هذا المجال .

---

(١) (الاسلام فى وجه التغريب : مخططات الاستشراق والتبشير) للاستاذ انور الجندى ص ٧ ، ٨

تطــور الاستشراق

وفى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى (أواخر القــرن الثامن عشر الميلادى) عمد المستشرقون الى تغيير أساليبهم وأرادوا أن يظهروا بمظهر جديد هو ما زعموه من تحرير الاستشراق من الاغراض التبشيرية ، والاتجاه به وجهة البحث العلمى البحت •• فأنشئت كليات لتدريس اللغات الشرقية فى عواصم أوربا مثل لنــدن وباريس وليدن وبرلين وبطرسبرج وغيرها ، وظهرت فيها أقسام خاصة لدراسة اللغة العربيــة وبعض اللغات الاسلامية كالفارسية والتركية والأردية وكان الغرض الأول منها تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء فى الشئون الاسلامية ، ثم أخذ الطلاب المسلمون يؤمون هذه الكليات الأوربية للدراسة فيها ، وبذلك تأثر الفكر الاسلامى بما يلقيــه المستشرقون فى أذهان هــؤلاء المبعوثين من أبناء المســلمين •• ثم تسلل المستشرقون الى الدوائر العلمية والجامعات فى الدول الاسلامية ، بل الى المجامع العلمية فى القاهرة ودمشق وبغــداد ، وقامت المؤسسات الدينية والســياسية والاقتصادية فى الغرب بما كان يقوم به الملوك فى الماضى من الاغداق على المستشرقين ، وتقديم المنح والمعونات لهم •

وقد أنشأت الدول الاستعمارية عدة مؤسسات فى البلاد الاسلامية التى خضعت لنفوذها لخدمة الاستشراق ظاهريا ، وكان هدفها الحقيقى خدمة الاستعمار والتبشــير الكاثوليكى والبروتستانتى ، من هــذه المؤسسات فى مصر : المعهد الشرقى بدير الدومينيكان ، والمعهد الفرنسى ، وندوة الكتاب ، ودار السلام ، والجامعة الأمريكية ، وفى لبنــان : جامعة القديس يوسف (وهى جامعة بابوية كاثوليكية وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية) والجامعة الأمريكية ببيروت ، (وكانت تسمى من قبل الكلية السورية الانجيلية وهى بروتستنتية) ، وفى سورية : مدارس اللاييك ، والفرير ، ودار السلام ، وغيرها •• وهكذا فى كل الاقطار الاســلامية ••

أهــداف المستشرقين

أولا : الحيلولة بين الشعوب النصرانية وبين الاسلام ، فقد عمل المستشرقون على تشويه الاسلام وحجب محاسنه لاقناع قومهم بعدم صلاحيته لهم نظام حياة ، ولعل هذا هو أخطر الجوانب التى قام لأجلها

الاستشراق والتبشير وذلك فى أعقاب الحروب الصليبية وعودة المحاربين الى أوربا ، يحملون صــورة مشرقة لمعاملات المسلمين لهم وسماحة الاسلام ، وقد عمد رجال الكنيسة الى اخراس الالسنة المنصفة ، وحاولوا ترجمة القرآن لتزييف مفاهيمه وانتقاصها • وقد اســتغل الاستشراق كراهية الأوربيين للاسلام بعد التوسع العثمانى فى أوربا وما صحبه من تعصب وحروب استمرت عدة قرون ، فعمل المستشرقون على تعميق الكراهية والأحقاد فى نفوس الأوربيين وتغذيتها بالشبهات والأباطيل بهدف حجب الاسلام عن أوربا والحيلولة دون نفاذه اليها •

ثانيـــا : تأييد الغزو الاستعمارى لبلاد المسلمين والعمل لتحطيم المقاومة الاسلامية ، بتأويل الجهاد وصرف أنظار المسلمين الى الدعة والقعود عن الجهاد فى سبيل الله ومدافعة الغزاة بالاشتغال بالعبادة والزهد وتسميتها بالجهاد الأكبر •• وتحطيم وحدة المسلمين وتمزيق الدول الاسلامية ، وعزل الشريعة الاسلامية عن التطبيق فى المجتمع الاسلامى واحلال الأنظمة القانونية والاقتصادية والسياسية والتربوية لتحل محل الاسلام بالقوة •

ثالثـــا : فصل المسلمين عن جذورهم الثابتة الأصيلة ، بتشويه تلك الأصول ، وعزلها عن مصادرها ، وهدم المقومات الأساسية للكيان الفردى والاجتماعى والنفسى والعقلى للمسلمين ، ومن شأن هذا أن يفتح الباب الى الاستسلام أمام الاستعمار وثقافته وفكره ، والتأثير فى نفوس المسلمين وزحزحة عقائدهم بما يفتح للتبشير المسيحى طريقا الى تحويل بعض ضعاف العقيدة الى ملاحدة وأتباع [1] •

والخلاصة فقد كان المستشرقون طلائع للمبشرين يمهدون السبيل أمامهم لتشكيك المسلمين فى عقائدهم ، ويفتحون أمام دعاة النصرانية السبيل للطعن فى الاسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم بأنواع شتى من الشعوذة العلمية باسم البحث والاستنتاج التحليلى •

تلاميذ المستشرقين

وتبدو خطــورة الاستشراق فى آثاره الخطيرة التى يفرضـــها المستشرقون على مناهج التعليم والثقافة والفكر فى العالم الاسلامى ،

---

(١) الاسلام فى وجه التغريب ص ٣٧٠ ، ٣٧١

وقد حرص المستشرقون على كسب الأنصار واستخدام الأتباع لترديد مفترياتهم على الاسلام ، وافتعال معارك حول عقائده وآدابه ومختلف أحكامه لتعميق المفاهيم التى يريدون فرضها ، وترسيخها فى الأذهان ، وتوسيع دائرة الانتفاع بها ٠

ولقـــد كان طه حسين فى مقدمة الذين أعلنوا الاعجاب والتقدير لمناهج المستشرقين ، ويعتبر حامل لواء الدفاع عنهم وعن أهوائهم ٠٠ وكثيرا ما يقول : ان هذه الحقيقة أو تلك فى تاريخ المسلمين أو فكرهم مما لا يرضى بها الاستشراق ٠٠ وهذا أسلوب لا يقوم عليه الا واحد من أهل التبعية ، حتى قال بعضهم : ان طه حسين ليس الا مستشرقا من أصل عربى ٠٠ وقد كانت أمانته للفكر الغربى ولمذاهب الاستشراق تفوق أمانة المستشرقين أنفسهم ، وهكذا كان متابعا لهم ، مقتنعا بما يقولون الى أبعد حدود الاقتناع ، حتى فى تلك المسائل الخطيرة ، كقولهم ببشرية الرسول ، وبشرية القرآن ، وكانت كتاباته توحى بذلك وان لم يعلنه جهارا ، بعد أن صودر كتابه « فى الشعر الجاهلى » ٠

وأعجب ما فى طه حسين ولاؤه الشديد لانطواء المسلمين تحت لواء الغرب ، وانصهار الاسلام فى بوتقة الأممية ، والمسيحية واليهودية والغرب جميعا ٠٠ فهو لا يرى للعرب والمسلمين سبيلا للنهضة الا فى هذا الانصهار وهذا الاحتواء والذوبان ، وقـــد صرح بذلك فى كتبه وخاصة ما أورده فى كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » ٠ فهو يرى أن العرب قوم مستعمرون كالرومان والفرس ٠٠

ويظهـــر اتجاه طه حسين فى حرصـــه على نشر الكتب التى تثير الشبهات وفى مقدمتها « رســـائل اخوان الصفاء » ، وتجديد طبع « ألف ليلة وليلة » ، وعنايته بدراسة سير المجان من الشعراء فى كتابه « حديث الأربعاء » وهو ثلاثة مجلدات ٠٠ وقد خرج من دراســـتهم بشبهة مسمومة هى قوله : « ان القرن الثانى للهجرة كان عصر شك ومجون » ، وقد اعتمد فى بحثه على مصادر أساتذته من المستشرقين اليهود ، وعلى « أنساب الأشراف » الذى طبع فى الجامعة العبرية فى القدس — التى تحتلها اسرائيل — وجارى مستشرقى اليهود فى انكار شخصية عبد الله بن ســـبأ « ابن السوداء » ، وفى الشـــك بوجود

ابراهيم واسماعيل وأعلن أنه يشك فى وجودهما بالرغم من الاشارة اليهما فى التوراة والقرآن(١) •

ومثل طه حسين فى هذه التبعية للمستشرقين : سلامه موسى ، وحسين فوزى ، وزكى نجيب محمود ، ومحمود عزمى ، وعلى عبدالرازق وغيرهم • وقد لقحت مناهج المستشرقين فى البحث والنقد العلمى قرائح كثير من تلاميذ المستشرقين فنهجوا نهجهم وأخذوا طريقهم فيما حاولوا من دراسات ، وخاصة فى مجال الجامعة والثقافة والصحافة ، وحملوا نفس الروح التى يحملها أساتذتهم فى خصومة الاسلام ، وكانوا أشد قسوة على آهليهم من الغربيين(٢) •

آثار الاستشراق

١ ــ كان الاستشراق وراء كل شبهة أو دعوة خطيرة أحدثت تحولا فى المجتمع الاسلامى فى العصر الحديث ، فقد كان المستشرقون يلقون الشبهة أو الدعوة ثم يتبعهم الكتاب و (المفكرون) الذين يكتبون باللغة العربية من أهل التبعية والتغريب والشعوبية •• وهذا واضح فى الدعوة الى العامية التى بدأها ولكوكس وويلمور وغيرهما ثم تابعهما سلامة موسى وأحمد لطفى السيد ، فى الدعوة الى الاقليميات والقوميات الضيقة كالفينيقية والفرعونية ، بدأها فمبرى وكرومر وتابعهما طه حسين ولطفى السيد وغيرهما •

٢ ــ يعمل المستشرقون على اخضاع النصوص للفكرة التى يفرضونها حسب أهوائهم ، والتحكم فيما يرفضونه أو يقبلونه من النصوص ، وكثيرا ما يحرفون النص تحريفا مقصودا ، ويقعون فى سوء الفهم ــ وعن عمد أحيانا ــ فى معنى النص حين لا يجدون مجالا للتحريف •

٣ ــ يتحكم المستشرقون فى المصادر التى يختارونها ، فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به فى تاريخ الحديث النبوى ، ومن كتب

---

(١) الاسلام فى وجه التغريب ص ٣٦٣ ، وقد كان هذا الانكار وأمور أخرى سببا فى طرد طه حسين من الجامعة المصرية ومصادرة كتابه « فى الشعر الجاهلى » ولكن نفوذ الاحتلال الانجليزى سرعان ما أعاده الى الجامعة ومضى به صعدا لاعلى المناصب .

(٢) المرجع السابق ص ٣٦٣ .

التاريخ ما يحكمون به فى تاريخ الفقه ، ويصححون ما ينقله الدميرى فى كتابه (الحيوان) ويكذبون ما يرويه الامام مالك فى (الموطأ) ..

٤ ــ يجمع المستشرقون الشبهات المختلفة ويؤلفون بينها لاعطائها صورة كاملة ، مثال ذلك ما قام به المستشرق الألمانى ولهلم هور نبساخ (الاستاذ فى جامعة بون بألمانيا) من جمع قطع ونتف وشذرات من كتاب (الاصابة) الحافظ ابن حجر ، ثم ينشرها على أنها كتاب (الردة) لابن حجر الذى ألفه أبو زيد ابن الفرات المتوفى عام ٢٣٧ هـ وهو فارسى الأصل ، وقد ضاع هذا الكتاب ،فأشار ابن حجر اليه فى بعض المواضع ، فما كان ن المستشرق ولهلم الا أن جمع هذه القطع على أنها تراجم لأشخاص ارتدوا عن الاسلام ، ولا يقوم بمثل هذا العمل الا مغرض صاحب هوى ، لأنه يخالف البحث العلمى السليم .

وشبيه بهذا ما أورده المستشرقون من الزعم بأن العرب كانوا قبل البعثة النبوية على حضارة ونهضة ، وأن دور النبى صلى الله عليه وسلم لم يزد على أنه نهض بهم فنهضوا .. مع أن الحقيقة الواضحة أن العرب فى جاهليتهم كانوا قبائل متفرقة متصارعة ، وأن الاسلام هو الذى وحدهم فى أمة واحدة ، ودفعهم الى آفاق النهوض والتوسع : (لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم[1]) ، (واذكروا اذ كنتم أعــداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النــار فانقذكم منهــا[2]) .

٥ ــ وقــد حرص المستشرقون على التنويه بشأن « القرامطة » واظهارهم بمظهر طلاب العدل والاصلاح ، وهم الذين عجزوا عن أن يحققوا أى منهج يمكن أن يوصفوا به على أنهم دعاة حق حين امتلكوا زمام الحكم فى القرن الرابع الهجرى ، بل انكشف باطلهم وزيفهم ، وظهرت حقيقتهم صنائع لليهود انقضوا على الدولة الاسلامية بالتــآمر والتعاون مع أعداء المسلمين وخصومهم .

٦ ــ وعمل المستشرقون على احياء التراث الباطنى المجــوسى

---

(١) الانفــال ٦٣ .
(٢) آل عمران ١٠٣

والغنوصى القديم مستهدفين تحطيم أصالة الفكر الاســلامى ، ويبدو هذا واضحا فى تركيزهم على احياء كل المخطوطات التي تحمل هذه السموم ، وخاصة ما يتصل بالالحاد والاباحية ، وما يتصل بوحدة الوجود والحلول والاتحاد ، والمجون .. أمثال شعر بشار بن برد ، وأبى نواس ، وكتب الحلاج وابن عربى ، وابن سبعين ، وكتب غلاة الرافضة والاسماعلية والفاطميين .

٧ — ولا ريب أن أخطر آثار الاستشراق هو اعتبار كتب المستشرقين وبحوثهم مراجع أساسية فى التاريخ واللغة والسيرة والفقه والعقائد وغير ذلك ، وخاصة فى الجامعات والمعاهد العالية أو فى دراسات المبعوثين الى الجامعات الغربية فى أوربا وامريكا ، الذين يقعون دائما تحت سيطرة الاستشراق والاساتذة اليهود والنصارى المتعصبين ، ثم يعودون الى بلادهم فيحتلون مناصب التوجيه الثقــافى والتعليمى ، ويفرضون ما تلقوه من الغرب من سموم باسم التجديد وحرية البحث .

وقــد عملوا على نشر الموسوعات (دوائر المعارف) والقواميس لتكون مراجع سهلة للباحثين ، وملؤوها بالسموم والشبهات مثل :

دائرة المعــارف الاسلامية .

المنجد فى اللغة والعلوم والآداب .

الموسوعة العربية الميسرة .

لهذا ينبغى على من يود الرجوع الى هذه المصادر أن يكون على حذر تام ، وأن يتنبه لمــا بين سطورها من مغالطات أو تشويه أو تحريف فى النقل ، على أن روح مؤلفيها فى الحقد على الاسلام لا تخفى على المطالع الحصيف .

نماذج من أبحاث المستشرقين

١ — يتابع يوسف شاخت أستاذه جولد تسيهر (وهما مستشرقان يهوديان) فى الغض من شأن الشريعة الاسلامية ، ويحاول الادعاء بأن الشريعة الاسلامية لا تختلف عن أعراف الجاهلية ، وهو ادعاء باطل تصدى له كثير من الباحثين •

ومن أكاذيب شخت وأضاليله : الادعاء بأن للفكر الاغريقى فضلا على الفكر الاسلامى ، وقد أثبت علماء الغرب أنفسهم مثل (سيديو ، درابر ، وسارطون) وغيرهم أن الاسلام هو الذى ادخل الى الغرب المنهج العلمى التجريبى ، وأن الحضارة العالمية المعاصرة مدينة للمسلمين بهذا المنهج الذى هو أساس الحضارة الاسلامية •

٢ — أنكر برتلو أن تكون الكتب الكيمالية اللاتينية التى تحمل اسم جابر بن حيان هى كتب عربية الأصل كتبها عالم مسلم ، لمجرد أن أصولها العربية فقدت ، وقد تصدى لبرتلو علماء راسخون ردوا عليه خطأه ، بل اتهمه بعضهم بالجهل والتحيز ، وقال سارطون : ان أى شخص يعرف العربية لا يخطىء مطلقا فى اكتشاف أن هذه الكتب اللاتينية ترجمات لكتب عربية ، اذ تبدو الأساليب العربية واضحة من الترجمة اللاتينية ، سواء كانت لجابر أو لغيره •

٣ — ويزعم سدرسكى أن جانبا مما ورد فى القرآن أو التفاسير والسير من الأخبار يرجع الى الاجادة اليهودية والتوراة والاناجيل وقد بين الدكتور بشر فارس فساد هذا الرأى وقال : ان بين النصوص الاسلامية والنصوص اليهودية والمسيحية مسافات ، وان أتفق بعضها أو تقارب ••

٤ — وحاول نلينو أن ينفى حقيقة أن قريشا كانت أفصح العرب وله فى ذلك مغالطات واسعة ترمى الى التشكيك فى هذه الحقيقة ، ويقول : ان تفضيل لغة قريش لم يكن مصدره سوى حب العرب للرسول •

٥ — وزعم لويس شيخو اليسوعى أن معظم شعراء الجاهلية وصدر الاسلام كانوا نصارى ، وأن الغسانيين كانوا نصارى ، وهو قول لا يسلم به المطلعون على أخبار العرب فى عهد الجاهلية ، لأن من الغساسنة من كان على الوثنية ومنهم من دان باليهودية ، وطائفة كانت

تدين بالنصرانية ، وممن عدهم نصارى من الشعراء : الأخنس بن شهاب وامرؤ القيس ، وأمية بن أبى الصلت والسموأل •

وهكذا جرت بحوث المستشرقين وراء بث الشبهات حول القرآن الكريم ولغته والحديث الشريف والتشريع الانسلامى و لايتسع المقام للتوسع فى ضرب الأمثال(١) •

المستشرقون المعتدلون

لا نكران أن طائفة من المستشرقين اتسموا بالاعتدال والانصاف ، على تفاوت فيما بينهم ، فمنهم من أخطأ وأصاب ومنهم من انتهى به البحث الحر النزيه الى الايمان والاسلام ، ويعتبر من الفريق الأول : (رينان) الذى انتهى به بحثه عن المسيح عليه السلام الى اثبـات أنه لم يكن الها ولا ابن اله ، وانما هو انسان يمتاز بالخلق السامى والروح الكريمة ، وأن السير العربية للنبى محمد (صلى الله عليه وسلم) كسيرة ابن هشام لها ميزة تاريخية أكبر من الأناجيل المتداولة بين النصارى •

ومنهم : (كارلايل) الذى عد (محمدا) صلى الله عليه وسلم فى الأبطال وخصه بصفحات كثيرة من كتابه (الأبطال) يقول فيه : « من العار أن يصغى أى انسان متمدين من أبناء هذا الجيل الى وهم القائلين : ان دين الاسلام كذب ، وان محمـدا لم يكن على حق ، فالرسالة التى دعا اليها هذا النبى ظلت سراجا منيرا أربعة عشر قرنا من الزمان لملايين كثيرة من الناس ، وما الرسالة التى أداها محمـد (صلى الله عليه وسلم) الا الصدق والحق ، وما كلمته الا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول ، وما هو الا شبهات أضـاء العـالم أجمع ، ذلك أمر الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء •

ومنهم (تولستوى) أكبر كتاب روسيا ، فانه لمـا رأى الحملة الظالمة على الاسلام ورسوله كتب رأيه معربا عن الاعجاب بالاسلام ، وتحدث عن المسيحية ، فأنكر على المسيحيين اعتقادهم بألوهية المسيح ، وخلص الى ان بولس لم يفهم تعاليم المسيح بل طمسها ، والكنيسـة زادت تعاليم المسيح فى العقيدة غموضا •• ويقول : ان المسيحيين

---

(١) راجع : (دفاع عن العقيدة والشريعة) للشيخ محمد الغزالى ، (الاسـلام فى وجه التغريب : مخططات الاستشراق والتبشير) للاستاذ أنور الجندى .

واليهود والمسلمين يعتقد جميعهم بالوحى الالهى ، فالمسلمون يعتقدون نبوة موسى وعيسى ولكنهم يعتقدون كما اعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانتين ، وهم يعتقدون بأن محمدا خاتم الأنبياء ، وأنه أوضح فى القرآن تعاليم موسى وعيسى كما قالاها دون زيادة ولا نقص •• وينتهى بالحديث عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم حديث الاكبار والتعظيم ، وكان مما قاله تولستوى : « لا ريب أن هذا النبى من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها الى نور الحق ، وجعلها تجنح للسلام ، وتكف عن سفك الدماء ، وتقديم الضحايا ، ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقى والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به الا شخص أولى قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثله جدير بالاحترام والاجلال » ، وقد كان جزاؤه على كلمة الحق التى قالها أن حرمه البابا من الرحمة[1] •

ومن المستشرقين الذين انتهى بهم البحث عن الحق الى الاسلام اللورد هيدلى ، واتيين دينيه (ناصر الدين) والشاعر الألمانى الكبير جوتيه ، والدكتور جرينييه الذي كان عضوا فى مجلس النواب الفرنسى ، وقد سئل عن سبب اسلامه فقال : « انى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لهـا ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتى درستها من صغرى ، وأعلمها جيدا ، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ، فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة ، من قبل أن يكون له معلم أو مدرس من البشر ، ولو أن كل صاحب فن من الفنون ، أو علم من العلووم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا كما قارنت أيضا ، لأسلم بلا شك ان كان عاقلا خاليا من الأغراض[2] » •

وصدق الله العظيم « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق[3] » •

---

(١) (التبشير والاستشراق : احقاد وحملات) للمستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى ص ٥٩ — ٦٢

(٢) المرجع السابق ص ٦٧ و (أوربا والاسلام) للدكتور عبد الحليم محمود •

(٣) فصلت ٥٣ •

ثالثـــا : التبشـــير :

أيقن اعداء الاسلام .. انه لا سبيل اليه ، وعقيدته حية فى قلوب المسلمين فكان بداية التبشير .. مع نهاية الحروب الصليبية فشلا فى مهمتها .. وهو ما يصرح به « ملخص تاريخ التبشير[1] » ..

ويقول القسيس المبشر زويمر ان جزيرة العرب التى هى مهد الاسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية[2] ويكمل وليم جيفورد بالكراف المعنى فيقول متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنهـا الا محمد وكتابه[3] .

واتخذ التبشير لدعوة المسلمين أساليب عديدة .. أظهرها لنـــا :

(أ) المدارس المختلفة التى فتحت فى ارجاء العالم الاسلامى ، ولم تنج منها حتى عاصمة الخلافة الاسلامية نفسها[4] وباشرت تلك المدارس التأثير على الطفولة البريئة والشبيبة الغضة .. من أبنـــاء المسلمين وكانت لهـــا نتائج ايجابية محدودة .. لكنها ان لم تمح فى

---

(١) كتاب ملخص التبشير لادوين بلس ، أشار اليه ا . ل شاتليه .
نقلها الى العربية محب الدين الخطيب وساعد اليـافى تحت عنوان : الغـــارة على العالم الاسلامى ..

(٢) قالها زويمر فى مؤتمر لكنو بالهند سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) وكان هو رئيس المؤتمر لماله فى التبشير من سجل حافل ـــ المرجع السابق ص ١٠٢

(٣) قالها وليم جيفورد فى مؤتمر القاهرة للتبشير المنعقد سنة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م ، فى منزل أحمد عرابى الذى صادره الانجليز بعد ثورته .

(٤) فى مؤتمر لكنو للتبشير الذى تقدمت الاشارة اليه قدم القسيس ترد بريد ج تقريراً عن نشاط التبشير وخص فيه دولة الخلافة العثمانية بنصيب أوفر فقال :
عن الاعمال المدرسية أن فى استطاعة المسلمين التردد على مدارس وكليات التبشير وبين جدران الكلية الانجليزية فى بيروت (الجـــامعة الامريكية ، وكانت تســـمى الكلية السورية الانجيلية) ١٠٤ من المسلمين ، وفى كلية الاستانة (واحسرتاه) ٥٠ وفى كلية المبشرين فى كدك باشا فى الاستانة أيضا ٨٠ ، ومنذ بضع سنين صدر اذن خفى !! بجواز التردد على الكلية الاولى والثانية .
وعن التاليف قال :
كان طبع كتب التبشـــير مباحا فى تركيا منـــذ مدة طويلة (!!) ثم اشـــار الى صعوبات التوزيع ..
وعن الاعمال الطبية والخيرية قال : انها منتشرة جدا فى البلاد العثمانية .
وعن الاعمال النسائية قال : ان الحكومة سمحت (...) عقب اعلان القانون الاساسى لخمس فتيات مسلمات أن يتعلمن فى كلية البنات الامريكية ليتهيان لادارة الامور فى مدارس الحكومة للبنات كما ان عددا قليلا من الفتيات المســلمات يتردد على مدارس ارســاليات التبشير ..

لمجموع عقائد التلاميذ فيكفى أنها بذرت فيها بذور الشك أو الانحراف[1] ولا تزال من آثار تلك المدارس •• الجامعة الامريكية فى مصر ، والجامعة الأمريكية فى بيروت الأمر الذى لا ينكره رجالات الغرب أنفسهم •

ويلحق بهذه الوسـيلة تغريب التعليم أو علمانيته وهو ما فعلته انجلترا فى مصر والهنـد وما سوف نعرض له بمشيئة الله عند الكلام عن وسائل التبشير الحديثة •

(ب) ومن أخطر هذه الوسائل البعثات الى الدول المسيحية الغربية

وأول مثل لأثر البعثات •• ما حدث لرفاعة الطهطاوى الذى أقام فى باريس من سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) الى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) فقد عاد ذلك الشيخ •• بغير العقل الذى ذهب به •

ــ اختلت موازين الشيخ •• فعاد يتحدث عن الرقص الذى رآه فى باريس بأنه نوع من العياقة والشلبنة (أى الاناقة والفتوة) لا الفسق الرقص وتلاصق الاجساد ليس فسـقا ••

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لكل بنى آدم حظ من الزنا : فالعينان تزنيان ، وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان ، وزناهما المشى ، والفم يزنى وزناه القبل ، والقلب يهوى ويتمنى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه[2] » •• صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام •• وكذب الشيخ الطهطاوى •

ــ وتحدث عن المشاعر الوطنية ليحلها محل المشاعر الدينية وراح يثير •• الجاهلية القديمة •• فيتحدث عن مصر الفرعونية •• وينسى مصر الاسلامية واعجب •• الطهطاوى بالحـرية •• لكنه لم يفهمها الفهم الاسلامى •• الذى تتحقق به عبودية المسلم لله وحده ، ويتحقق تحرره من كل عبودية لسوى الله •• لكنه فهمها الفهم الغربى الذى قد يؤدى الى التحرر من الاخلاق ومن الدين نفسه •• !

---

(١) فى نفس المؤتمر قال استررد كرومورد ــ ان المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطرا من المدنية النصرانية ويدخلونه فى ارتقائهم الاجتماعى ، وما دامت الشعوب الاسلامية تتدرج الى غايات ونزعات ذات علاقة بالانجيل فان الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها عن غير قصد منها .. ثم ختم تقريره بقوله لقـد ازف الوقت لارتقاء العالم الاسـلامى وسيدخل الاسـلام فى شكل جديد من الحياة والعقيـدة ولكن هـذا الاسلام الجديد سينزوى ويتلاشى بالنصرانية (ص ٧٢ ، ٧٣ من المرجع السابق) •

(٢) مسند احمد ج ٢ ص ٣٤٣ وسنده صـحيح وله روايات اخرى كثيرة بألفـاظ مختلفة والمعنى واحد •

وقس على الشيخ رفاعة[1] •• من ذهبوا بعده •

(ج) ثم تأتى سائر وسائل التبشير •• فتح المستشفيات وبعث الارســاليات الطبية •• التى يقــرر كثير من المبشرين فى مؤتمراتهم وكتاباتهم •• أنهــا ادت الى نتائج أسرع وأفضــل من عمل القسس التبشيرية[2] •

(د) ثم المحاضرات والندوات •• والكتب والمجــلات والصحف والنشرات •• الخ •

مؤتمرات التبشـــير :

أما مؤتمرات التبشير فقد تعددت •• نذكر منهــا :

١ ـــ مؤتمر القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) المنعقد فى منزل زعيم الثورة العرابية المسلم فى باب اللوق تحت سمع الحكومة وبصرها !

٢ ـــ مؤتمر ادنبرج ســـنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠م) فى انجلترا •

٣ ـــ مؤتمر لكنؤ ســـنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١م) بالهنـــد •

٤ ـــ مؤتمر القدس ســـنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤م) •

٥ ـــ مؤتمر القدس ســـنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥م) •

٦ ـــ مؤتمر القدس ســـنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦١م) •

وما بلغنا عنهـــا الا القليل : واشهره ما نشرته مجلة : (العـــالم الاسلامى) •

---

(١) راجع تحليلا رائعا للاستاذ الدكتور محمد محمد حسين (استاذ الادب الحديث بجامعة الاسكندرية) فى كتابه الاسلام والحضارة الغربية نشر دار الفتح ط ٢ ٣٩٣ هـ • والكتيب عبارة من محاضرتين القاهما بالكويت سنة ١٣٨٥ وهو يتناول أثر التغريب وله فى نفس الخط مؤلف آخر تحت عنوان « حصوننا مهددة من الداخل » ـــ مجموعة مقالات نشرها فى مجلة الازهر ••

(٢) يقول الطبيب بول هاريسون فى كتابه (الطبيب فى بلاد العرب) لقد وجدنا نحن فى بلاد العرب لنجمل رجالها ونساءها نصارى ـــ ابراهيم خليل أحمد ـــ المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والاسلامى من مكتبة الوعى العربى بالقاهرة ١٣٨٤ هـ ويذكر الاستاذ أبو الحسن الندوى فى كتابه الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية أن الافغانيين الذين خلعوا ملكهم امان الله خان لانه سمح لزوجته ان تخرج سافرة قبلوا بعد ذلك أن يلغوا الحجاب وتم ذلك عن طريق القابلات ودور الولادة الطبية التى أنشأها المبشرون •

ولا نعتقد ان ما نشر .. هو كل ما قيل وحدث ..

ومع ذلك فاننا نشير الى نماذج من المؤتمرين الأول والثالث تبعا لما بلغنا عنهما .

فى مؤتمر القاهرة — المنعقد فى بيت الزعيم المصرى المسلم أحمد عرابى :

تناول المؤتمر وسائل تبشير المسلمين بالنصرانية فى كتاب خاص كتب عليه نشرة خاصة ليكون قاصرا على فئة من المبشرين — وهو من اعداد القسيس الأمريكى فليمنج .

ثم تعرض المؤتمر للازهر : فنعى ان باب التعليم مفتوح للجميع ، خصوصا وان أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجانا[1] .

وطالب سكرتير المؤتمر فى مواجهة ذلك بانشاء معهد مسيحى لتنصير الممالك الاسلامية[2] (قيل ان أساس تكوين الجامعة الأمريكية فى مصر كان تنفيذا لتلك الوصية) .

ثم عرض المؤتمر لخريطة تنصير العالم الاسلامى فى هذا العصر .

وقدم القسيس زويمر « رئيس المؤتمر » بمعاونة بعض زملائه كتابا تحت عنوان العالم الاسلامى اليوم .. أشار الى صلابة عقيدة المسلمين (وهو ما يقتضى الاشتداد فى حربها) وقال ما نصه « لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد اعظم من عقيدة الدين الاسلامى الذى اقتحم قارتى آسيا وأفريقيا وبث فى مائتى مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده ، واحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية » .

ثم قدم القسيس زويمر بعض النصائح من بينها :

(أ) وجوب اقناع المسلمين ان النصارى ليسوا اعداءهم .

(ب) واخطرها يجب تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم

---

(١) صادرتها الحكومة الثورية فى مصر فى عهد الرئيس السابق جمال عبد الناصر .

(٢) جاء فى مجلة المجتمع جمادى الاخرة سنة ١٣٩٧ هـ أن البابا شنودة قد اتفق مع الرئيس الامريكى كارتر على انشاء جامعة نصرانية فى مصر وأن الرئيس كارتر فى اجتماعه مع الرئيس السادات طلب منه ذلك فوافق الاخير بشرط ان يكون تمويل الجامعة من الخارج ..

ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب ان يقطعها أحد أعضائها .

واخيرا بشر المبشرين الا يقنطوا اذ من المحقق ان المسلمين قد نما فى قلوبهم الميل الشديد الى علوم الأوربيين والى تحرير النساء[1] .

وفى مؤتمر لكنؤ المنعقد فى الهنـــد ســـنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١م) :

كانت مواده كثيرة اخطرها :

* النظر فى حركة الجامعة الاسلامية ومقاصـــدها وطرقها والتأليف بينها وبين تنصير المسلمين .
* الارتقاء الاجتماعى والنفسى بين النساء المسلمات (يلاحظ اختيار الالفاظ المهذبة لتغطية المعنى المقصود .. فان المبشرين المسيحيين لا يهمهم فى شىء ارتقاء النســـاء المسلمات) .

وكان اخطرها حديث .. حديث زويمر أشار الى أن عبد الحميد (خليفة المسلمين) سجين فى سلانيك .. أشـــار الى أنه لم يبق غير ٢٧ر١٢٨ر٨٠٠ مسلما تحت ســـلطة الحكومات الاســـلامية .. وانتقلت الســـلطة على الباقين من الخلافة الاســـلامية الى ايدى كل من انجلترا وفرنسا وروسيا وهولندا . أشار الى أن عدد المسلمين الذى تحت سلطة الدول النصرانية سيزداد كثيرا عقب انقلابات قريبة الحصول ؟؟

وكان من بين قرارات المؤتمر :

« من الضرورى العاجل تأسيس مدرسة فى مصر خاصة بالتبشير » .

« دخول النســـاء فى أعمال التبشـــير لتنصير النســـاء المسلمات وأولادهن[2] .

وهم الآن لا يدعون المسلمين الى المســـيحية بل يحاولون تشـــويه الاسلام واضعاف قيمه[3] .

---

(١) الغارة على العالم الاسلامى ــ المرجع السابق ص ٢٤ و ص ٣٢ .

(٢) ص ٦١ ــ ٨٣ من المرجع السابق : الغارة على العالم الاسلامى .

(٣) فى مؤتمر القدس قال زويمر كلاما خطيرا اذ رسم خط التبشير بعد ذلك : ولكن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست فى ادخال المسلمين فى المسيحية فان هذا هـــداية لهم وتكريما (!) وانما مهمتكم أن تخرجـــوا المســـلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وفى نهاية كلمته قال : انكم اعددتم نشـــئا فى ديار =

رابعــا : تقطيع أوصال دولة الخلافة :

برغم كل ما أحدثه التبشير من تخريب •• لم يتخل الغرب المسيحى عن العنف تأييدا لهذا التخريب العقلى والقلبى •• بالسند العسكرى والسياسى ، واسهاما بهذه الوسيلة فى تحقيق نفس الغاية •

وانفقت الدولتان العظيمتان فى ذلك الحين على تقطيع أوصــال دولة الخلافة وتوزيع الاسلاب بينهما ••

ففى منتصف القرن التاسع عشر سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) •• تم استيلاء انجلترا على الهند وانتقلت السلطة من شركة الهند الشرقية الى التاج البريطانى ، وزالت بذلك احدى الدول الاسلامية الكبرى التى قامت فى مستهل القرن السادس عشر (دولة المغول فى الهند أو الدولة التيمورية نسبة الى مؤسسها تيمورلنك) •

وفى نفس السنة •• كانت جيوش فرنسا تستكمل احتلال صحراء الاسلام الغربية التى بدأت باحتلال الجزائر ســنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م)•

وبعد ذلك بقليل كان اقتطاع انجلترا •• لدرة من دور الخلافة •• كان احتلال مصر المسلمة ســنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) •

ثم كان اقتطاع سورية ولبنــان واحتلال فرنسا لهما بعد الحرب العالمية الأولى ســنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) ومع بوارج القتال كانت بارجة تحمل «مومسات» ولما سئل القائد فى دهشة •• اجاب اجابة العالم ببواطن الأمور : ان تلك البوارج قد يزول أثرها أما هذه البارجة فان أثرها لن يزول • وقبل ذلك •• كانت جيوش ايطاليا تخترق البحر تجاه أراضى ليبيا ترفع نشيدا فاشستيا مجرما يندد بالقرآن ويهزأ بالاسلام ويتوعد أمته بالسحق والفناء • جاء فيه : يا أماه ! أتمى صلاتك ولاتبكى •• بل أضحكى وتأملى •• ألا تعلمين أن ايطاليــا تدعونى وأنا ذاهب الى طرابلس فرحا مسرورا •• لابذل دمى لسحق الأمة الملعونة •• ولأحارب الديانة الاسلامية التى تجيز البنات الأبكار للسلطان •• سأقاتل بكل

= المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه فى المسيحية وبالتالى جاء النشء الاسلامى طبقــا لما أراده له الاستعمار المسيحى لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه من دنياه الا فى الشهوات ••

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ــ الدكتور محمد البهى •

قوتى لامحو القرآن[١] .

وهكذا انتقل تصور المسألة الشرقية من كيف يوقف الغرب زحف دولة الاسلام الى داخله .. الى كيف يقطع الغرب أوصال دولة الخلافة الاسلامية يوزعها فيما بينه ثم يجهز على الرجل المريض .

ويأتى بعد ذلك واستكمالا للمخطط الاثيم .. القضاء على الخلافة نفسها وقد نفذوا فيها توصية احد مؤتمراتهم الا يقطع الشجرة الا احد أعضائها لكن .. القضاء على الخلافة سبقته بعض الخطوات .. أهمها فصل الدين عن الدولة .. وهو موضوع المبحث الثانى من هذا الفصل .

---

(١) وقد جاء ذلك النشيد فى نداء لمجاهد طرابلسى وجهه الى المسلمين نشرته مجلة الرابطة الشرقية السنة الثالثة ــ العدد الثانى ٢٥ جمادى الآخرة ١٥/١٣٤٩ نوفمبر سنة ١٩٣٠ .

المبحث الثـــانى

مرحلة اســقاط الخلافة الاسلامية

لابد ان تسقط الخلافة الاسلامية قبل ان تقوم « دولة » اسرائيل •

ذلك ما تنبأ به نيلوس بعد ان اطلع علي بروتوكولات حكماء صهيون وذلك منذ ســـنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) [١] وذلك يؤكده طلب قرصو زعيم اليهود فى سالونيك الى السلطان عبد الحميد اعطاء فلسطين لهم ليتخذوها وطنا قوميا ، فلما رفض الخليفة توعده الزعيم اليهودى[٢] وكان من بين من سلمه قرار العزل بعد ذلك اثنان من زعماء اليهود[٣] •

ولابد ان يقطع الشجرة أحد اعضائها كما أوصى بذلك أحد مؤتمرات التبشير • لكن قبل ان تقطع الشجرة التى اظلت بلاد الاسلام منذ عهد النبوة وقبل ان يقضى على البطل الاسلامى السلطان عبد الحميد كان ثمة تمهيد •• كان بث فكرة فصل الدين عن الدولة ••

أولا ــ فصـــل الدين عن الدولة :

أشار الكاتب الأمريكي وليام غاى كار[٤] الى أن فكرة فصل الدين عن الدولة كانت من عمل اليهود ، وبصرف النظر عما قاله وليام غاى كار فان الواضح فى الشرق الاســــلامى أن الفكرة •• كانت غريبة عنه •• ومن ثم فان الايدى الأجنبية كانت وراءها •• سواء كانت ايدى الصليبية المتعصبة أو اليهودية الحاقدة •• ذلك أن فقهنا الاسلامى ومن بعده فكرنا الاسلامى لم يعرف مثل هذه الفكرة ولم يتصورها •• بل انه على العكس

---

(١) الخطر اليهودى •
(٢) نفس المرجع السابق •
(٣) د• على جريشة فى المشروعية الاسلامية العليا ص ٢٣١
(٤) فى كتابه : أحجار على رقعة الشطرنج •

من ذلك يعــرف أن قرآنه يحرم تجزئة الــكتاب ويعتبر ذلك كفرا •• وفتنة •• وجاهلية •

ويعرف ان الوظيفة الأولى لهذا القرآن •• ان يحكم •• لا أن يوضع على الارفف والمناضد أو تحشى به الجيوب والتمائم •• أو تتغنى به وتتسلى بعض العمائم •

« اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء[1] » •

« كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم[2] » •

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها[3] » •

« فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة[4] »

« وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك[5] » •

« افحــكم الجاهلية يبغون •• ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنــون[6] » •

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون[7] » •

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون[8] » •

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون[9] » •

فالاسلام دين يحكم كل شيء ••

« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء[10] » •

---

(١) سورة الاعراف الاية ٣
(٢) سورة ابراهيم الآية ١
(٣) الجاثية ١٨ •
(٤) المائدة ٤٨
(٥) المائدة ٤٩
(٦) المائدة ٥٠
(٧) المائدة ٤٤
(٨) المائدة ٤٥
(٩) المائدة ٤٧
(١٠) النحل ٨٩

والدولة فيه قسم لا قسيم ..

فكما ينظم شئون الفرد وينظم شئون الأسرة ينظم شئون الدولة .. وينظم شئون المجتمع الدولى .. « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين[1] ». « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا[2] » .. ذلك فقه الاسلام وفكره .. الدولة جزء من الدين قسم له لا قسيم .

تاريخ الاسلام لم يعرف هذه التفرقة :

وليس فى احداثه ما يبررها ..

فلئن عرفها الغرب كرد فعل لاضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء وافتئاتها على عقائد الناس وعقولهم حتى سولت لنفسها ان تصدر صكوك الغفران وقرارات الحرمان عن هوى وتحكم اذا كان ذلك فان شرقنا الاسلامى لم يعرف اضطهاد العلم والعلماء .. بل حفظ لهم الاسلام وحفظت لهم أمته اكرم مكانة واعز منزلة .. وكيف لا .. ؟ وهم ورثة محمد صلى الله عليه وسلم على دينه وشرعه وميراثه ؟ ..

ومن ثم فلم يكن هناك محل .. لا من الناحية الفكرية .. ولا من الناحية التاريخية لبث فكرة فصل الدين عن الدولة .

لكن الأمر كان يدبر بليل ..

واعتنق حزب الاتحاد والترقى فى تركيا الفكرة وعمل على ترويجها .

ثم عمل عن طريق ضباطه على عزل عبد الحميد .. ذلك الخليفة الذى رفض ان يعطى فلسطين وطنا لليهود وبصق فى وجه زعيمهم قرصو .

وصارت الحكومة المدنية فى انقره .. هى التى تحكم .. والخليفة فى الاستانة بغير سلطان تطبيقا لفصل الدين عن الدولة ..

ثانيـــا ــ نشر القومية فى مواجهة الخلافة :

كانت اليد الخفية التى تعمل على تقويض الخلافة .. ببث فكرة فصل الدين عن الدولة تعمل من ناحية أخرى عن طريق القومية .

---

(١) الانبياء ١٠٧
(٢) سبأ ٢٨

اثارة القومية الطورانية داخل دولة الخلافة (تركيا) •

واثارة القومية العربية داخل الولايات التابعة للخلافة •

والأولى تعهدها حزب الاتحاد والترقى وحزب تركيا الفتاة •

والثانية انزلق اليهـا الشريف حسين ظنا منه أنهـا الوجه الآخر للاسـلام[1] •

واعتقادا منه فى حسن نوايا الجاسوس (لورانس) ومن ورائه ماكماهون حتى انتهى الأمر الى •• ان تحارب جيوش القومية العربية جيوش الخلافة الاسلامية تعضدها الجيوش الانجليزية التى سارت تحت راية فيصل بن الشريف الحسين لتخرج سوريا لاستقبالها استقبال الفاتحين •

ثالثـا ـ اسقاط الخلافة الاسلامية :

ولم يكن عبثـا ••

ولم يكن تدبير مصطفى كمال أتاتورك ولا حزب الاتحاد والترقى •

وما كان هؤلاء الا « النعل » الذى تلبسه القدم الغليظة الكارهة الكريهة !

والا ففيم توقع نيلوس منذ سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) •• ؟

وفيم قول مؤتمر التبشير •• ان الشجرة لابد أن يقطعها أحـد أعضائها ؟

وفيم تهديد الزعيم اليهودى قرصو للسلطان عبد الحميد بعد أن رفض اعطاء فلسطين لليهـود •• ؟

---

(١) بدأت الدعوة الى القومية العربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وتألفت فى بيروت جمعية سرية لهذا الغرض فى سنة ١٢٩٢ هـ ، ١٨٧٥ م راجع تفصيلا لذلك بحثا طيبا من عوامل ضعف المسلمين للاستاذ سميح عاطف الزين ـ دار الكتاب اللبنانى .

ونحن نحسن الظن بالشريف حسين على ما يبدو من رسائله المتبادلة بينه وبين الانجليز لكن يبقى حسابه على الله فى ظل قول الله « يا أيها الذين آمنوا لا تتخـذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق •• يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم » وكيف نسى الشريف ما فعلته انجلترا بالمسلمين •• تعست كراسى الحكم التى تنسى المسلم دينه وشرفه وكرامته ••

فيم ذلك كله •• وفيم قبله فكرة فصل الدين عن الدولة ومصدرها المباشر الصليبية ومصدرها الغير مباشر الصهيونية •• كما يقرر وليام غاى كار ••

وفيم قبله نشر القومية العربية •• على يد لورانس الجاسوس الانجليزى ••

ومن جرهم من اذقانهم وراء قدمه ؟

وفيم شروط كيرزون الأربعة لاستقلال تركيا وتسليمها للكماليين وهى:

١ ــ قطع كل صلة بالاسلام •

٢ ــ الغاء الخلافة •

٣ ــ اخراج انصار الخلافة والاسلام من البلاد •

٤ ــ اتخاذ دستور علمانى بدلا من الدستور القديم[١] •

فيم ذلك كله ••

واذا صح أن الخلافة كانت اشبه بالرجل المريض ــ وهم أول من أمرضوها ــ فهل يصح المريض بالعلاج ؟ ••

أم يعالج المريض بالقضاء عليه وقتله ؟ ••

ماذا فعلوا •• بعد أن أجهزوا على الرجل المريض •• بخسة ونذالة •• هل استبدلوا نظاما خيرا منه ؟ ••

وهل صاروا فى مصاف الدول العظمى •• بعد أن انسلخوا من اسلامهم •

ان تركيا ••

وبعد مرور نصف قرن من الغاء الخلافة فيها لا توضع فى الدرجة

(١) يشير اليها الزميل الدكتور عبد المعطى بيومى نقلا من الاستاذ أنور الجندى فى كتابه العالم الاسلامى ــ الاستعمار السياسى والثقافى والاجتماعى ص ٤٦ ، ٤٧
ويؤكد النية ازاء الاسلامية والقصد من وراء اسقاطها ما جاء فى كتاب مائة مشروع لتقسيم تركيا تأليف المسيو جوفار الامانى ــ ملخصا فى كتاب حاضر العالم الاسلامى ــ المرجع السابق ــ واقوال رجال الدين فى أوربا ، وكتابهم ، وساستهم مجمعة على وجوب القضاء على الخلافة الاسلامية وتقسيم التركة بين ملوك أوربا •

الثـــانية ولا الثالثة ولا الرابعة بين دول العـــالم •• وكانت قبلها فى الدرجة الأولى ! •

أهذا هو الترقى •• يا حزب الترقى •• ؟

ولقد سبقت الغاء الخلافة تمثيلية لا يزال يتكرر مثلها فى السنوات القريبة •• كان لابد من صنع البطل (الذى يقطع الشجرة[1]) •

وبعد ان تغلغلت قوات اليونان والحلفاء داخل أراضى تركيا •

وبينما الخليفة حبيس الاســتانة •• بل وجيوش انجلترا •• وتتبدل الهزيمة نصرا وينخدع العالم الاسلامى المسكين «بالغازى العظيم»

ثم يعلن بعدها الغاء الخلافة الاسلامية •

ويعقبها سلسلة من الاجراءات تنتهى الى سلخ تركيا من اسلامها ، وتحريم الاذان فيها وتحريم الكتابة بلغة القرآن العظيم !

ويقبل العـــالم الاسلامى على المصيبة !

ولكن ولات حين مناص ! •• فقد فات الأوان •• !

ويندب العالم الاسلامى خلافته واسلامه

يقول الشـــاعر أحمد شـــوقى :

يـــا أخت اندلس عليك ســـلام — هوت الخـــلافة عنك والاســـلام
طوى الهلال عن السماء فليتهـــا — طـــويت وعم العـــالمين ظـــلام
خفت الأذان فما عليـــك موحـــد — يسعى ولا الجمع الحسان تقـــام

ويقول فى أبيات من قصيدة أخرى :

بكت الصـــلاة وتلك فتنة عابث — بالشرع عربيـــد القضـــاء وقاح
أفتى خـــزعبلة وقال ضـــلالة — وأتى بكفـــر فى البـــلاد بواح

ضـــجت عليـــك مآذن ومنـــابر — وبكت عليـــك ممـــالك ونواحى
الهنـــد والهـــة ومصر حزينـــة — تبـــكى عليـــك بمدمع ســـحاح
والشـــام تسأل والعراق وفارس — أمحا من الأرض الخلافة ماحى

(1) راجع تحت عنوان صناعة الزعيم فى كتاب « عندما يحكم الطغاة » للدكتور جريشـــة الناشر دار الاعتصام — مصر .

حسب أتى طول الليـالى دونه ... قـد طاح بين عشـية وصـباح
وعلاقة فصـمت عرى اسـبابها ... كانت أبـر عـلائق الأرواح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم ... فى كل غـدوة جمعـة ورواح

❊ ❊ ❊

اسـتغفر الأخلاق لسـت بجاحد ... من كنت ادفـع دونه وألاحى
أأقول من أحيـا الجماعة ملحد ؟ ... وأقول من رد الحقـوق اباحى

❊ ❊ ❊

فلتسـمعن بـكل أرض داعيـا ... يدعو الى الكذاب أو لسـجاح
ولتشـهدن بـكل أرض فتنـة ... فيهـا يباع الدين بيع سـماح
يفتى على ذهب المعـز وسـيفه ... وهوى النفوس وحقـدها الملحاح

المبحث الثـــالث

مرحلة ما بعد اسقاط الخلافة الاسلامية

بات معلوما أن العالم الاسلامى •• بعد الاجهاز على الخـــلافة الاسلامية ، وما تبعها وما سبقها من تقطيع لأوصال العالم الاسلامى ، وما صاحب ذلك من حملات تبشير واستشراق ان لم تنجح فى تنصـــير المسلمين بما يكافىء الجهود والأموال المبذولة •• فانها أفلحت فى بث الشكوك والوهن فى عقائد المسلمين وأفكارهم •

بات معلوما •• ان العالم الاسلامى صار كجسد مثخن بالجراح •• استرخى •• حتى يمن الله عليه بالعافية أو يتحقق أمل بعيد للصهيونية •• ان يلفظ أنفاسه الأخيرة ومن ثم •• قد كان يكفى ما حدث ••

لكن الصليبيين •• ومن وراءهم — وعوا الدرس •• وهو ما صرح به (جب) من أن صحوة الاسلام تتم بسرعة ••

وخشى أعداء الاسلام هذه الصحوة !

فاتخذوا من الوسائل ما يضمن •• بقاء الجسد الممزق •• هامدا •• مثخنا بالجراح وكان لهم فى ذلك أكثر من سبيل •• أهمها ••

التغيير السياسى ، والاجتماعى •• فى العالم الاسلامى ولنعط كلا كلمة •• بما يسمح به المقام •

الفصل الثانى

التغيير السياسى والاجتماعى فى المنطقة الاسلامية

المبحث الأول

التغيير السياسى

منذ أتيح للغرب الصليبى أن يتسلط على الشرق الاسلامى .. أخذ يحدث التغيير السياسى اللازم .. لبقاء سيطرته أولا ثم لتحقيق الهدف من هذه السيطرة ثانيا فكان :

احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م

وتونس سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨١ م

ومراكش سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م

وللشـــام سنة ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م

وكان احتلال بريطانيا سنة ١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م للهند ايذانا بزوال احدى الدول الاسلامية الكبرى التى قامت فى مستهل القرن الســـادس عشر .

واحتلالها لمصر سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م

والعراق سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م

وفلسطين سنة ١٣٣٧ هـ ١٩١٨ م

ولم يكن ذلك التوزيع وليد الصدفة .. فلقد كشف الاتفاق المنعقد بين بريطانيا وفرنسا ســـنة ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م عن جانب من سياســـة تقطيع أوصال العالم الاسلامى .

وصحب ذلك التقسيم اثارة القوميات المختلفة كالقومية الطورانيـــة فى تركيا .. والقومية العربية فى البلاد العربية .. حتى اقتتل المسلمون تحت قيادة النصارى باسم القومية والتحرير !!

وقد صحب ذلك دعوة خبيثة الى العلمانية •• بمعنى فصل الدين عن الدولة تبنتها جماعات كثيرة مشبوهة الصلات والأهداف من أمثال حزب الاتحاد والترقى فى تركيا الذى كانت من قياداته قيادات يهودية من يهود الدونمة •

وتبع ذلك ••

ما رسم له أعداء الاسلام من قبل •• حين عقدوا أكثر من مؤتمر للنظر فى المسألة الشرقية •• وقد كانت فى البداية تعنى رد الزحف الاسلامى الذى كانت تقوده تركيا على أوربا — ثم لما توقف المد •• انتقل البحث الى كيفية تقطيع أوصال الخلافة •• ثم القضاء على الخلافة بعد ذلك •

ومهما يكن من أمر الأخطاء التى وقع فيها سلاطين تركيا •• وفى مقدمتها أنها جعلت عضلاتها أقوى من عقلها •• ومهما يكن من أمر المظالم التى ارتكبها سلاطين تركيا •• وفى مقدمتها التفرقة الظالمة بين بنى الدين الواحد ، وتميز الأتراك على غيرهم من بنى الأوطان الأخرى ••

مهما يكن من هذه وتلك — مما نسجله ونحذر منه — فلقد كانت الخلافة تظل المسلمين وتجمع شملهم ، وترهب عدو الله وعدوهم ••

من أجل ذلك لم يكتف أعداء الاسلام بتقطيع أوصال دولة الخلافة • بل جاوزوا ذلك الى القضاء على الخلافة نفسها •• ومنع قيامها بعد ذلك فى أى قطر أو وطن آخر !!

وسواء كان ما ارتكبه مصطفى كمال — الشهير بأتاتورك — كان بحسن نية •• كرد فعل لأحداث ذلك الحين التى خطط لها أعداء الاسلام بما يدفع أتاتورك الى الغاء الخلافة ، أو كان بسوء نية استجابة للتخطيط اليهودى — الصليبى •• الذى تبدى فيما ذكره كاتب روسى سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م بعدما طالع بروتوكولات حكماء صهيون من أنه لابد للأفعى اليهودية من أن تمر بالقسطنطينية لتصل الى فلسطين[١] ، وما أعقب ذلك من محاولة زعيم يهودى رشوة السلطان عبد الحميد لمنح فلسطين وطنا قوميا لليهود وبصق الخليفة المسلم فى وجهه ، ثم توعد

---

(١) هو الكاتب الروسى سرجى نيلوس — راجع الخطر اليهود لمحمد خليفة .

اليهود للخليفة ؛ وخلع الخليفة بعد ذلك بقرار حمله ثلاثة اثنان منهم من اليهود ثم ما أعقب ذلك من اعلان وعد بلفور سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٧ م من جانب وزير الخارجية البريطانية بمنح فلسطين وطنا قوميا لليهود وما تم من هجرة لليهود فى ظل ذلك الانتداب البريطانى ، وانسحاب بريطانيا سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م من فلسطين ليتمكن منها اليهود بعد ذلك ، واتفاق المعسكرين الشيوعى والرأسمالى على الاعتراف باسرائيل وتدعيمها .. الأمر الذى لا يزال حتى اليوم باديا ، فروسيا تمد اسرائيل بالقوة البشرية والقوة العقلية ، وأمريكا تمدها بالقوة العسكرية والقوة التكنولوجية .

كل ذلك أو بعضه قد يثير أو يشير الى أن خطوة أتاتورك بالغاء الخلافة لم تكن عن حسن نية ابتغاء المصلحة الوطنية لتركيا — خاصة اذا أضيف اليها ما قيل عن شروط كيرزون لمنح تركيا الاستقلال ومن بينها الغاء الخلافة الاسلامية .

نقول سواء كانت جريمة أتاتورك بحسن نية أو بسوء نية .. فلقد حققت لأعداء الاسلام ما يبغونه .. بنقض عرى الاسلام .. أولها الحكم .. وآخرها الصلاة .

وكان المفروض أن تقف الحملة الضارية على الاسلام والمسلمين عند حد تقطيع دولة الخلافة والقضاء عليها .. لكن الصليبيين .. وعوا من الاسلام درسا هاما عن الاسلام والمسلمين .. وهو ما صرح به أحدهم من أن صحوة الاسلام تتم بسرعة ، وما صرح به بعضهم من أن المسلمين أشد خطورة عليهم من اليهود والبلاشفة والشعوب الصفراء[1] .

---

(١) كتبت احدى المجلات الامريكية تحت عنوان : (محمد يتهيأ للعودة) المسلمون رقدوا ٥٠٠ سنة ويتحركون الان ويتوثبون للسلطان ..

ومن هذه التصريحات ماقاله لورانس براون : كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودى والخطر الاصفر وبالخطر البلشفى الا اننا لم نجد هذا التخوف كما تخيلناه ، لاننا وجدنا اليهود اصدقاء لنا وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الالد ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا أثناء الحرب الثانية أما الصفر (اليابان والصين) فان هناك دولا ديموقراطية كبرى تتكفل بمقاومتها لكن الخطر الحقيقى :

كان فى المسلمين وفى قدرتهم على التوسع والاخضاع وفى الحيوية المدهشة المنيفة التى يمتلكونها .

— وفى كلمة لمسؤول فرنسى سنة (١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م)

ليست الشيوعية خطرا على أوربا — فيما يبدو لى — ان الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الاسلامى والمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال من عالمنا الغربى ، فهم يملكون تراثهم الروحى الخاص ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات اصالة وهم =

وبغض النظر عن مدى صحة ما قرره أولئك •• من خطر الاسلام والمسلمين عليهم فان هذا هو الذى شكل تفكيرهم ، وكان الباعث وراء تصرفاتهم بعد ذلك •

الأسلوب الجديد :

وفى منتصف القرن العشرين ، فى الخمسينيات على وجه التحديد ، قررت الولايات المتحدة الأمريكية أن ترث النفوذين البريطانى والفرنسى فى المنطقة لتحقق نفس الأهداف التى كان يحققها هذان النفوذان[1] •

لكن ان اتفقت الولايات المتحدة مع بريطانيا وفرنسا فى الاستراتيجية والأهداف فلقد اختلفت معهما فى التكتيك والأسلوب ومارست الولايات المتحدة فى مهارة ما يسمى بلعبة الأمم تحقيقا لأهـدافها •• وكان أهم أساليبها فى ذلك الانقلابات العسكرية التى تصنع عن طريقها البطل أو الزعيم الذى تتعلق به آمال الأمة ، فيمتص بذلك ما يمـور فى باطنها ، وما كان يمكن أن يؤدى الى ثورة فى غير صالحها وينحرف بهذه القـوة الموارده داخل الشعوب عن أهدافها التى تتحقق فيها مصالح الغرب •

= جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجتهم الى الاستغراب وفرصتهم فى تحقيق أحلامهم هى اكتساب التقدم الصناعى الذى أحرزه الغرب راجع :

— لم هذا الرعب كله من الاسلام الاستاذ جودت سعيد .
— الخطر الصهيونى على العالم الاسلامى الاستاذ ماجد الكيلانى .
— الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر الدكتور محمد محمد حسين .

(١) ما يلز كوبلاند — لعبة الامم — ص ٣٣ تعريب مراد سرخيس — التوزيع دار الفتح للطباعة والنشر . وقد أشار الى اتصال السكرتير الاول للسفارة البريطانية فى واشنطن (سيشل) بمساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الادنى — وافريقيا ليسلمه رسالة تشير الى اعتزام بريطانيا الى انهاء وصايتها على بعض ارجاء العالم لازمة مالية تمر بها فانها لن تتمكن من القيام بأعباء مقاومة الشيوعية فى كل من تركيا واليونان .

(٢) يشير مايلز كوبلاند — مندوب المخابرات المركزية الامريكية فى الشرق الاوسط فى كتابه لعبة الامم — الى هذه الحقائق حين يقرر :

(أ) لقد كان من المفهوم فى التقارير والوثائق السرية للحكومة الامريكية فى أوائل عام (١٩٤٧ م ١٣٦٦ هـ) أن ديلوماسيتنا وأجهزة مخابراتنا بالحالة التى كانت عليها فى ذلك الوقت يجب أن تعمل لاحداث تغييرات فى قيادات بعض دول الشرق الاوسط .

ويشير المؤلف فى الفصل الثانى من كتابه الى حضور السفير البريطانى الى وزارة الخارجية الامريكية لابلاغها بقرار الحكومة البريطانية وقف مساعدتها لحكومتى تركيا واليونان ويفسر ذلك بأن معناه انسحاب بريطانيا من الشرق الاوسط وضرورة حلول أمريكا محلها فى المنطقة لملء الفراغ .

(ب) على العموم فان ما كنا نحاوله هو ملء الفراغ الناتج عن انسحاب بريطانيا من اليونان وتركيا — هذا الفراغ الذى يشمل كما قلنا من قبل جميع منطقة الشرق الاوسط ص ٢٨ ثم يشير المؤلف الى قرار وزير الخارجية الامريكية دين اتشيسون بالتدخل ولو بالاساليب غير النظيفة =

القوة العسكرية المحلية تقوم بالدور الجديد

لم تعد الشعوب تحتمل أن ترى السترة الصيفراء الأجنبية تحكمها مهما حاولت أن تدعى الصداقة أو حتى أن ترفع راية الاسلام[1] •

وكان لابد من أن ترحل السترة الصفراء الأجنبية •• لكن الباطل لا يستغنى عن القوة •• والا تهاوى وسقط ! ومن ثم كان لابد من أن يبحث عن مصدر آخر للقوة •• حتى يمضى فى تنفيذ مخططه الأثيم لابعاد شعوب الاسلام عن الاسلام •• وهداه شيطانه الى ما نجح فيه الى حد ما ••

استبدل السترة الصفراء الأجنبية •

بالسترة الصفراء المحلية •

وصرح بعض كتابه •• أن هـؤلاء أقدر على التغيير الاجتماعى المطلوب[2] وعرفت المنطقة الانقلابات العسكرية[3] بديلا عن جيوش الاحتلال الأجنبية ومن أمثلة ذلك كما صرح أحد الكتاب الأمريكيين :

سوريا سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م

مصـــر سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م

= (ج) ونتيجة لذلك فانه فى نهاية ١٩٥١ قرر تشـــكيل لجنة خبراء سرية لدراسة العالم العربى فيما يتعلق على الخصوص بالنزاع العربى الاسرائيلى لاستعراض المشاكل واقتراح الحلول سواء كانت تتفق مع اساليب العمل الحكومى النظيف أم لا • ص ٤٨ •

ويشير بعد ذلك الى تدخلهم فى انقلاب حسنى الزعيم (ص ٤٢) فى سوريا والدروس التى استفادوها منها ، ثم استعدادهم للعملية الكبرى فى مصر •

(د) كان روز فلت غير واثق من الانقـلابات العسكرية بعد أن رأى ما أدت اليـــه فى سوريا من فوضى ولكنه وافق على أن يقابل الضباط الذين قدمتهم له المخابرات المركزية الامريكية على أنهم زعماء التنظيم السرى العسكرى الذى يدبر انقلابا عسكريا فى مصر• ص٥٢ •

ثم يشير الى أن من اهداف هذا الانقلاب استبعاد الثورة الشعبية التى يسعى لها — بجد — الاخوان المسلمون ص ٥٤ س ١٥ ، ٥٩ س ٢ وللتمويه يضيف والشيوعيون •

(١) ادعت بريطانيا الصداقة لمصر أثناء احتلالها •• وادعى نابليون من قبـل الاســلام واعلن خليفته فى مصر فعلا اسلامه •• وعندما اقتربت جيوش الالمان من مصر كانت المنشورات فيها توزع باسم محمد هتلر !! ••

(٢) راجع ما كتبه مورو بيرجر ـ الكاتب الامريكى — عن ان النخبات الوطنية أقدر من النخبات الاجنبية فى احداث التغيير الاجتماعى المطلوب •• وتحذيره من الاكتفاء بمجرد فرض التغيير بل لابد من تعهده حتى يعمق فى نفوس المجتمع •

(٣) المرجع السابق ص ٣٠٤ — ٣٠٥ ويذكر صراحة ما يلز كوبلاند فى لعبة الشعوب كان انقلاب حسنى الزعيم يوم ٣٠ آذار (مارس) ١٩٤٩ من امدادنا وتخطيطنا لعبة الامم — ص ٤٩ ثم يقول فى ص ٥٨ — وكان قرارنا الاخير — أن تكون مصر خطواتنا الجديدة •

ومن قبل هؤلاء :

ايران سنة ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م

تركيا سنة ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م

وفى كل مرة يستفيدون من تجارب المرة السابقة ..

فمثلا .. الخطأ الذى وقع فيه كمال أتاتورك فى محاولة فرض التغيير الاجتماعى بالقــوة ..

استبدلت .. القــدوة .. بالقــوة .

مع وسائل الاعلام المختلفة .. وما يصحبها من وسائل أخــرى للتبشير أشرنا اليها .

فقد كان أتاتورك غبيا حين فرض خلع الطربوش بالقوة .

فقد خلعه الناس فى مصر لمــا رأوا رجال الانقلاب الجديد الأبطال لا يلبسونه بدون حاجة الى قانون ! وهكذا !

لكن القوة بقيت لازمة تؤدى أمرين :

أولهما : قمع .. المعارضة والمعارضين .. خاصــة ان كانوا من أصحاب العقائد .

ثانيهما : مساندة الباطل والمبطلين .. فيما يمضون فيه من تخطيط أثيم لابعاد الناس عن الاسلام .

ولبيان هذين الخطين .. نقدم وثيقة جاءت فى حيثيات حكم صدر فى بلد اسلامى .. نسقط منها .. أسماء .. الضــحايا .. وأســماء المجرمين .. لنصل بها الى الموضوعية الكاملة[١] .

تبدأ الوثيقة بالاشارة الى أسماء أعضاء اللجنة التي قدمت معلوماتها واقتراحاتها .. وأكثرهم من رجال المخابرات والمباحث والأمن .

ثم تلخص معلوماتها بالاشارة الى أن « تدريس التاريخ الاسلامى

---

(١) هذا الحكم منشــور فى كتاب (الزنزانة للدكتور جريشــة) ــ الناشر دار الشروق

فى المدارس للنشء بحالته القديمة يربط الدين بالسياسة فى لا شعور كثير من التلاميذ منذ الصغر •• ثم الاشارة الى صعوبة التمييز بين معتنقى الأفكار (•••) وبين غيرهم من المتدينين •• الخ •

ليصل الى المطالبة :

١ — بمحو فكرة ارتباط السياسة بالدين •

٢ — ابادة تدريجية بطيئة مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم بحمل الدعوة الاسلامية ، ولا يقتصر الأمر على هذه الفئة ، بل يمتد الى « كل المتدينين » باعتبارهم يمثلون الاحتياطى الذى يصب فى هذه الفئة !

ومن وسائل الابادة : الاعدام •• والسجن •• والاعتقال ويبلغ الأمر غاية خسته حين تصرح « بالنسبة لنسائهم سواء كن زوجات أو بنات فسوف يتحررن ويتعرضن مع غياب عائلهن وحاجتهن المادية •• الى انزلاقهن » •

وهكذا تفقد الأنظمة العسكرية •• حتى الشرف والكرامة !!

بقى السؤال — لماذا يفضلونها •• وطنية ؟

نسمع اجابتين :

اجابة من الكاتب الأمريكى مايلز كوبلاند •

•• فكان الحكام من « طراز ••• » يعطون الأولوية على غيرهم لأن استيلاءهم على السلطة يوفر أفضل الفرص — أو أقلها سوءا — لنجاح « لعبتنا »[1] •

وفى مكان آخر « ان نموذجا (••• •••) كان من الأهمية بمكان بخصوص اللعبة وانا كنا ملزمين بالبحث عن مثيل له فيما لو لم يكن على قيد الحياة »[2] •

واجابة من الكاتب الأمريكى مورو بيرجر •

وكان الجيش من بين كل جماعات النخبة الوطنية أكثرها دنوا من المشاكل التى تواجهها مصر ، دنوا بالمعنى الحسابى ، والعلمانى ،

---

(١) ، (٢) لعبة الامم ص ٢٨ ، ص ٢٦ •

والواقعى ، وبهذه الصورة كان الجيش أكثر النخبات تغربا[١] .

والواضح من تقرير (....) الموجز أن الضباط كانوا علمانيين يتوقون الى بث التعاصر فى مصر متماشين مع الخط الغربى التكنولوجى .. ولم يكن الضباط على ثبات أيديولوجى ، بل كانوا جماعة علمانيـــة فى البناء السياسى والاجتماعى للحياة المصرية .. الا أن قيادتهم كانت تضع نصب عينيها صورة من مصر العلمانية كما يتصورونها ، ويتحركون صوب هذا الهدف على خط مستقيم[٤] .

ويعمم الكاتب .. وعلى ذلك فبينما يترك الحكام الغربيون منطقـــة الشرق الأدنى تتحول هذه المنطقة فتصبح أكثر غربية ، ويواجه الزعماء العرب طريقين : فهم يطردون .. الغرب سياسيا ويســـحبون الـــكتل الشعبية الى الغرب ثقافيا »[٣] .

ونجيب بعد هؤلاء فنقول بعون الله :

١ ـــ ان النخبة الوطنية التى حلت محل « النخبة الأجنبية » وفرت على الأخيرة أولا : الدم والمـــال التى كانت تبذل فى الحروب الصليبية أو فى محاولات الاستعمار .

٢ ـــ وانها كذلك منعت اثارة المشاعر .. الدينية أو الوطنيـــة .. التى كانت تتحرك حين يرى الشعب الجيوش الأجنبية قادمة .. تتحدى قيمه الدينية .. أو قيمه الوطنية .. ومن ثم فقـــد ميعت المقـــاومة أو منعتهـــا !

٣ ـــ انها بلباس الوطنية .. نفذت المطلوب .. ليس فقط دون مقاومة بل أحيانا مع استحسان الجماهير وحماستها !![٤] .

---

(١) ، (٢) ، (٣) العـــالم العـــربى اليـــوم ص ٣١٢ ، ص ٣١٤ ، ص ٣٤٠ وراجـــع ما قدمنا ـــ والمقصود « بتغربا » الميل الى الغرب فى قيمه ومثله بدلا من قيم الاســلام ومثله .

(٤) وفى هذا السبيل لا بأس من أن تسمح الجهات الاجنبية بمهاجمتها لتكسب الحاكم مزيدا من الصفات الوطنية ولتكسب استحسان الجماهير وحماستها وفى هذا المعنى يقول مايلز كوبلاند

فان مساندتنا لأى زعيم للوصول الى دست الحكم والبقاء هناك حتى يحقق لنا بعض المصالح التى نريدها لابد أن يرتطم بالحقيقة القاسية وهى انه **لابد له من توجيه بعض الاساءات لنا حتى يتمكن** من المحافظة على السلطة ويضمن استمرارها (ص ٥٥ من كتاب لعبة الامم) .

وفى الوقت نفسه يقول السياسى الصهيونى مستر سكوثمان فى مقال يرثى فيه زعيما عربيا » كان الرجل الوحيد الذى اقتنع بضرورة التمايش السلمى مع اسرائيل وكانت لديه الجراة والسلطة الكافية لايجاد الظروف اللازمة لهـــذا التمايش ص ز / مقدمة كتاب الدبلوماسية والميكافيلية فى الملاقات العربية الأمريكية ـــ دكتور محمد صادق .

وفى مكان آخر يقول مايلز كوبلاند :

٤ — أنها استطاعت أن تقضى على كل معارضة •• من أى فئة •• دون أن يتحرك أحد لنصرة هذه الفئة •• بل مع اعتقادهم بما تذيعه « النخبة الوطنية » من أن المعارضين •• خوارج — أو خونة !!

وأخيرا سؤال لا ينفك عن السؤال الأخير •

لماذا يفضلونها •• « عسكرية » ؟

نقول بعون الله :

١ — لأنها « أسرع » فى الوصول الى الحكم ، وأكثر شغفا بالسلطة[1] •

٢ — لأنها « أسرع » فى تلبية الأوامر الخارجية ، والالتزام حرفيا بها ، فهكذا تعلمهم الحياة العسكرية •

٣ — لأن قبضتها « أقوى » بالنسبة •• لأية معارضة أو أية مقاومة •

٤ — أن الطبقة العسكرية فى أغلبها أعدت اعدادا خاصا •• يجعلها « علمانية » و « غربية » •• لا تستنكف الانحلال •• لنفسها ولا لغيرها ومن ثم فهى أنسب الفئات لتنفيذ مخطط الابعاد من « الاسلام » •

٥ — أنها تزيح بذلك احتمال تقدم عناصر دينية •• الى الحكم عن الطريق الشعبى العادى[2] •• !

وليس معنى اللجوء الى الانقلابات العسكرية •• انتهاء الوسائل الأخرى ان القوى الأجنبية المعادية للاسلام لا تزال محتفظة لبعض الأنظمة بالبقاء . . . أولا لأنها تنفذ ما يطلب منها . وثانيا لأنها أضعف من أن تقف يوما فى وجهها وثالثا لأنه داخل هذه الأنظمة نفسها يجرى التغيير •• باستعداء الابن على أبيه والأخ على أخيه بعدما يجرى الاتفاق على الصفقة •• ماذا يبيع لكى يجلس على العرش ؟! ورابعا لأنها حين يبدو العصيان •• يكون الردع سريعا وعنيفا وحوادث

= ان الهدف الرئيسى من دعمتنا (...) هو رغبتنا فى توفر زعيم عربى رئيسى يتمتع بنفوذ قوى على شعبه وعلى بقية العرب له من القوة ما يمكنه أن يتخذ ماشاء من القرارات الخطيرة وغير المقبولة من الغوغاء مثل عقد صلح مع اسرائيل (ص ٨٩ لعبة الأمم) •

(١) لقول مايلز كوبلاند وكان مبتغانا ان ندفع الى الرئاسة حاكما أكثر شغفا بالسلطة (ص ٥٩ من لعبة الامم) •

(٢) ص ٦٣ — ٦٥ من (لعبة الأمم) •

« الاغتيال السياسى » فى المـــاضى القريب شاهدة على ذلك ، وقد كانت موضع تحقيق « الكونجرس » فى فضائح المخابرات المركزية الأمريكية •

وأخيرا •• فان بقاء هذه الأنظمة ـــ فى نظر أعداء الاسلام ـــ رهين بانتهاء العصبيات التى تستند اليها ، وفى المواجهة بزيادة قوة وقـــدرة القوات المسلحة لتولى الأمر •• حينئذ •• سوف تخلعها بيسر وبغـــير حياء •• ولا احترام للود البادى والوفاء الظاهر !!

وهكذا نرى اتفاقا غريبا •• على علمنة التعليم ، وعلمنة الاعلام ، وعلمنة المجتمع كله عن طريق المرأة وعن طريق الشباب •• ليبتعد بذلك عن الاسلام •• نجدها فى الدول الاسلامية رغم اختلاف نظم الحـــكم الحاكمة •• لأن التغيير السياسى وان اختلف أسلوبه •• فالهدف لايختلف وهو التغيير الاجتماعى أو التغريب أو بالعبارة الواضحة : الابعاد عن الاســـلام !

لكن هل انتهت تماما وسيلة الحروب والاستعمار التى كانت سبيل الغرب من قبل لفرض أهدافه وغاياته ؟

لا نستطيع أن نجيب بالنفى •• لأن الحروب انتهت فى أغلب البلاد فى صورتها العسكرية ، واستبدلت بها الحرب الفكرية والنفسية لتحطيم عقيدة الأمة ومبادئها •

ولا نستطيع أن نجيب بالاثبات •• لأنها لا تزال تستعمل فى نطاق محدود وهو ما اصطلح الغرب على تسميته بالحرب المحدودة •• واحتلال الجيوش الأمريكية لشواطىء لبنان سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م مثل قريب وتحركات الأسطول السادس كذلك •

لكن فى رأينا أن الحرب المحدودة ارتدت كذلك ثوبا محليا فأصبحت الجيوش العربية أو الاسلامية تسلط لهذا الغرض وتدخل سوريا فى لبنان مثل قريب • وانفصال بنجلاديش عن باكستان من قبلها مثل قريب كذلك !

المبحث الثــانى

التغيير الاجتمــاعى

ما يبغى الغرب منــا ٠٠ ؟

فى البداية ٠٠ كان الهدف واضحا ٠٠ اخراج المسلمين من دينهم وادخالهم الى دين آخر — كما وضح ذلك من كلام المبشرين ٠

ثم لمــا صارت عملية « التنصير » بلغة الأرقام صعبة ان لم تكن مستحيلة بين الشعوب التى تدين بالاسلام ٠

اقتصرت العملية على الجزء الأول منها اخراج المسلمين من دينهم وكانت الوسائل الى ذلك هى نفس الوسائل « وسائل التبشير » الأولى التى كانت تقوم بالشقين الاخراج من الاسلام ، والادخال فى الدين الآخــر ٠

ونجحت الخطة الثانية ٠٠ ولا تزال تعمــل فى كثير من البقـــاع الاسلامية ٠

ثم كانت الخطة الثالثة ٠٠ التى لا تذهب الى عملية الاخـــراج من الدين تماما ولكنها تكتفى بالابعاد ٠٠ الابعـــاد عن الدين ٠٠ من غير استعمال لفظ الابعاد حتى لا يستثير حفيظة المسلمين أو تنبيههم الى حقيقة الهدف ، وكانت وسائل التبشير الأولى هى التى تستعمل لتحقيق الهدف الجديد ٠٠ مع تطوير فيها يجعلها أكثر نعومة ، وأكثر فاعلية ٠

اذا فالهدف هو ابعاد المسلمين عن الاسلام باعتباره الخطر الكامن كما يتصور الغرب أو يتوهم — وقد كانت الاشارة الى هذا الهدف تحت اصطلاحات أكثر تهذيبا مثل التغريب أو التغيير الاجتماعى[1] ٠

---

(١) راجع فى ذلك كتاب : الحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين وكتاب : العالم العربى اليوم — للكاتب الامريكى مورو بيرجر ٠

معنى التغيير الاجتماعى وصلته بالتغيير السياسى :

ان النخبة العسكرية فى الشرق الأدنى فى مصر والسودان ، والعراق وتركيا وايران وباكستان كانت عوامل هامة فى جلب التغيير الاجتماعى .

وتشترك النخبات العسكرية العربية عميقا فى الاعتقـــاد بضرورة التغيير الاجتماعى السريع .

أما الآن فقد قبلت التأثيرات الغربية فى الشرق الأدنى الى درجـــة تجعل من الصعب التحقق من أن امرءا ما قد ذهب أو لم يذهب الى أوربا أصلا ، فقد أصبح العرب « متغربين » بدون أن يتكلفوا عبء الذهاب الى أوربا .

فبينما يترك الحكام الغربيون منطقة الشرق الأدنى ، تتحـــول هذه المنطقة فتصبح أكثر غربية ، ويواجه الزعماء العرب طريقين :

فهم يطردون الغرب سياسيا ، ويسحبون الكتل الشعبية الى الغرب ثقافيـــا[1] .

التغيير الاجتماعى اذن .. يعنى تغيير قيم الأمة ومثلها .. تغيير ثقافتها وأخلاقها وعقيدتها .. وبعبارة واضحة .. ابعاد المســـلمين عن دينهم .

والتغيير الاجتماعى ، قد يسمى التغريب .. وقد يسمونه المدنيـــة أو التطور أو التقدم وأيا ما كانت الحال فلن يكون هنـــاك ســـبيل الى التراجع ان العمل يسير بجد ونشاط فى ادخال المدنيـــة الغربيـــة الى مصـــر .

وهو يأخذ طريقه بتقدم ونجاح حسب خطة مرسومة ، وضعت خطوطها بعد دراسة الموقف .. تقوم على التطور والتدرج[2] .

وواضح أن التغريب ، أو التغيير الاجتماعى .. الذى كان يجـــرى على أيدى المحتلين والمستعمرين ، صار يجرى اليوم ــ فى أكثر الأحوال ــ

---

(١) راجع مورو بيرجر فى العالم العربى اليوم صفحات ٣٠٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ .

(٢) الفقرة الثالثة من تقرير اللورد كرومر سنة ١٩٠٦ ص ٨ من النسخة الانجليزية .

على أيدى « النخبات الوطنية » التى هى فى أكثر الأحيان «عسكرية»[1].

هذا هو الهدف .. التغيير الاجتماعى .. الذى يعنى فى الحقيقة ابعاد الأمة عن دينها فى شتى نواحى الدين التى تشمل شتى نواحى الدنيا .

ولكن لهذا الهدف وسيلة أو وسائل وأساليب هى التى تمثل « التكتيك » الجديد لغزو الغرب الفكرى .

ويحسن أن نعرض لها فى مبحث مستقل .

---

(1) يشير الكاتب الامريكى الى تقرير لزعيم مصرى جاء فيه أن الضباط كانوا علمانيين (ستعرف معنى العلمانية فى الصفحات القليلة القادمة) يتوقون الى بث التعاصر فى مصر متماشين مع الخط العربى التكلوجى ..

ولم يكن الضباط على ثبات ايديلوجى ، بل كانوا جماعة علمانية فى البناء السياسى والاجتماعى للحياة المصرية ص ٣١٣ ع، ٣١٤ من المرجع المذكور ويضيف الكاتب الامريكى أن معيار ذلك الزعيم فى الضابط الكفء ، هو استنتاجا على الاقل تعرفه الى الغرب » وينقل الزعيم مدحا لرئيس هيئة اركان الجيش المصرى فى الحرب العالمية الثانية : كان متقبلا للافكار الحديثة لكثرة زيارته لفرنسا وانجلترا والمانيا) ص ٣١٠ من كتاب العالم العربى اليوم . للكاتب الامريكى مرو بيرجر .

المبحث الثالث

أساليب التغيير الاجتماعى

« أو التغريب »

يتخذ الترتيب لأحداث التغيير الاجتماعى الذى يبعد الأمة الاسلامية عن اسلامها •• يتخذ خطة « استراتيجية » طويلة المدى حتى لا تحس الأمة الاسلامية بالهدف البعيد •• بل قد لا تحس بالأسلوب الذى يجرى به التغيير •• وكأن هذا التغيير يتم تلقائيا •

* وأهم ما فى هذه الاستراتيجية من تخطيط •• ان يتخذوا لهدفهم رسولا منا « من أنفسهم » ، « وأن يقطع الشجرة أحد أعضائها » الأمر الذى يجرى فى التغيير السياسى سواء عن طريق الانقلاب العسكرى ، أو الاغتيال السياسى بالأساليب التى أشرنا اليها •

* يلى ذلك أنهم يخاطبون بهؤلاء الأعضاء •• يخاطبون بهم فكر الأمة وعقيدتها ، ومن ثم يجرى التغيير أول ما يجرى •• داخل العقول والقلوب •• ثم ينتقل بعد ذلك الى مجال الأخلاق والتقاليد والعادات •• ويبلغ الإهتمام بأحداث التغيير أدنى مظاهره كأكل الطعام باليد اليسرى ، والقاء التحية بغير تحية الاسلام •

* ولولا كتابات كتبها مفكروهم لتوجيههم الى أحسن الوسائل لبلوغ أسوأ الأهداف وأخبثها ما استطعنا أن نعرف شيئا عن «استراتيجية» الغرب أو تكتيكه •• نحو هذه الأمة المسلمة وقبل ذلك •• لولا فضل الله ورحمته •• لانتهت هذه الأمة نتيجة ذلك التخطيط العميق والتنفيذ الدقيق لابعاد الأمة عن دينها •

* واذا كانت أساليب التغيير الاجتماعى تتجه الى فكر الأمة وعقلها ثم الى عقيدتها وقلبها فانها تعتمد على وسائل **الاقناع المختلفة** •

وتخطط لها تخطيطا علميا يقوم عليه علماء النفس وعلماء الاجتماع فوق أجهزة التخابر والاحصاء المختلفة •

ويسير التخطيط على جعل وسائل الاقناع المختلفة فى أيدى غير المستمسكين بالدين •• فاذا أفلت متدين الى هذه الوسائل احاطتـــه بوسائل الاغراء والاحتواء المختلفة حتى تنحرف به عن السبيل القويم •

وتحت شعارات : العلمانية ، والقومية ، وتحرير المرأة •• تجرى وسائل الاقناع المختلفة لتحقيق ابعاد الأمة عن دينها ••

ونحاول بمشيئة الله بحث هذه الثلاثة لنتبين كيف يجرى بها ابعاد الأمة عن دينهـــا •

أولا : العلمانيـــة

معنى العلمانية :

قد تشعر الكلمة فى اشتقاقها أنها تعنى رفع شعار العلم •• ومن ثم فلا تعارض بينها وبين الاسلام •• بل انها احدى وسائل الاســـلام وبعض أهدافه !

وهو ما نحسب أنهم قصدوا اليه حين ترجموا معنى الكلمـــة فى لغتها الأصلية •• ليقع المسلمون •• فى هذا الوهم !!

ان العلمانية ترجمة للكلمة الانجليزية Secularity وهذا اشتقاق من Secular وهى مرادفة للكلمة الانجليزية Unreligous أى لا دينى أو غير عقيدى ومن ثم كانت العلمانية تعنى اللادينية !!

ومن هنا نفهم اعلان البعض عن قيام دولة علمانية •• أو عن رغبة البعض الآخر فى ذلك !

ونفهم سر اختيار الكلمة •• انهـــا تعبر عن المقصود •• دون صـــدم للمشاعر والاحاسيس !

ولنـــا أن نتصور الفارق بين الاعلان عن دولة علمانية أو الاعلان عن دولة لا دينية !

من هنـــا نحس خبث ترجمة الكلمة الى لفظ العلمانية ، ونحس خبث الذين يستعملون هـــذا اللفظ دون اللفظ الـــكاشف عن المعنى المقصود •• ونحس مع هذا كله بواجبنا لتعرية هذا اللفظ الخبيث على حقيقته !

العلمانية •• بين الغرب والشرق :

لم يكن غريبا فى الغرب •• ان تجد العلمانية مكانها •• فقد فرضت ذلك ظروف الغرب ••

نتيجة تسلط الكنيسة وتحالفها مع الظالمين على شعوب الغرب المختلفة ووقوفها فى وجه كل تفتح فكرى أو كشف علمى •• وتجاوزها ذلك الحجر على العقول •• الى حجر اخطر على القلوب •• حين فرضت صكوك الغفران وقرارات الحرمان •• وراحت تتاجر بهـا وتتخذها وسيلة للكسب الحرام !!

وغرقت أوربا فى دماء ضحايا الكنيسة •• حيث سقط المئات بل الآلاف تحت مقاصل محاكم التفتيش ومشانقها •• غير من غيبوا فى غياهب السجون ••

واذا كانت سنة الله فى الكون •• أن لكل فعل رد فعل مساويا له فى القوة ومضادا له فى الاتجاه •• فلقد وقع الصراع صراع العلم مع الكنيسة وانتهى باعلان العلمانية التى تعنى فصل الدين عن الدولة ، وتقلص سلطان الكنيسة داخل جدرانها !! •

وفضلا عن أن ظروف أوربا التاريخية •• كانت تبرر انتشار العلمانية وفصل الدين عن الدولة •• فلقد كانت ظروف الديانة المسيحية بعدما أدخل عليها من تحريف كان اليهود وراء أكثره ــ كانت ظروف الديانة المسيحية تسمح كذلك بوجود علمانية الى جانب الدين •

وليس غريبا بعد ذلك أن يكون اليهود وراء فصل الدين عن الدولة كما صرح بذلك كاتب أمريكى[1] بغية القضاء على بقايا الدين الذى حرفوه بتعطيله وحبسه عن المجتمع داخل جدران الكنيسة •

وليس غريبا بعد ذلك أن نسمع عن أن الدين الذى حبس داخل جدران الكنيسة قد جرى فيه التطوير •• حتى صارت الصلاة تؤدى على أنغام الموسيقى ثم تعقبها حفلات الرقص بين الجنسين تحت الأضواء الخافتة الحالمة وبين الألحان الدافئة والساخنة •• تحت سـمع وبصر رجال الدين •• بل تحت « رعايتهم وتوجيههم » السديد •

---

(١) وليام فاى كار فى كتابه : احجار على رقعة الشطرنج .

وكانت أوربا قد بلغت فى التقدم العلمى « التكنولوجى » درجه جعلتها ولو الى حين — تستطيع أن تقيم نهضة مادية •• بهرت النـــاس فى أكثر الاحيان •

وحين أريد •• نقل العلمانية الى الشرق الاسلامى غفل المسخرون عن علم أو عن جهل — غفلوا عن هذه الظروف جميعا غفلوا عن أنه ليس فى ظروف الشرق الاسلامى التاريخى ما يبرر فصل الدين عن الدولة ، فلم يكن ثمة اضطهاد من رجال الدين الاسلامى — اذا صح التعبير للمقابلة مع رجال الكنيسة — لم يقع اضطهاد من علماء المسلمين •• للعـــلم أو للعلمـــاء ••

ولم يكن فى تاريخنا الاسلامى محاكم تفتيش •

ولا صكوك غفران وقرارات حرمان •

والذين انحرفوا من العلماء عن جادة السبيل الى ممالأة الحكام ••

لفظتهم الأمة وجعلتهم وراء ظهـــورها •• والذين كانوا لســـان صـــدق •• حملتهم فى حنايا صدورها وقدمتهم فى أول صفوفها ••

كذلك لم تكن الديانة الاسلامية لتسمح بالفصل بين الدين والدولة لأن الدولة فى فقه الاسلام قسم للدين لا قسيم •• فلا دين بغير دولة ولا دولة بغير دين ••

كذلك لم تكن الديانة الاسلامية لتسمح بقيام العلمانية الى جوار الاسلام •• بمقولة ان الاسلام يبقى داخل دائرة العقيدة والشعيرة •• وتعمل العلمانية فى دائرة الشريعة لأن الاسلام عقيدة وشعيرة وشريعة •• وهو فى هذا لا يقبل التجزئة ولا التفرقة •• ولا يرضى أن يكون مع الله أرباب آخرون أو قياصرة آخرون يدين لهم الناس فى مجال الشريعة كما يدينون لله فى مجال العقيدة والشعيرة ••

كذلك مع التسليم جدلا بصحة نظرة الغرب التى اعتنقها الحاقدون أو الجاهلون فى الشرق الاسلامى •• فلم يكن الشرق الاسلامى قد وقف على قدميه وبلغ التطور العلمى والتكنولوجى الذى بلغه الغرب ليطرح الدين جانبا ويرفع شعار العلمانية •

ومن ثم حرم الشرق الدين •• كما حرم الدنيـــا •• وارتضى

بقشور تورثه الترف والدعة •• وتبعده كثيرا •• عن الجد والجهاد والعمل ••

وســـائل نشر العلمانية :

حرص الغرب منذ وطئت أقدامه التراب الاســـلامى على نشر العلمانية بأكثر من سبيل ، وحين ورثت النخبات الأجنبية « النخبات الوطنية » مكان السلطة وبوأتها كراسيها حرصت على زيادة نشر العلمانية بكل الوسائل •• وضعت خبراتهـــا « العلمية » والتكنولوجية لتحقيق هذه الغاية •

ومن ثم فلم يكن غريبا أن نسمع عن بلاد اسلامية متخلفة من الدرجة الثالثة أو الرابعة •• تدخل فيها « التليفزيون » •• قبل أن تمحو من أبنائها الأمية التى تربو على الثمانين أو التســـعين فى المائة •• بل اننا نسمع عن ادخال التليفزيون الملون فى بلاد متخلفة جدا وأحيانا فقيرة جـــدا •

أما مجالات نشر العلمانية ووسائلها فقد كانت : أولا فى التعليم ، ثانيا : فى الاعلام ، صحافة واذاعة ، وتليفزيون ، وسينما ، ومؤلفات ، ثالثا : فى القانون •• ويحسن أن نعرض لكل بكلمة :

أولا ــ التعـــليم :

ان التعليم الوطنى عندما قدم الانجليز الى مصر كان فى قبضة الجامعة الازهرية الشديدة التمسك بالدين ، والتى كانت أساليبها الجافة القديمة !! تقف حاجزا فى طريق أى اصلاح تعليمى ، وكان الطلبة الذين يتخرجون فى هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الدينى !! ولا يصيبون الا قدرا ضئيلا من مرونة التفكير والتقـــدير ، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت هذه خطوة جليلة الخطر •

ولكن اذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الأمل محصورا فى اصلاح التعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح ، وعندئذ فسوف يجد الأزهر نفسه أمام

أحد أمرين : فاما أن يتطور •• واما أن يموت ويختفى[1] •

❋ هذه كلمات اللورد كرومر •• الذى حكم مصر المسلمة ممثلا للاحتلال الانجليزى يساعده دنلوب وهو أحد خريجى كلية اللاهوت فى لنــــدن •

❋ تكملها كلمات للمستشرق جب (وفى أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة لأبعد من ذلك بانماء التعليم العلمانى تحت اشراف الانجليز فى مصر والهنـــد[2]) •

❋ وأخيرا تكمل هذا كلمات زعيم المبشرين النصارى «زويمر » يقول على جبل الزيتون فى القدس ابان الاحتلال الانجليزى لفلسطين ســـنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) (لقد قبضنا أيها الاخوان فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الاسلامية وانكم أعددتم نشئا فى ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها (!) وأخرجتم المسلم من الاسلام ، ولم تدخلوه فى المسيحية وبالتالى جاء النشء الاسلامى طبقا لمـــا أراده له الاستعمار المسيحى لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه فى دنياه الا فى الشهوات •• فاذا تعلم فللشهوات ، واذا جمع المـــال فللشهوات وان تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات يجود بكل شىء) •

كانت تلك هى النصوص ••

ومفادها •• أنه لمـــا كانت البلاد الاسلامية فى سابق عهدها اسلامية التعليم ، فقد كبر على الاستعمار الغازى أن يترك للمسلمين دينهم ، بعد أن أبى عليهم ان يترك لهم أرضهم ••

وكان لابد له أن يحقق لهم « جهالتهم » بالدين ليتحقق فيهم من بعد أن من جهل شيئا عاداه •

وكان له فى ذلك أكثر من سبيل ••

---

(١) تقرير كرومر لسنة ١٩٠٦ م الفقرة ٣ ص ٥ والاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين ج ١ ص ٢٧٥ .

(٢) وجهة الاسلام تاليف المستشرق جب وآخرين ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريدة .

أما السبيل الأول •• فهو ما لجأ اليه من حصر التعليم الدينى وحصاره ماديا •• ومعنويا •

فاما الحصر والحصار المادى •• فقد كان يفتح التعليم اللادينى فى مواجهته وتشجيعه وهو ما أشـــار اليه المستشرق جب « بانماء التعليم العلمانى تحت الاشراف الانجليزى فى مصر والهنـــد » •

وتم مع ذلك تضييق الموارد المادية على التعليم الدينى •

واغداقها على التعليم اللادينى •

وأما الحصر والحصار المعنوى فهو ما لجأ اليه من تنفير وسخرية بطالب العلم الدينى وبأستاذه وبالتفرقة بين استاذى الدين ، والمواد الأخرى •• فى كل شىء •• تفرقة مرسومة مقصودة ثم بالتفرقة بين خريج المعاهد والكليات الدينية وبين زملائه فى الكليات الأخرى •• فمناصب المعاهد والكليات الدينية محدودة ، متواضعة فى المظهر وفى الأجر • ومناصب المعاهد والكليات الأخرى عديدة كثيرة فارهة المظهر ، والأجر • وفى اللاشعور •• يرسب ذلك كله •

نفورا من الدين ••

واقبالا على غير الدين ••

من حيث لا يدرى الطالب الصغير أو الكبير ومن حيث لا يشعر •

وأما السبيل الثانى •• فكان الابتعاث الى الخارج •• الى الدول غير الاسلامية وحقق ذلك الابتعاث نتائجه الباهرة المقصودة •

فهو أولا يزيد طالب التعليم العام جهالة بدينه وقيمه ومثله ويزيده تعلقا بقيم الغرب أو الشرق ومثله وهو من ناحية أخرى يبدأ بتطبيعه بطباع غير اسلامية •• ثم يصير التطبع مع الزمن طبعا وينسلخ الطالب من حيث لا يشعر حتى من تقاليده •• فى الملبس والمأكل والمشرب وطريقة التعامل ويغدو غربيا •• أو شرقيا •• ربما أكثر من الغربى أو من الشرقى •

وحول هذا المعنى يقول أحد الكتاب الغربيين « فبينما يترك الحكام الغربيون منطقة الشرق الأدنى تتحول هذه المنطقة فتصبح أكثر غربية ويواجه الزعماء العرب طريقين •

فهم يطردون الغرب سياسيا ويسحبون الكتل الشعبية الى الغرب ثقـــافيا[1] » •

ولقد بدأ هذا السبيل مبكرا ••

ربما ليسارعوا الى تخريج الأساتذة التى تجرى « تفريخ » مبادئهم بعد ذلك فى بلادهم بغير حاجة الى ابتعاث الجدد ، وبغير حاجة الى جهد غير وطنى • وهو ما يصرح به نفس الكاتب السابق حين يقول ••

« اما الآن فقد قبلت التأثيرات الغربية فى الشرق الأدنى الى درجة تجعل من الصعب التحقق من أن امرءا ما قد ذهب أو لم يذهب الى أوربا أصلا ، فقد أصبح العرب « متغربين بدون أن يتكلفوا عبء الذهاب الى أوربا » •

ومثل ذلك هو الشيخ رفاعة رافع الطهطـــاوى الذى ابتعث الى باريس خمس سنوات (١٨٢٦ — ١٨٣١) ليعود بعدها يصرح بأن الرقص الغربى (الذى تتلاصق فيه الاجساد وتختلط الانفاس وتتلاقى النظرات) بأن هذا الرقص لون من العياقة والشـــلبنة (أى الفتوة) ثم ينادى بالفرعونية (وهى فى ميزان الاسلام جاهلية وعصبية منتنة) ينادى بهـــا بديلا عن الاســـلام •

ومن بعد رافع •• كان طه حسين وكتاباته فى مستقبل الثقـــافة فى مصر وفى مرآة الاسلام •• ومن قبلها فى الشعر الجاهلى •• لا تحتاج الى تعليق لكل ذى بصر اسلامى ••

ومع طه حسين •• قاسم أمين •• الذى نادى فى مصر بتحرير المرأة وان نسب البعض كتابته الى الشيخ محمد عبده « والزعيم » سعد زغلول وقـــد خشى الزعيمان على شعبيتهما فحملا قاسم العبء •• وحمله أنه كان ظلوما جهولا ••

كل هؤلاء •• لم تكن ثقافتهم ولا تربيتهم محلية ••

ومن ثم فلم يكن غريبا ما صرحوا به أو اذاعوه •

بل كان ذلك جزءا من مخطط رهيب اثيم لهدم قيم الاسلام ومثله •

ولا يزال الابتعاث •• رغم ما خرج من أساتذة يقومون بنفس

---

(١) العالم العربى اليوم — مورو بيرجر •

الدور • لا يزال له دوره •• وبخاصة فى البلاد التى تسمى « نامية » والتى يخشى ان تتجه بصدق الى الاسلام •• لا يزال الابتعاث يولى أهمية كبيرة لهذه البلاد باعتبارها بكرا « ويصل الاهتمام الى حد نزول الابتعاث من مرحلة ما بعد الجامعة الى مرحلة ما بعد الثانوية العامة •• حيث سن المراهقة الخطير •• ينتقل فيه الشاب من المجتمع المغلق الى المجتمع المفتوح ، والمفتوح جدا •• فتنقلب موازين عقله بعد موازين قلبه ، كما حدث فى درس رفاعة رافع الطهطاوى (الصعيدى) •

كما يصل الاهتمام حد الحرص على ايفاد المبعوث •• سنة كاملة كل خمس سنوات بعد عودته من بعثته المباركة وتوليه أهم المناصب •

وهكذا •• يستمر الرضاع بين الأم ووليدها •• دون فطام ••

وهكذا •• يتولد ضمان استمرار « الولاء » و « الوفاء » • أو ما هو أشـــد من الولاء والوفاء ••

وأما السبيل الثالث : فهو انتشار المدارس الأجنبية فى البـــلاد الاسلامية وقد كان فى البداية سبيلا لتنصير المسلمين •• وعلى هذا نصت بعض مؤتمرات التبشير وعلى هذا نفهم انشاء الكلية الأنجيلية فى بيروت • وانشاء الجامعة الأمريكية فى مصر[1] •

لكن استفادة من نصائح زويمر •• لم يعد مطلوبا ادخال المسلمين الى المسيحية أنه يكفى اخراجهم من الاسلام •

وعلى هذا تعمل المدارس الأجنبية حاليا فى البلاد الاسلامية •

وأقل ضرر لهـــا •• هو الازدراء باللغة العربيـــة ، وتمجيد اللغة الأجنبية بما يترتب على الأمرين من آثار خطيرة فى اللاشعور •

وأقل ضرر لها •• هو الازدراء بالدين •• بعد أن تعمد الى تقديم مدرسة متهدما فى مظهره ومخبره ، مثيرا للســخرية والاشمئزاز من صغار الطلاب وكبارهم على السواء • بينما يظهر رجل الدين عندهم على نحو مخالف يولد الرهبة والاحترام وقد يولد الحب والود والألفة •

---

(١) راجع قرارات مؤتمر القاهرة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م ومؤتمر لكنؤ بالهند (١٣٢٩ ـ ١٩١١ م) فى كتاب الغارة على العالم الاسلامى •

وأما السبيل الرابع : فقد كان تمييع المناهج الاسلامية باسم التطوير وقد رأينا ان كرومر قد دعا الى تطوير الأزهر .

ورأينا خلفاء « كرومر » يقومون بالتطوير بعد خمسين سنة أو يزيد . ومع كرومر أو قبل كرومر نادت بذلك مؤتمرات التبشير .

ولم يكن الأمر قاصرا على مناهج المعاهد والكليات الدينية .. ان الأمر امتد الى مناهج « الدين » فى التعليم العام .. فاقتصرت على القشور .. واحتوت على التعقيد .. وصاحبها سوء اختيار معلم الدين الذى كثيرا ما يكون متعمدا .. ليورث فى اللاشعور كراهية الدين والسخرية منه ..

وأما السبيل الخامس والأخير .. فقد كان نشر الاختلاط بين الجنسين فى مراحل التعليم وقد بدأوا بها فى الجامعات .. فى أكثر البلاد الاسلامية .. تحت دعوى التقدم والتمدين ، ونشر الروح الجامعية ، وكأن التمدن والتقدم ونشر الروح الجامعية لا يتم الا باشعال نار الغرائز وتأجيج سعار الشهوة .. فى سن الشباب الملتهب .

وقالوا فى تبرير الاختلاط الكثير .. مما هو غير صحيح حتى فى غلمهم هم .. فقد قالوا ان الاختلاط يشذب الغريزة ويهذبها .. وأثبت العلم أن الاختلاط لا يخلو من أحد أمرين :

اما ان يشيع « البرود الجنسى بين الجنسين » .. وهذا مرض تشكو منه بعض البلاد وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية .

واما ان يؤجج سعار الجنس ويزيد لهيبه .. وهو ما تؤكده تجربة القط والفأر اللذين اتيا بهما وهما رضيعان ثم وضعا فى قفص صغير واحد ، وظلا يأكلان سويا من طبق واحد ، حتى اذا جاء موعد ظهور الغريزة ، ولكل غريزة موعد انقض القط على الفأر فأكله ولم تشفع له عشرة طالت ولا اختلاط دام ..

وتوسعوا فى أمر الاختلاط .. فجعلوه فى المرحلة الابتدائية .. وهى عند البعض قد تضم بعض سنوات المراهقة .. وجعلوه فى المرحلة الثانوية وهو أخطر ما يكون ..

وتزداد المهزلة .. حين يجعلون على هؤلاء المراهقين .. مدرسات .. لتمتد النيران ما بين التلاميذ والمدرسات .. فتنهدم قيمة احترام

المدرس مع ما ينهدم من قيم بالاختلاط أو مع الاختلاط .

وتأكيدا لهذا السبيل الآثم .. تحرص كثير من المؤلفات على التهوين .. من مقدمات الزنى التى لابد أن تفضى اليه الا من عصم ربى .. وقليل ما هم .

ففى أحد كتب مؤسسة فرانكلين الأمريكية التى تنتشر فى أحد البلاد الاسلامية يقول « فبدلا من فصل البنين عن البنات يجب أن نعمل على اشراكهم معا فى الأعمال الممتعة ومواقف اللعب واذا حدث استلطاف بين بعض البنين والبنات فينبغى النظر اليه على أنه نوع من الصداقة وليس غراما أو عشقا ..

وعبثا تحاول المؤسسة الأمريكية أن تخلع عن الحرام اسم الحرام . وأن تخلع عليه ثوب « البراءة » الكاذب .

وفى مكان آخر ولنفس المؤسسة :

« ان خروج الفتيات فى صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التى يستطيع معظم الآباء تقبلها فى الوقت المناسب على أى حال باعتبارها جانبا من جوانب النمو الجسمى للمراهق وفى مكان آخر :

وفى كل علاقة بين فتى وفتاة يشعر كل منهما فى بعض الأحيان بدافع يحفزه على التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسه أو ضغطه على اليد أو قبلة ، والكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبيعى.

وأخيرا ..

فالشوق الى القبلة أو بعض الغزل الرقيق أو الانصات الى قصة فيها تلميحات جنسية .. هذه ليست أمورا شائنة[1] » .

وقد سبق خطوة الاختلاط فى الدول الاسلامية المتقدمة .. خطوة تمر بها الآن الدول الاسلامية « غير المتقدمة » وهو التوسع فى تعليم البنات .

وتعليم البنت فى حد ذاته قد لا يكون هو مصدر قلق .. لكن التوسع فى هذا التعليم من غير تخطيط اسلامى بل ولا حتى فطرى .. هو مصدر القلق كله .

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها ــ للدكتور محمد محمد حسين . مكتبة المنار الاسلامية ــ الكويت .

ذلك أن انكار اختلاف فطرة المرأة عن الرجل غباء أو تغابٍ فلا شك في هذا الاختلاف ..

ومن ثم وجب اختلاف المناهج وفقا لهذا الاختلاف ، ووجب اختلاف مجالات العمل كذلك تبعا لهذا الاختلاف .

ذلك لو كان الذين يخططون لتعليم البنـــات .. يصدرون عن فهم اسلامى أو حتى عن فهم ذاتى مبرأ من التدخل الأجنبى .

أما ان يصير الأمر مجرد مزاحمة للبنت مع الولد بحجة التمدين والتحضر حتى لو صادم ذلك فطرتها وطبيعتها .. بحيث ترى البنت مهندسة وصانعة وعاملة فى الافران .. فذاك لا يقره عاقل .

كذلك يسبق خطوة الاختلاط خطوة أخرى .. هو تعرية المرأة « المسلمة » أو كشف الحجاب عنهـــا .. كذلك تحت دعاوى التحرر والتمدين وما حدث فى الكويت الشقيقة منذ سنوات أقرب مثل .

لقـــد كانت الكويت — وهى جزء من الجزيرة العربية . تفرض عادتها الاسلامية الحجاب على المرأة .

وبغض النظر عن الخلاف الفقهى فى صدد كشف وجه المرأة .

فان الأمر لم يقتصر على كشف الوجه .. بل كشفت المحارم التى لا خلاف على حرمتهـــا .

وكان آخر ما قدمته الكويت المسلمة .. احراجا لضيف كبير مسلم أن رقصت فتياتها المراهقات بملابس قصيرة تكشف عن أفخاذهن وبأداء متكسر مثير .. أمام الضيوف الكبار الذين امتدت بهم الجلسة الى ما بعد منتصف الليـــل .

وهكذا يسبق التحرر الاختلاط .. ليزول الحياء قبل الاختلاط فيسقط آخر مانع يحول دون اشتعال النـــار .

وهكذا ينزوى التعليم الدينى .

مع ذلك الضجيج الهائل من حوله .. ومع ذلك التخريب الهائل من داخله وهكذا مثلت « الازدواجية » فى التعـــليم تكتيكا مرحليـــا « مارسه أعداء الاسلام فى الشرق الاسلامى المسكين » .

وترتب على هذا الازدواج بالوضع الذى اشرنا اليه نتائج خطيرة :

١ — فهى أولا ادت الى تمزيق المجتمع الاسلامى •

بين طائفة العلمانيين الواردين من الخارج أو المتخرجين فى الداخل •

٢ — وهى ثانيا ادت الى ابعاد العلمانيين عن الاسلام •

٣ — وهى ثالثا جعلت الأمر الى أيدى هؤلاء العلمانيين •

٤ — وهى رابعا أدت الى الازدراء من شأن الدين والازدراء بطلابه ومعلميه •••

ثانيـــا ــ العلمـــانية فى الاعـــلام :

العلمانية فى التعليم أقدم وأخطر •

والعلمانية فى الاعلام أعم وأشمل •• ومن هنا تكمن خطورتها •

أن التعليم قد يخاطب الآلاف بمناهجه •

لكن الاعلام يخاطب الملايين ببرامجه •

وأكثر هذه الملايين •• ساذجة تؤثر فيها الكلمة •

مقروءة •

أو مسموعة •

أو منظـــورة •

فان كانت طيبة •• كانت كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربهـــا •

وان كانت خبيثة •• كانت كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار • من هنا •• كان اهتمام الاسلام بالكلمة وأمانتها •

فاما أن ترتفع بالمؤمن الى معية سيد الشهداء •

واما أن تهوى بقائلها فى النار سبعين خريفا •

وللأسف فاننا نستطيع باطمئنان أن نقرر :

أن وســـائل الاعلام المختلفة من صحافة ، وأذاعة ، وتليفزيون وسينما مسخرة اليوم لاشاعة الفاحشة ، والاغراء بالجريمة ، والسعى بالفساد فى الأرض بما يترتب على ذلك من خلخلة للعقيدة ، وتحطيم للاخلاق والقيم والمثل •• وهما (العقيدة والأخلاق) أساس لبنـــاء الاسلام فاذا انهدم •• الأساس فكيف يقوم البناء ؟؟ •

وتتفاوت درجات الفساد فى وسائل الاعلام •• تبعا لهذه الوسائل فهى فى السينما أشـــد ••

يليها التليفزيون •

والاذاعـــة •

والصـــحافة •

كذلك تتفاوت درجات الفساد بين أقطار الاسلام المختلفة •

قـــد يقول قائل •• ولربما كان الفساد فى بلاد لا تجاهر به أشـــد من بلاد أخرى تجاهر به ، ففيها الزنى واللواط وأكل الربا وشرب الخمر وغير ذلك من المنكرات •

ونقول •• ولقد يكون هذا صحيحا لا يمارى فيه عالم •• ولقد يكون علاجه واجبا •• ليس عن طريق الحدود وحدها ، وانما عن طريق التربية الصحيحة والعلاج الاجتماعى بوسائله المختلفة • بالقدوة •• والأخذ على يد المفسدين مهما كان مركزهم •• حتى لا تصير الحدود قصرا على الضعيف دون الشريف •

ومع ذلك •• فلا يبرر ذلك •• أن تجهر بلاد بالفاحشة •• فان فى ذلك أشاعة لها أيما اشاعة ، أو تتعالن بلاد بالمعصية فان فى ذلك أغراء بهـــا أيمـــا اغراء •• وهذا يســـاعد على سرعة الانتشـــار ، ويهون الجريمة على من يتردد فى اقترافها •• ولذا كانت الحدود ردعا لهذا الشر أن يسرى أو يستشرى •

* * *

وليعلم النـــاس ما تفعله الصحافة فى بلاد المسلمين نختار أربعة أمثلة من تواريخ مختلفة :

(أ) مقال نشر بجريدة السياسة الاسبوعية بالقاهرة سنة ١٩٢٦ ذكر فيه كاتب المقال أن بعض الفتيات التركيات يشبهن فتيات أوربا وقد تلقى بعضهن العلم فى الكلية الأمريكية — بالقسطنطينية وذكرت واحدة منهن « أن المرأة التركية اليوم حرة ، فلن تسير فى الطرقات فى ظلام ، وأننا نعيش اليوم مثل نسائكم الانجليزيات نلبس أحدث الأزياء الأوربية والأمريكية ، ونرقص ، وندخن ، ونسافر ونتنقل بغير أزواجنا » ويعلق كاتب الجريدة •• ولا يسع كل محب لتركيا الا أن يغبطها على هذه الخطــوات •

(ب) فى سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ هـ) استضافت أسرة تحـــرير الأهرام فيلسوف الوجودية سارتر وعشيقته التى نعيش معه فى الحرام (سيمون دى بوفوار) ويجهر بهذا الفجور والفساد •

ويدعى الرجال ويدعى النساء •• ليروا هذه القدوة القبيحة السيئة وليسمعوا عنها السم الزعاف ••

(جـ) ويبلغ الفجور فى السبعينات أقصى مداه حين تنشر جريدة الأهرام عن ضبط بيوت للدعارة فيها نســـاء من بيوتات لم يكن يسمع عنها من قبل ســـوء •

وتنشر عن ضبط تلميذات صغيرات فى هذه البيوت •

ثم تهون هذه الجريمة الفظيعة تحت عناوين مثيرة •

تلميذة فى شقة مفروشة ، افتحوا أبواب الاختلاط فى كل مراحل التعـــليم وأطلقوا الحرية للشباب تحت رقابة الأسرة والمدرسة ولا تهمنا البنت التى تنحرف من أجل فســـتان[1] •

(د) وفى أحد اعداد مجلة النهضة الكويتية ســـنة ١٩٧٦ تحقيق صحفى فى سبع صفحات كبيرة مطرزة بصور مثيرة لفتيات شبه عاريات وتحت عناوين بارزة كتب بالخط العريض : حصاد المعاكسات فى أسواق الكويت — مغازلات •• معاكسات •• همسات •• نظرات •• اشارات •• أرقام تليفونات •• سألت احدى الصحفيات بعض فتيات الكويت اللاتى

---

(١) جريدة الاهرام ١٩٧٦/٣/١٣

أدلين بأسمائهن كاملة وقصصن ما يحدث لهن من تحرشات بأسلوب مكشوف حتى ان احداهن (••• •••) لم تستحى أن تصرح أن بائع الأحذية فى كل مرة يقيس لها حذاء أو يخلعه يتحسس ساقيها كما أن بائع الملابس يمسك خصرها بكلتا يديه وتحكى أخرى (••• •••) أن الملابس تكشف كل شىء (لأنها شفافة) وخاصة عند طلوع الدرج داخل المحل لأن الأضواء توضع على الدرج فتكشف كل شىء فى جسمها • هذا بالاضافة الى زجاجة العطر التى سكبتها على صدرها •• الى جانب المكياج الصارخ الذى تزين به وجهها ، ولا أدرى لماذا تحرص على مداراته بطرف العباءة (الشفافة) بعد كل هذه الزينة التى وضعتها عليه • ولا ندرى ماذا يستفيده القارىء المسلم من مثل هذه التحقيقات الا تزيين الانحلال والتهوين من أمره وتعليم من يتعلم •

ونختم القول بالتنويه بما أوصى به المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة المنعقد فى عام ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم منددا بحال الأعلام فى البلاد الاسلامية :

« ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التى تردى فيها اعلامنا ولا يزال يتردى ، عن علم من القائمين به أو عليه أو عن جهل منهم ، فبدلا من أن يكون الاعلام فى البلاد الاسلامية منبر دعوة للخير ، ومنار اشعاع للحق صار صوت افساد وسوط عذاب •• وسكت القادة فأقروا بسكوتهم أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحموا •• وزلزل الناس فى ايمانهم وقيمهم ومثلهم •• ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة الى الحق » •

ثالثا — العلمانية فى القانون :

« حد يعمل به فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا » هذا مثل •• لأهمية الجانب القانونى فى الاسلام •

وكما تكون طاعة الله فى الشعائر •• لابد أن تكون كذلك فى الشرائع • وكما يكون اشراك بالله فى الشعائر ، يكون كذلك اشراك بالله فى الشرائع •

هذه كتلك •• لأن كلا من عند الله •

والرهب •• لازم •• كالرغب فى اقامة شريعة الله •

والرهبة تولدها السلطة •

والرغبة تولدها القـــدوة .

والاثنان يتحققان اذا كان الحكم للاســـلام ، وكان حكامه من المسلمين من أجل ذلك كله كان حرص أعداء الاسلام على ابعاده عن مجال الســـلطة ليحرموا الاسلام .. الرهبة .. والرغبة .

ومن ثم لييقى مجرد هيكل اقرب الى الموت منه الى الحيـــاة ..

ولقـــد وضح ذلك مما فعلوه فى العالم الاســـلامى ،

ولنأخذ مثلا تركيـــا :

حين فكروا فى ابعادها عن الاسلام بذلوا جهودهم « لعلمنة » القانون وتدرجوا ففى كل عشر سنوات يتم علمنة جانب من جوانب القانون منذ سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) ثم صارت كل حوالى عشرين سنة حتى تمت أكبر علمنة باعلان الغاء الخلافة ســـنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤م) .

وفى مصـــر :

اقترنت « علمنة » القانون بالاحتلال الأجنبى فكانت أول علمنة ســـنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) بعد الاحتلال بسنة واحدة واقترن الغاء الامتيازات الأجنبية بشرط الأجانب الاستمداد من التشريع الغربى بعيدا عن الشريعة الاسلامية ثم اقترن الغاء النص على أن دين الدولة هو الاسلام فى دستور مصر المؤقت سنة ١٩٥٨ ثم فى ميثاق العمل الوطنى ســـنة ١٩٦٢ اقترن باحداث داخلية يعرف عنها الكثير الكثير ..

وأكثر الدول الاسلامية ــ بكل أسف ــ تمت فيها علمنة القانون .

والدول التى لا تزال فيها بقايا تطبيق الشريعة تحيط بها المؤامرات من كل جانب لعلمنة القانون ، ويجرى التمهيد لهذه العلمنة بما يجرى من « علمنة التعليم » وعلمنة الاعلام.. فيوجد جيل علمانى يقدس القانون العلمانى ويولد نتيجة الاعلام ــ رأى علمانى .. يتقبل مثل هذه العلمنة .

وهكذا عملت العلمانية .. من خلال التعليم ، ومن خلال الاعلام ومن خلال القـــانون ..

ولننظر كيف عملت « القومية » فى مواجهة الدين ..

ثانيـــا : القوميـــة

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم •• آخى بين المهـــاجرين والأنصار على أساس من آصرة الاسلام •• وليس على أساس أى آصرة أخرى •• آخى بين بلال بن رباح وخالد بن رويحه الخثمعى ، وبين مولاه زيد وعمه الحمزه بن عبد المطلب ، وبين خارجة بن زيد وأبى بكر الصديق، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان •

ولمـــا أراد أحد المسلمين أن يثيرها عصبية ونادى •• يا للأنصار •• فنادى الآخر يا للمهاجرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غاضبا : أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم •• ! وفى حديثه صلى الله عليه وسلم أكد المعنى فقال : « ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو الى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية •

وكان من آخر وصاياه يوم حجة الوداع •• كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض •• الا بالتقوى !!

وعلى عهد الراشدين رضوان الله عليهم ضمت أرض الاســـلام أكبر امبراطوريتين على وجه الأرض •• الروم والفرس •• فما فضـــل عربى •• على عجمى لعروبته أو جنسه أو لونه •• انما كان الفضل بعد التقوى للعمل الصالح •• والعمل الصالح وحده وعرفت علوم الاسلام فى فروعها المختلفة •• فقهاء وعلماء من الأمصار ليس فيهم من العرب الا النزر اليسير[1] •

---

(١) قال ابن ابى ليلى : قال لى عيسى بن موسى وكان ديانا شديد العصبية للعرب • من كان فقيه البصرة ؟ قلت : الحسن بن الحسن قال ثم من ؟ قلت محمد بن سيرين قال : فما هما قلت موليان .. قال :

فمن كان فقيه مكة ؟ قلت عطاء بن رباح ومجاهد وسعيد بن جبير وسليمان بن بسله قال فما هؤلاء .. ؟ قلته موالى ـ قال :

فمن كان فقهاء المدينة ؟ قلت : زيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر ونافع بن أبى نجيح قال فما هؤلاء .. قلت موالى ـــ فتغير لونه ثم قال :

فمن كان أفقه أهل قباء ؟ قلت : ربيعـــة الرأى وابن ابى الزناد ـــ قـــال كانا قـــلت من الموالى .. =

وفى الحديث •• عرفت أوربا فكرة القومية •• ثم صارت متخلفة عن العصر •• تشير الى القرن الثامن عشر أو التاسع عشر •• وصارت دعواها بذلك دعوى رجعية لكن الأمة العربية ابتليت بها •

عرفت :

ميشيل عفلق زعيما لحزب البعث العربى الاشتراكى •

وأنطون سعادة زعيما للقوميين السوريين •

وجورج حبش زعيما للقوميين العرب •

وقسطنطين زريق أحد الزعماء الآخرين[1] •• !

وهكذا لم تعرف القومية العربية زعيما ممن يحمل أسماء المسلمين الا واحدا لا يزال عمله فى ذمة التاريخ[2] •

وعرض الكاتبون فى القوميات لما تقوم عليه القوميات من أسس ليكشفوا عن عدم صلاحيتها •• فعرضوا لنظرية العرق التى قامت عليها القومية الألمانية وما يزعمون عن العرق الآرى الممتاز •• ليكشفوا عن أن الألمان ليسوا شعبا خالصا •• بل خالط غيره •

وكذلك الشعب العربى •• خالط الروم والفرس والأتراك ••

وفى كتاب كفاحى لهتلر جعل الأمة العربية فى الدرجة ١٣ !

وعلى نفس المنوال عنصر اللغة •

فسويسرا تضم ٣ لغات •

والقارة الهندية تضم ٣٠٠ لغة •

وكذا سائر عناصر القومية من تاريخ وأرض ومصالح مشتركة ليس

مازال يسأله عن فقهاء اليمن وخرسان والشام .. وهو يجيبه بأسماء من الموالى حتى بلغ فقهاء الكوفة فقال والله لولا خوفه لقلت الحكم بن عقبة وعمار بن أبى سليمان ولكن رأيت فيه الشر فقلت : ابراهيم النخعى والشعبى قال فما كانا قلت عربيان .

(١) يشير معرب كتاب لعبة الامم الى أن : أكثر من تسعين بالمائة من قادة حركة القومية العربية الاقحاح هم من خريجى الجامعة الامريكية فى بيروت ، ولا تزال هذه الجامعة (وكانت تسمى سابقا الكلية الانجيلية السورية) ناشطة فى تقديم مثل هذه الخدمات لدول منطقة الشرق الأوسط .. ويشير نفس المؤلف الى أسماء زعماء القومية وكلهم من المسيحيين !

(٢) انظر كتاب فى الزنزانة للدكتور جريشة بعض هذه الاعمال .

فيها عنصر خالص تقوم عليه القومية .

هذا كله بالبحث العلمى الهادىء .

فاذا أضفنا الى ذلك ما لابس اثارة القوميات من أحداث تاريخية لبان .. ما قدمنا له من أن القومية أحد العناصر التى استخدمها أعداء الاسلام لابعاد الأمة عن دينها .

اثارة القومية الطورانية فى تركيا اقترنت بتمزيق تركيا وابعادها عن الاسلام واثارة القومية العربية فى البلاد العربية .. اقترنت بتمزيق دولة الخلافة .. ومؤامرات لورانس ومكماهون .. قصدا الى القضاء على الجسد الاسلامى الذى أسموه يومئذ بالرجل المريض !!

حتى الجامعة العربية .. كانت كما يعرف كل من عاصر أحـداث العصر من صناعة وزير خارجية الانجليز ! لتكون بديلا عن الجامعـة الاسلامية .. وفى كتابات حديثة .. لكتاب غربيين .. أشاروا الى أن القومية العربية التى رفع رايتها فى مصر زعيم كبير .. كانت بديلا هاما عن الشعار الاسلامى الذى كان يهدد بثورة فى المنطقة فكان الانقـلاب العسكرى امتصاصا لمشاعر الأمة المتوثبة للاسلام[1] !

نتائج الدعـوة القومية :

وهكذا فان تيار الفكرة القومية كانت مهمته اقصاء الاسلام وتفريغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الاسلامى ، واحلال فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل عقيدته ، واستبدال رابطة أخرى برابطته لعزل الشعوب الاسلامية بعضها عن بعض عزلا نهائيا بحيث تكون صلة بعضها ببعض كصلتها بأى شعب من الشعوب الأخرى التى تدين بالوثنية أو الماركسية أو غيرها ، والتى لم تكن تربطها بها أى رابطة ، وبذلك تنقطع الصلات بين الشعوب الاسلامية ، وتضعف روابط الثقافة المشتركة ولغة القرآن ، والقيم الخلقية ، ويقضى على الاخوة الاسلامية .

فما دام باب القومية قد فتح على المسلمين فقد كان طبيعيا أن تنتهى الى ظهور القومية الكردية فى العراق والبنغالية فى باكستان ، بعـد أن أوصد الباب الذى يصل المسلمين بعضهم ببعض وهو الاسلام .

---

(١) لعبة الامم لما يلزكوبلاند — ص ٦٣ — ٦٥ .

وقد شجعت الدول الأوربية الكبرى على ظهور القومية العربيــة فى صورتها العلمانية لتحقيق مطامعها فى احتلال الشرق الاسلامى •

وخاصة بريطانيا وفرنسا ، يقول (لورنس) منفذ سياسة بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى (وأخذت طول الطريق أفكر فى سوريا وفى الحج ، واتساءل : هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينيــة ، وهل يغلب الاعتقاد الوطنى الاعتقاد الدينى ؟ وبمعنى أصح : هل تحل المثل العليا السياسية محل الوحى والالهام ، وتستبدل سوريا بمثلهــا الأعلى الدينى مثلها الأعلى الوطنى هذا ما كان يجول فى خاطرى طول الطريق)[1] •

ومعلوم أن الثورة العربية على الأتراك قامت بتأييد بريطانيا ودعمها الأدبى والمــادى ، ودعم حليفتها فرنسا ، وقد ثبت أن عددا من الزعماء كانوا متصلين بالقنصليات الأجنبية لتلقى هذا الدعم •

وينبه (جب) الأوربيين الى أن العالم الاسلامى المترامى الأطراف يحيط بأوربا احاطة محكمة تعزلها عن العالم ، ويشير الى أن وحــدة الحضارة الاسلامية تمحو من الأذهان حيثما حلت كل ما يتصل بالتاريخ القومى لتحل محله الاعتزاز بالتاريخ الاسلامى والتقاليد الاسلامية •

وحيث يتحدث عن الحركات القومية التى أيدتها دعايات الحلفــاء القومية أثناء الحرب العالمية الأولى ينبه الى أن هذا النصر التى حققته الاتجاهات القومية فى الشرق الاسلامى يجب أن لا يصرف الغرب عن الانتباه الى تيار المعارضة الاسلامية الخفى ، الذى يعارض فى تفتيت الوحدة الاسلامية الى قوميات علمانية ، مبينا أن هذه المعارضة الاسلامية هى أشد قوة فى البلاد العربية •

ويقول (جب) فى صراحة تامة : (وقد كان من أهم مظاهر فرنجة العالم الاسلامى تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التى ازدهرت فى البلاد المختلفة التى يشغلها المسلمون الآن • فمثل هذا الاهتمــام موجود فى تركيا ومصر وأندونيسيا والعراق وفارس ، وقد تكون أهميته محصورة الآن فى تقوية شعور العداء لأوربا ، ولكن من الممكن أن يلعب فى المستقبل دورا مهما فى تقوية الوطنية الشعوبية وتدعيم مقوماتها[2] •

---

(١) لورنس : أعمدة الحكم السبعة .
(٢) فى كتاب (وجهة الاسلام) .

وهذا يعلل لنا عطف حكومات الاحتلال الغربية على كل مشاريع الحكومات الوطنية — فى الشرق الاسلامى والعربى منه خاصة التى من شأنها تقوية الشعوبية فيها ، وتعميق الخطوط التى تفرق بين هذه الأوطان الجديدة ، مثل الاهتمام بتدريس التاريخ القديم السابق على الاسلام لتلاميذ المدارس وأخذهم بتقديسه ، والاستعانة على ذلك بالأناشيد ، ومثل خلق أعياد محلية غير الأعياد الدينية التى تلتقى فيها قلوب المسلمين ومشاعرهم على الاحتفال بها ، ومثل العناية بتمييز كل بلد من هذه البلاد بزى خاص — ولا سيما غطاء الرأس — مما يترتب عليه تمييز كل منها بطابع خاص ، بعد أن كانت تشترك فى كثير من مظاهره[1] .

بين العروبة والاسلام وفضل العرب :

اذا كنا ننكر المبادىء العنصرية والقومية ، فانا نرحب باتحاد العرب وتعاونهم وتمتين أواصر القربى بينهم على أساس الاسلام فالعرب هم مادة الاسلام ، بلسانهم نزل القرآن الكريم ، ومنهم اصطفى الله عز وجل الرسول الذى بعثه الى الناس كافة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . ولهذا فلا يمكن فصل العروبة عن الاسلام ، أو فصل الاسلام عن العروبة ، وليس عجبا أن يكون تفكير العربى الصادق فى عروبته تفكيرا اسلاميا .

ومن هنا كان بغض جنس العرب ومعاداتهم كفرا أو سببا للكفر ، وهذا معناه أن العرب أفضل الأمم وأن محبتهم سبب قوة الايمان كما يقول أبو العباس ابن تيمية رحمه الله ، مستدلا بحديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حب أبى بكر وعمر من الايمان وبغضهما من الكفر ، وحب العرب من الايمان وبغضهم من الكفر)[2] .

كما جاء فى حديث آخر (.. فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم) .

وقوله صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسى رضى الله عنه : (يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك) . فقال سلمان يا رسول الله ،

---

(١) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد حسين .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص (١٥٦) (القرب فى محبة العرب) للحافظ العراقى .

كيف أبغضك وبك هدانى الله ، فقال صلى الله عليه وسلم (تبغض العرب فتبغضنى) .

ولكن لايلزم من الاعتراف بفضل العرب أن يجعلوا عمادا يتكتل حوله ويوالى عليه ويعادى عليه وانما ذلك من حق الاسلام الذى أعزهم الله به ، وأحيا ذكرهم ورفع شأنهم ، فهذا لون وهذا لون ، ثم هذا الفضل الذى امتازوا به على غيرهم ، وما من الله به عليهم من فصاحة اللسان ونزول القرآن الكريم بلغتهم وارسال الرسول العام بلسانهم ليس مما يقدمهم عند الله فى الآخرة ولا يوجب لهم النجاة اذا لم يؤمنوا كما يقول فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز[1] .

موقف الاسلام من الدعوة القومية :

ان مبادىء الاسلام ومبادىء الغرب متباينة كليا فى باب القومية ، فالذى يعتبره الغربيون مصدر القوة هو مصدر الضعف والخذلان عند الأمة الاسلامية ، كما يقول شاعر الاسلام محمد اقبال : (لا تقس أمم الغرب على أمتك ، فان أمة الرسول الهاشمى صلى الله عليه وسلم فريدة فى تركيبها أولئك انما يعتقدون باجتماعهم على الوطن والنسل ، ولكن انما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدين) .

لهذا كان من غير المعقول ولا من الممكن ، كما يقول الأستاذ المودودى أن توجد فى الأمة الاسلامية قوميات على أساس الألوان والأجناس واللغات والأوطان ، كما لا يمكن أن توجد داخل دولة دول كثيرة مختلفة . ومن كان مسلما وأراد أن يبقى على اسلامه فلابد له أن يبطل فى نفسه الشعور بأى أساس غير أساس الاسلام ، ويقطع العلاقات والروابط القائمة على أساس اللون والتراب ..

وأخوف ما كان يخافه الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين أن تظهر فيهم العصبيات الجاهلية فتفرق كلمتهم فكان يقول لأصحابه دائما : (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) .

ولا يمكن بقاء الرابطة الاسلامية مع نشوء الشعور بالقومية العنصرية ، ومن المغالطة الزعم بأن احداهما تساير الأخرى ولا تضرها ،

---

(١) نقد القومية العربية ص (٢٠) و (٢١) .

فعندما بدأ المسلمون فى هذا الزمان يتغنون بالعنصرية والوطنية فى كل قطر من أقطارهم متأثرين بالأوربيين صار العربى يتغنى بعروبته ، والمصرى ينتسب الى الفراعنة ، والتركى يتيه اعجابا بتركيته ويحاول أن يصل نسبه بهولاكو وجنكيز ، والفارسى يقول لشدة انفعاله بنعرته القومية انه لم يكن من تأثير (الامبراطورية العربية) الا أن صار على والحسن والحسين رضى الله عنهم ــ أبطاله والا لكان رستم واسفندار وأنوشروان أحق أن يكونوا أبطاله القوميين فى حقيقة الأمر •• وقد بدأ ينشأ فى الهند مسلمون يفخرون بالانتساب الى القومية الهندية ، بل فيهم من يريدون أن ينقطعوا عن ماء زمزم ويتصلوا بماء نهر جنجا ، وفيهم من تبعثهم أهواؤهم على اتخاذ (بهيم) و (أرجن) و (رام ها) أبطال الهندوس القدماء أبطالهم القوميين وليس هذا كله من هؤلاء السفهاء الراكبين رؤوسهم الا لأنهم ما عرفوا ما يملكون من الحضارة وما يملكه الغرب •• وما تبينوا ما بينهما من الفرق الجذرى ، لأن عيونهم كليلة عن المبادىء والحقائق فلا ينظرون الا الى السطح ، ويبهر عقولهم ما يجدونه بارزا عليه من الفقاقيع والألوان الظاهرة ولا يعلمون أن الشىء الذى هو ماء الحياة للقومية هو نفسه ، السم الزعاف للرابطة الاسلامية[1] •

ان بطلان الدعوة الى القومية العربية أو غيرها من القوميات مما هو معلوم من دين الاسلام بالضرورة ، لأنها منكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للاسلام وأهله ، وذلك من وجوه أربعة :

أولا : لأنها تفرق بين المسلمين وتفصل المسلم العجمى عن أخيه العربى بل تفرق بين العرب أنفسهم وتقسمهم أحزابا ، فهى بذلك تخالف مقاصد الاسلام الذى يدعو الى الاجتماع والوئام قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) •

ثانيا : لأنها من أمر الجاهلية فهى تدعو الى غير الاسلام ، وكل ما خرج عن دعوة الاسلام والقرآن من نسب وبلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية ، كما يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله مستشهدا بقوله صلى الله عليه وسلم : (أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهوركم) •• والنصوص فى ذلك كثيرة منها ما رواه مسلم أن النبى صلى

---

(١) المودودى (بين الدعوة القومية والرابطة الاسلامية) ص ٦٨ •

الله عليه وسلم قال : (ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من غضب لعصبية) • وقوله : (ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد) • ولا ريب أن دعاة القومية يدعون الى عصبية ويغضبون لعصبية، ويقاتلون على عصبية ، ولا ريب أيضا أن الدعوة الى القومية تدعو الى البغى والفخر وانما هى فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها •

والاسلام بخلاف ذلك فهو يدعو الى التواضع والتقوى والتحاب فى الله وأن يكون المسلمون الصادقون من كل أجناس بنى آدم جسدا واحدا وبناءا واحدا يشد بعضه بعضا ويألم بعضه لبعض وفى الحديث الصحيح : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ويشبك بين أصابعه) و (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) •

وفى حديث الحارث الأشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (وأنا آمركم بخمس الله أمربى بهن ، السمع والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الى أن يراجع ، ومن دعى بدعوى الجاهلية فهو من جثى[1] جهنم ، قيل يا رسول الله (وان صلى وصام) قال : وان صلى وصام وزعم انه مسلم ، فادعوا بدعوى الله الذى سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله) • وهذا الحديث الصحيح من أوضح الأدلة وأبينها فى ابطال الدعوة الى القومية واعتبارها دعوة جاهلية يستحق دعاتها أن يكونوا من جثى جهنم •

ثالثا : لأنها تؤدى الى موالاة الكفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم وفى ذلك مخالفة لنص القرآن الكريم والسنة الدالة على وجوب بغض الكافرين ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى

---

(١) جمع جثوة وهى الشىء المجموع وقوم جثى جلوس (ا هـ) لسان العرب يقول شاعر القوميين :

سلام على كفر يوحد بيننا   وأهلا وسهلا بعده بجهنم

أوليـــاء بعضـــهم أوليـــاء بعض ، ومن يتولهم منـــكم فانه منهم)[1]
الآيات • •

والقوميون يدعون الى التكتل حول القومية العربية ، فيوالون لأجل ذلك كل عربى من يهود ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم تحت لواء القومية العربية ويقولون ان نظامها لا يفرق بين عربى وعربى وان تفـــرقت أديانهم •• والله عز وجـــل يقـــول : (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهـــم بالمودة) • الى قـــوله : (ومن يفعـــله منـــكم فقـــد ضـــل ســـواء السبيل) •[2] ونظام القومية يقول كلهم أولياء مسلمهم وكافرهم •• والله سبحانه وتعالى يقول : (قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) • وقال : تعالى : (لاتجـــد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورســـوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم)[3] •

وشرع دعاة القومية يقول افصـــلوا الدين عن القومية ، وافصلوا الدين عن الدولة ، وتكتلوا حول أنفسكم وقوميتكم حتى تدركوا مصالحكم وتستردوا أمجادكم ، كأن الاسلام وقف فى طريقهم وحال بينهم وبين أمجادهم ، هذا والله هو الجهل والتلبيس وعكس القضية •

وكيف يجوز فى عقل عاقل أن يكون أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وأضرابهم من صناديد الكفار فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وبعده الى يومنا هذا اخوانا وأولياء لأبى بكر وعثمان وعمر وعلي وسائر الصحابة ومن سلك سبيلهم الى يومنا هذا •• هذا والله أبطل الباطل وأعظم الجهل • وشرع القومية ونظامها يوجب هذا ويقتضيه •

رابعا : لأن الدعوة للقومية تفضى بالمجتمع الى رفض حكم القرآن

---

(١) المائدة ٥١
(٢) الممتحنة ١ — ٤
(٣) المجادلة ٢٢

الكريم لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا بتحكيم القرآن ، فيوجب هذا لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاما وضعية تخالف القرآن حتى يستوى مجتمع القومية فى تلك الأحكام[1] .

وأخيرا فينبغى ألا ننسى أن القومية قد اقترنت فى التاريخ الاسلامى الحديث بالعمالة للاستعمار ، كما اقترنت بالعداء للاسلام ، كما ظهر مما قدمناه من مؤامرة لورنس وأمثاله .

(١) ابن باز : نقد القومية العربية (ص ١٠ — ٣٩) .

ثالثا : تحـــرير المرأة

كما كانت العلمانية شعارا خادعا •• يخفى وراءه الحرب على الدين •

وكما كانت القومية شعارا خادعا كذلك •• يستعمل فى مواجهـــة الدين •

فلقد رفع هذا الشعار « تحرير المرأة » بقصـــد اجتذاب المرأة المسلمة واستخدامها حربا على دينها •

وأول من أوصى به أحد مؤتمرات التبشير ••

وكان الهدف يومئذ تنصير المرأة المسلمة ••

ثم تبعهم المستشرقون •

وتبعهم من تلقوا العلم والمعرفة على أيديهم •• وهم فى شرقنـــا الاسلامى كثير ••

ماذا يقصدون بالتحرير

التحرير •• لا يكون الا من عبودية •• ؟

فهل كانت المرأة المسلمة كذلك ؟

ان المسلم لا يعطى العبودية لمخلوق •• بل يعطيها للخالق وللخالق وحده ، ومن ثم فانه أكثر الناس تحررا من عبودية المخاليق سواء كانت آدمية ، أو كانت مالا ، أو جاها ، أو سلطانا أو غير ذلك من متاع الحياة الدنيـــا ••

والمرأة المسلمة •• لها ما للرجل « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة »[1] هذه الدرجة ليست درجة العبودية أبدا ولن

---

(١) البقرة ٢٢٨

تكون ، لكنه أمر اقتضاه التنظيم ، أن يكون للسفينة ربان واحد لا ربانان.
والا لغرقت السفينة بمن فيها ..

ولقد سبقت المسلمة .. غيرها من النساء ..

فعرفت واجبها ، وعرفت حقها .

وكانت لهـا الشخصية القانونية المستقلة .

تتعامل باسمها دون حاجة الى اعتماد تصرفها من أحد ، بينما ظلت المرأة الفرنسية لا تتعامل باسمها وحده بل لابد من أجـازة الزوج لتصرفها .. وذلك الى عهـد قريب ..

فماذا يعنى التحرر أو التحرير .. بعدما أعطاها الاسلام ما لم يعطها نظام آخر .

قالوا : أنه يعنى تحريرها من بيتهـا .

وتحريرها من زيهـا .

قلنـا : وبماذا يخدمهم تحريرها من بيتها ، وتحريرها من زيها ..
وبعبارة أخرى كيف يمكن من خلال هذا وذاك ابعاد الأمة عن الاسلام .

المرأة بلا شك نصف المجتمع .

وهى نصف خطير .

لأنه يؤدى رسالة خطيرة .. وان غفل عنها الكثيرون .

ان الذين يتخرجون من المدارس والجامعات يمكن تعدادهم ويمكن أن يوجد غيرهم لم يتخرجوا من هذه أو تلك أما الجامعة التى لابد أن يتخرج منها كل مسلم بل كل انسان فهى .. الأم .

فان صلحت صلح خريجوها .
وان فسدت فسـد خريجوها .

وتحرير المرأة من بيتها .. يعنى اغلاق هذه الجامعة ..

واذا كانت هذه هى الجامعة الأولى التى خرجت من قبل تلك الاجيال العظيمة التى حملت الينـا الاسلام ، بل حملته للدنيـا كلها .

فان اغلاق هـذه الجامعة يعنى .. انعدام الخريجين من ذلك الطراز ويعنى غلبة الخريجين من طراز آخـر ..

ولقــد رأينا •• فى عصرنا بداية الثمار •

رأينا •• ممن تسلطوا على فكر هذه الأمة •• بل وعلى سلطانها من كانت أمه •• راقصة فى ناد ليــلى •

وأخرى تعمل فى الغنــاء •

وليس بين الاثنين كبير اختلاف ••

أما ماذا يعنى تحريرها من زيهــا •

فانه يعنى كشف ما أمر الله أن يستر ، وهتك ما أمر الله أن يصان •

يعنى •• عرضا رخيصا •• لسلعة غالية صانها ربها وصــانها الاســلام •

يعنى اثارة اللحم والدم •• وهو أمر لا يستــطيع أن ينكره الا غبى أو متغاب •

فاذا أضفنا الى تحرير المرأة من بيتها تحريرها من زيهــا •• كانت النتيجة نتيجة الاثنين غير نتيجة الواحــد •

ان التحرر من البيت وحده •• قد يكون له النتيجة الســلبية الخطيرة السابقة وهى حرمان الأمة من جامعة تخرج أجيالا ••

وأن تحرر المرأة من زيهــا وحده •• قد تكون له النتيجة الايجابية الخطيرة السابقة وهى الاغراء بالفاحشة والدعوة اليهــا •

لكن التحريرين •• قد يعنيان فوق النتيجتين السابقتين مجتمعتين • نتائج أخرى أخطر وأشــد •• ان أولهــا بلا شــك •• انحلال المجتمع وسقوطه •• بسقوط قيمه وأخلاقه ومثله ••

ان فرنســا ــ غير الاسلامية وصاحبة الامبراطورية الــكبيرة سقطت تحت أقدام ألمــانيا ــ على مدى أسبوع واحــد وهى ••• كما صرح رئيس وزرائها ، ان فرنسا هزمهــا الانحلال قبل أن يهزمها الاحتــلال •

فما بالنــا بأمة اسلامية •• أساس نظامها عقيدة وأخلاق ••

وما بالنــا بأمة اسلامية •• لم تصل بعد من ناحية القوة المادية الى ما وصلت اليه فرنسا أو أمريكا ••

ان اشاعة الانحلال — فى الأمة الاسلامية — عن طريق تحـــرير المرأة من بيتها وزيها يعنى أن الأمة الاسلامية وهى بعــد لم تقف على قدميها •• تماما كما يصاب الطفل بمرض خطير لا يستطيع أن يقاومه الرجل الكبير ••

انها جريمة كبرى •• وخيانة عظمى •• يقارفها كل من يدعو الى هذا السبيل بالكلمة أو الصورة أو القدوة السيئة •

وفى عــام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥) طالب « جوزيف ريد » المدير العام لهيئة رعاية الأطفال بعقوبات شديدة ضد الاشخاص الذين يتاجرون ببيع الاطفال فى السوق السوداء حيث يباع سنويا خمسة آلاف طفل •• وكلهم — بكل أسف — جاءوا من سفاح ويجرى الاتفاق مع الفتيات اللائى حملن بهن من غير زواج مقابل مبلغ من المال الى جانب التكاليف الصحية والسكنية[1] ••

أى جيل يكون ذلك الذى لا يعرف له أبا ولا يعرف له أما كذلك •• ؟

أى ارتداد الى عصر الرق ذلك الذى يباع فيه الأطفال ويشترون ؟

ترى •• هل يخرج لنـــا تحرر المرأة •• فى شرقنا الاسلامى •• ما أخرجه فى ذلك الغرب الصليبى •• ؟

وهل نقم منا الغرب أن كانت لنـــا روابط أسرية متينة يقـــوم عليها باذن الله مجتمع متين •• ؟

أم نقم منا أن لنـــا دينا •• هو سر ابتعاثنا بين الحين والحين • فخشى هذه الابتعاثة •• ورغب لنـــا فى رقدة لا نهوض بعدها ولا قيام ؟

أما المرأة الريفية :

فلم يشـــأ المخططون لتغريب المســـلمين أن يتركوها فى حالها وحيائها •• أصروا على أن يغزوها فى عقر دارها •• ليذهبوا بما بقى من حيائها •• لتشارك أختها فى المدينة ما وصلت اليه من مدنية •• تحت ستار الأمم المتحدة انطلقت أمريكا تغزو الريف المسلم [باسم

---

(١) مجلة المجتمع — العدد ٢٤٩ — ٢ جمادى الاولى ١٣٩٥ — ١٣ مايو سنة ١٩٧٥ • نقلا عن وكالة اليونيتدبريس — واشنطن •

التربية الأساسية] ...

أما ما هى التربية الاساسية ..

فهى كما عرفها أحد سدنتها الدكتور حامد عمار فى بحث القاه فى مؤتمر أمريكى منهج من مناهج الاصلاح الاجتماعى لرفع مستوى المعيشة يؤكد قيمة العملية التربوية [وتغيير الأفكار والنزعات] .

وفى مكان آخر .. تسعى التربية الاساسية الى محاولة تغيير الافكار والنزعات والاتجاهات[1] .

وفى سرس الليان مصر — مركز للأمم المتحدة .

وفى قرى سوريا مراكز[2] .. وقد تكون وصلت الى غيرها .

أما قضايا المرأة :

التى يتعمدون اثارتها بين الحين والحين .. ليظهروا بمظهر المدافعين عن المرأة المحبين لمصلحتها .. فزوبعة فى فنجان .. فنسبة الطلاق فى البلاد الاسلامية ضئيلة .

ونسبة التعدد أشد ضآلة .

بما لا يصح أن يرتفع الصوت معها كأنها مشكلة أو قضية[3] .

ولئن كانت هناك قضية أو مشكلة .. فهم سببها .

حين تسببوا بوسائل اعلامهم فى تصديع البيوت .. وفى اثارة المشاكل وحين تسببوا بدعاوى المساواة العريضة فى أن لا يكون للبيت قوامة وأن يكون فيه رئيسان الرجل والمرأة .. ورئيسان فى مركب واحد يغرقانه (كما هو المثل) .

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها — للدكتور محمد محمد حسين ـ الناشر مكتبة المنار الاسلامية — الكويت ص ٤٨ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق .

(١) فى حديث الحبيب بورقيبة باهرام ١٩٧٥/١٢/٢٠ صرح الرئيس التونسى بانه اصدر فى سنة ١٩٥٦ قانونا بمنع تعدد الزوجات يعتبر التعدد جنحة يعاقب مرتكبها بالسجن لمدة سنة وغرامة مالية (٢٤٠ دينارا) .. وفى مقال شيخ الازهر ذكر ان أحد التونسيين ضبط متلبسا بجريمة الزواج بثانية ، ولم يخل سبيله الا بعد أن قرر أن هذه الثانية خليلة ولست زوجة .. وهكذا يطيب لبعض الحكام ان يحرموا ما أحل الله وان يحلوا ما حرم الله الا ساء ما يزرون ..

ثم حين ساندوا وساعدوا انحلال الأخـــلاق وانفلتت من قيود الدين •• فلم يعد الرجل يخشى الله فى المرأة •• ولم تعد المرأة تخشى الله فى الرجل ••

فدب الخلاف والشــقاق ••

والحل ليس تحررا من الدين أو مزيدا من التحرر ••

وانما عودة الى الدين والتزام بضوابطه •• وأخلاقه ••

تصير المشكلة محلولة ••

« وفى أنفسكم •• أفلا تبصرون[1] » •

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[2] » •

❋ ❋ ❋

هذه •• شعارات الغرب •• ووسائله ••

لاحداث التغير الاجتماعى فينا ••

علمـــانية :

فى التعـــليم •
فى الاعـــلام •
فى القـــانون •

قوميات :

تمزق الأمة الواحـــدة

وتمزق الدولة الواحـــدة •

تحرير المرأة :

ليسقط المجتمع فى حمأة الرذيلة •
ويقضى بنفسه على نفســـه •

---

(١) الذاريـــات ٢١ •
(٢) الرعـــد ١١ •

ولو نجحت هذه الدعوات •• فماذا يبقى لنـــا من الاسلام •• ؟

واذا نجحت فماذا يبقى فى مجتمع لم يقف بعد على قدميه •• ؟

لقد استجاب لهـــا •• الطامعون فى السلطة •

واستجاب لها •• الراغبون فى السقوط •• لأنهم لا يقـــدرون على الارتفاع •

واستجاب لهـــا •• السذج الجاهلون •• الذين حسبوها •• علاجا لهذا الشرق الاسلامى من تخلفه وعدم نهوضه •

وبقى أن ينهض العالمون الصادقون •• ليفضحوا المخطط الاثيم للقضاء على الاسلام والمسلمين ••

بقى أن ينهض العالمون الصادقون •• ليقوموا بما قام به من قبل نبيهم ورسولهم محمد عليه الصلاة والســـلام •• فهم خلفاؤه على ميراثه •• وهم الأمناء على رسالته •• وهم أمل الأمة البـــاقى بعـــد أن تردى غيرهم وسقط فى الشراك ••

ولنكمل الصورة أو نقترب بها من الكمال •• نقدم لأمتنا بعضا مما فعل •• ويفعل الصليبيون ؟

المبحث الرابع

ما يفعل بنـــا الصليبيون

لسنا نثير أحقادا ..

فنحن على استعداد أن نعاملهم بما أمرنا به القرآن ان كفوا عن قتالنا وقتلنا ، وتشريدنا واخراجنا من ديارنا (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم .. ان الله يحب المقسطين .. انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم[1]) فان لم يكفوا عن قتالنا وقتلنا ، وعن اخراجنا وتشريدنا .. فهم الذين يثيرون الاحقـــاد ، وهم الذين يظلمون (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون[2]) .

ولن نأتى من القديم ..

لنذكر قومنـــا :

بما فعلوه يوم دخلوا بيت المقدس .. فذبحوا فيه سبعين ألفا من المسلمين حتى غاصت الخيل الى صدورها فى دماء المسلمين[3] .

ولا بما فعلوه فى الجزائر .. حين قتلوا مليون شـــهيد ..

ولا بما يثيرون من أحقاد حين يحفظون جندهم « أنا ذاهب الى طرابلس فرحا مسرورا .. لأبذل دمى لسحق الأمة الملعونة ، لأحارب الدولة الاسلامية التى تجيز البنات الابكار للسلطان !! سأقاتل بكل قوتى لأمحو القرآن »[4] .

---

(١) الممتحنة ٨ ، ٩

(٢) الشعراء ٢٢٧

(٣) حاضر العالم الاسلامى ــ الكاتب الامريكى ستودارد ص ٢٠٨ وحضارة العرب للكاتب الفرنسى غوستاف لوبون ص ٣٢٦ ــ ٣٣٠

(٤) نشرت هذا النشيد مجلة الرابطة الشرقية السنة الثالثة العدد الثانى ٢٥ جمادى سنة ١٣٤٩ وقد تقدم فى مبحث التبشير ص ٣٣ .

ولا بما يخططون له حين يقول أحد قادة فكرهم « ان جزيرة العرب التى هى مهد الاسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية » وحين يكمل آخر :

« متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سـبيل الحضارة التى لم يبعـده عنهـا الا ـ محمد ـ وكتابه .

وحين يضع لهم أحد فلاسفتهم الحل النهائى فيقترح أن يباد ثلثـا المسلمين وينفى الثلث الثالث ، وتهدم الكعبة وينقل قبر الرسول صلى الله عليه وسلم الى متحف اللوفر[1] .

سنترك هذا وغيره جانبـا .

لنذكر قومنا بما يجرى الآن حيث يدعون أنهم تخلوا عن عصبيتهم أو صليبيتهم .

ولنضرب لذلك بعض الأمثلة :

١ ـ فى الفـلبين :

يتعرض المسلمون فى الفلبين لحرب ابادة لم يشهد لهـا التاريخ الحديث مثيلا .

فهم يجلون من قبـل الصليبيين عن أراضـيهم التى خصها الله بالخصب والنماء ، فان رفضوا تعرضوا للابادة من قوات الجيش الفلبينى التى لا تكتفى بمجرد الحرب الشريفة بل تستعمل كل وسائل الابادة الممنوعة مثل الغازات والنابالم ، ثم هى بعد ذلك تمثل بالجثث وتنتقم من الجرحى والأطفال والنسـاء .

وفى بيان للأخ عبد الباقى أبو بكر الأمين العام للعلاقات الخارجية لجبهة تحرير مورو مؤرخ ٢٩ مارس سـنة ١٩٧٦ ينقل عن عمدة بانكوك محمد صالح عثمان قائد المجاهدين الذى لا يزال يقاوم الحصار منذ ١٦ شهرا والآن ـ يعزز الجيش الحصار بـ ٨ كتائب جديدة غير قوات الطيران التى تقصف المنطقة ليلا ونهارا والبواخر التى توجه ضرباتها المركزة من المدافع الفتاكة بدون انقطاع .. وفى مرارة يختم

---

(١) الفيلسوف الفرنسى كيمون .

كلامه : يبدو لى أن المسلمين فى العالم لم يعـرفوا حقيقة الوضع الذى نعيشه أو أنهم يتجاهلوننا ، ثم يقول أمين عام الجبهة وكنتيجة لهذه المعارك التى لا تزال دائرة للآن قتل ما لا يقل عن ٥٠٫٠٠٠ مسـلم •• ثم يقول : « وماركوس يعلم أنه لا يستطيع أن ينال من المسلمين ولكنه يريد أن يسرق المسلمين ويسرق أنظار العـالم[١] » •

٢ ــ فى أثيوبيـا :

كان أسـد الحبشة يضطهد المسلمين اضطهادا شديدا ، فرغم أنهم فى حقيقة الأمر يمثلون أغلبية البلاد ، فان احدا منهم لا يشترك فى الوزارة ولا فى الحكم ، بل ولا يسمح له بارتقاء منصب قيادى من أى لون ، ولقـد صارت سجون أثيوبيا مقابر للمسلمين الذين يجأرون مما هم فيه ، ولأسـد الحبشة هواية فى تعذيب المسلمين انه يأمر بربط أيديهم الى أرجلهم •• ويبقون على هذا الحال سنين حتى تتقوس ظهورهم وتأخذ شكل المنحنى ، فاذا أفرج عنهم لم يستطيعوا المشى الا على أربع ••

وكنا ننتظر بعدما أسقط الامبراطور بانقلاب عسكرى ان النظام سوف يتغير •• لكن الحقيقة أن القبضة العسكرية الحاكمة اشتدت على المسلمين حتى ان تقريرا عرض على المجلس العسكرى وتم اقراره يصرح :

لقد حان الوقت ان نعرف جيدا من هم أعداؤنا ، لقد اختار العرب وعملاؤهم ان يكونوا أعداءنا وعلينا ان نعاملهم على هذا الأساس[٢] •

ان المجازر التى يتعرض لهـا الثوار المسلمون فى أرتيريا أمر يحرك كل ذى ضمير أو مروءة « لكن اين المروءة » لقـد خفت حتى اختفت •

٣ ــ المسلمون فى تايلاند :

نشرت مجلة الاعتصام القاهرية أنه :

(أ) فى ١٦ نوفمبر سـنة ١٩٧٦ قامت السـلطات التايلاندية

---

(١) مجلة المجتمع العدد ٢٩٦ ــ السنة السابعة ٢٠ ربيع آخر ١٣٩٦ ــ ١٠ ابريل سنة ١٩٧٦

(٢) مجلة المجتمع العدد ٢٩٧ السنة السابعة ــ ٢٧ ربيع آخر ١٣٩٦ ــ ١٦ ابريل سنة ١٩٧٦

بهدم المسجد الكبير فى ولاية (بنارا) فى اطار مخطط يستهدف ازالة الآثار الاسلامية ، ومنع المسلمين من اقامة شعائرهم الدينية وتشجيع ممارسة البوذيين لطقوسهم أمام المساجد وبناء الأصنام فى كل المدن بالولايات الاسلامية الاربع فى فطانى .

(ب) قام خمسة أشخاص من المنشأة البحرية التايلاندية بذبح خمسة من القرويين المسلمين الاحياء ، ومثلوا بجثثهم ثم قذفوا بها الى البحر فى محافظة تلوية فى ولاية فطانى .

انطلقت مظاهرة احتجاج تعرضت لها القوات التايلاندية سقط فيها عشرون شهيدا وجرح فيها المئات .

(ج) قامت العصابات التايلاندية فى الفترة الأخيرة بحرق احدى قرى المسلمين فى محافظة (جاها بولاية جالا) وتسعى العصابات البوذية الى تشجيع هجرة البوذيين من شمال البلاد الى الجنوب الاسلامى واقامة مستعمرات فيها .

* * *

وبعد .. فهل نجح الغرب .. فى حربه الفكرية لنا ؟

أولا : بالنسبة للاسلوب

حين نجح انقلاب « كمال أتاتورك » العسكرى .. واستطاع أن يحقق ما كان الغرب يبغيه .. سلم الحلفاء فى اتفاقية لوزان باستقلال تركيا .

ذلك أنه بالغاء الخلافة الاسلامية فى تركيا سنة ١٩٢٤ تحقق أمل بعيد للصليبية ومن وراءها حاربت من أجله دهرا طويلا .

وحاول كمال أتاتورك بعد ذلك .. سلخ تركيا من اسلامها .. بما فرضه من علمانية التعليم وعلمانية القانون ، وتحرير المرأة المسلمة التركية واختلاط بينها وبين الرجال فى كل المجالات ، ثم بما فرضه من الغاء الحروف العربية واستبدالها باللاتينية .. ومن محاولته تغيير الزى بالقوة .

وعد ذلك كله نجاحا •• شجع الغرب بعد ذلك على مزيد من الانقلابات العسكرية فى المنطقة الاسلامية بهدف ابقاء السيطرة أو القوة تابعة له •• لتنفذ البرنامج أو المخطط الموضوع لابعاد المسلمين عن دينهم وتحقق التغيير الاجتماعى أو ما يطلق عليه التغريب •

لكن المراقبين لمجريات الحوادث أحسوا بقصور التجربة الكمالية فى تركيزها على جانب القوة فنصحوا الى جوارها •• بمحاولة تثبيت النتائج التى تصل اليها الانقلابات العسكرية وتعميقها فى الشعوب[1] وحسبنا ذلك انتقادا لانقلاب أتاتورك ••

فاذا أضفنا اليه •• أن ما بلغه كمال أتاتورك •• لم يغير شيئا من الشعب التركى بل انه على العكس من ذلك زاده استمساكا وتصميما وانه لولا ظروف تركيا الدولية واحاطة الأعداء بها من كل جانب لكان للشعب من أتاتورك وغيره من الاتاتوركيين شأن آخر •

وهناك أمر لا يزال غائبا عن أولئك الذين يجرون التغيير •• انهم يحاولون تبديل بناء ببناء ••

يحاولون هدم البناء القديم •• واقامة بناء جديد •

ان الانقلابات العسكرية تلجأ فى وسيلتها للتغيير الى العنف والقوة •• والقانون الطبيعى أن كل فعل له رد فعل مساو له فى القوة ومضاد له فى الاتجاه ••

والقانون الطبيعى كذلك أن زيادة الضغط تولد الانفجار •

ولعلهم يتغلبون على ذلك بالتغيير من حين لآخر امتصاصا للبخار الحبيس أن يؤدى الى الانفجار •• لكن التوقيت قد يخطئهم ••

فيحدث الانفجار قبل التوقيت الذى ضربوه ، وعلى نحو لايستطيعون السيطرة عليه ولا على نتائجه •

---

(١) يشير الى هذا المعنى مورو بيرجر ص ٣٢٥ حين يقول : وقد يتطلب تعميق هذا المعنى وتحويله الى رغبات واذواق ومشارب تلقائية حرة عملية تثبيت طويلة تعنيفا بوسائل أقل تعنيفا وتحكما وذلك بعد اشارة الى التغيير الاجتماعى بالطريق العسكرى — كتاب العالم العربى اليوم — المرجع السابق •

ونهدى الى الغرب قول عصمت اينونو وهو فى مرض موته اننى لا اكاد أصدق ما ارى لقد بذلنا كل ما نستطيع لانتزاع الاسلام من نفوس الاتراك وغرس مبادىء الحضارة الغربية مكانه ناذا بنا نفاجأ بما لم نكن نتوقعه **لقد غرسنا العلمانية فاثمرت الاسلام** (المجتمع العدد ٢٥٦ ٢١ جمادى الثانية ١٣٩٥ يوليو ١٩٧٥ م) •

وأخيرا .. لقد انكشف هذا الأسلوب وتعرى .. وأساء العسكريون الى أنفسهم والى الذين يعملون لحسابهم .. أساءوا أكثر مما أحسنوا .

واذا كان الغرب .. بحصافته .. قد أدرك فشل الأسلوب القديم. أسلوب احتلال الشعوب بالقوة العسكرية ، فعليه — بحصافته — أن يدرك قبل فوات الأوان فشل الأسلوب الجديد أسلوب تغيير الشعوب بالقوة العسكرية عن طريق الانقلابات العسكرية .

هذا عن الأسلوب الجـــديد ..

فماذا عن الهدف الجـــديد .. ؟

ثانيـــا : بالنســـبة للهـــدف

كان الغرب « ذكيا » حين أدرك فى وقت مناسب أو متأخر .. أن التنصير كهدف لحملته الفكرية المؤيدة بالقوة العسكرية خارجية أو داخلية ان ذلك الهدف فشل .. وانه برغم الجهود الضخمة البشرية والمالية والاعلامية والتعليمية .. فان النسبة التى تم تنصيرها من المســـلمين نسبة تافهة .. يمكن أن تلحق بالعدم لتكون النتيجة سلبية تماما .. !

لذا كان البديل عن التنصير واخراج المسلمين عن دينهم .. هو التغيير والاكتفاء بابعاد المسلمين عن دينهم .

وهو ما تبذل له الجهود اليوم .. من تعليم علمانى ، واعلام علمانى ، وقانون علمانى ، وتحرير للمرأة من زيها ومن بيتها ثم ما يبذل من حط لقيمة — الدين وقيمة علمائه ودعاته .

فهل يا ترى .. نجح الهدف الجديد ؟

نجاح أمر يتعلق بالأمم والشعوب .. لا يحكم عليه فى سنين .. ولا فى جيل .. فقد لا تظهر نتيجته الا بعد أجيال .. وقد تكون النتيجة الواضحة أن التغريب نجح فى ابعاد المسلمين عن دينهم بما فيه من قيم ايمانية .. وقيم أخلاقية ، وقيم قانونية .. وأن المسلمين استبدلوا به .. من قيم الغرب .. حتى فى عاداتهم وفى لبسهم وفى طريقة أكلهم وشرابهم وفى تعاملهم و « أتيكيتهم » !

لكن هذه النتيجة مشكوك فى صحتها .

انه على قدر عمق التغيير « الاجتماعى » الذى حدث استبدالا بقيم الاسلام •• قيم الغرب وتقاليده فلقد حدث على نفس العمق •• أكبر استمساك واصرار على النظـــام الاسلامى عقيدة وأخلاقا وعبادة وقانونا •• وماج العالم الاسلامى بحركات كثيرة عميقة وأحيانا عنيفة تدعو الى الاسلام كمنهج متكامل للفرد والأسرة والمجتمع والدولة •• !

وبدا أن الجمر يتقد تحت الرماد ••

فهل يتركونه حتى يكون نارا •• تحرق •• وفى نفس الوقت نورا يضىء •

أم يحاولون أن يأخذوا نوره •• وأن ينتقوا ناره •• ؟

على الذين يمارسون التغيير أن يحذروا

فقد تصيبهم النــــار •• قبل أن يغشى عيونهم النور •• وعليهم أن يغيروا من هدفهم فلقد انكشف للنــــاس ••

وخير للغرب •• أن يبتعد •• عن فتنة المؤمنين عن دينهم •• فان السهم قد يرتد أول ما يرتد الى صدره ، وقـــد تصيبه النار قبل أن يرى النور خير أن يحتفظ « بصداقة » الشرق الاسلامى ، ويحافظ على مصالحه الاقتصادية والتجارية فيه من أن يصر على التغيير •• فيفقد هذه المصالح •• ويجنى العداء الى الأبد ••

ان المسلمين لا يعادون الذين لا يقاتلونهم فى الدين ولا يخرجونهم من ديارهم •• بل انهم على العكس يسالمونهم ، ويبرونهم ، ويقسطون اليهم •• فذلك أمر دينهم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين[1]) •

لكنهم فى نفس الوقت ينقلبون مع الزمن ، طال أو قصر ، الى أسود غضاب ازاء من يقاتلهم فى دينهم ويفتنهم فيه وازاء من يخرجهم من ديارهم ويسلبهم أوطانهم •• ذاك أمر ربهم (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم •• ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون[2]) •

---

(١) الممتحنة ٨
(٢) الممتحنة ٩

خير للغرب أن يدرك •• أنه يمكن لحضارته أن تعيش •• اذا تركت حضارة الاسلام كذلك لتعيش •• وأنه يمكن للحضارتين أن يتعايشا •• (لكم دينكم ولى دين[1]) وأنه خير أن تتعايش الحضارتان •• من أن تصر حضارتهم على العيش وحدها ••

فتفنى باذن الله وحـــدها ••

لأننا نؤمن ان الله حافظ دينـــه (انا نحن نزلنـــا الذكر وانا له لحافظون)[2] ، (والله متم نوره[3]) ، (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون[4]) ــ فأى الطريقين •• يختارون ؟

ولا يخشى الغرب أن يغزوه الاسلام مرة أخرى ••

فحسبنا اليوم •• وســـائل الاعلام •

وحسبنا اليوم •• وعى النـــاس •

وحسبنا اليوم •• أن نترك لهم الخيار •• فانه (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى[5]) •

وحسبنا درس الامتداد العضوى الذى مارسته تركيا من غير بسط فكرى ولا عقائدى ••

فارتد المد جزرا أصاب الأمة فى كبدها وفى قلبها ••

حسبنا الدرس التاريخى •• أن نكرره •• مرة أخرى •

وحسبنا •• أن ننظم بيتنا •• ونضمد جروحنا •• ونستعيد أنفسنا فأمامنا لذلك سنين ان لم يكن قرون •• !

ولا نترك هذا التعقيب •• حتى نقول لأبنائنا واخوتنا •• ممن لا يزالون منخدعين •• وان كانوا قلة •• فانهم أعزاء علينا أن يفارقونا ، ويفارقوا قومهم •• نقول لهم ••

---

(١) الكافرون ٦
(٢) الحجر ٩
(٣) الصف ٨
(٤) التوبة ٣٢
(٥) البقرة ٢٥٦

ان فى الغرب بضاعتين •• بضـــاعة يزجيها اليكم •• وبضـــاعة يضـن بهـــا عليكم ••

فأما التى يزجى •• فانها تسلبكم أخلاقكم ، وقيمكم ، وتاريخكم ، وشخصيتكم ••

وأما التى يضن •• فهى سر تفوقه المـــادى عليكم •• هى علمه وفنون صناعته (تكنولوجيته) ••

فما بالكم أقبلتم على التى يزجى •• وتركتم التى بها يضن ••

فما حصلتم غير القشور •• غير الزبد •• وتركتم ما ينفع الناس !

ان فى خزائننا الجواهر •• وان علاها التراب من طول الزمن وكثرة الكيد[1] •• وان ما عندهم •• سراب خادع •• أو معدن براق لكنه غير أصيل •• فلا ينبغى أن نترك الجواهر فى خزائننا •• لنمد أيدينا •• للمعادن غير الأصيلة ••

ما ينبغى أن تكون اليد المتوضئة هى السفلى ••

واليد الأخرى هى العليـــا ••

فكيف اذا كانت اليد المتوضئة تملك الجواهر •• كيف ترضى أن تمتد •• وأن تكون هى السفلى ••

وذلك لا يمنع من أن نستفيد بعلم الغرب وتجربته •

من غير أن نهجر قيمنا ، ومبادئنا ، وأخلاقنا ، وعقيدتنا من غير أن نترك ديننا •• فلا نبيع ديننا ولو كان بالدنيا كلها •• !

---

(١) يقول الشاعر : ان الجواهر فى التراب جواهر والاسد فى قفص الحديد أسود

الباب الثاني

الإتجاه الماركسي

الفصل الأول :
الوعاء

الفصل الثاني
المبدأ

الفصل الثالث :
ماذا فعلت الماركسية
بالمسلمين

تمهيـــد

لم تتغلغل الشيوعية فى الشرق الاسلامى •• كما تغلغل الغرب ربما لأن الأخير أسبق زمنا وأرسخ قدما •••

وربما •• لان الأخير أدرك فى الوقت المناسب طبيعة هذا الشرق •• فكف عن الحرب السافرة له فى عقيدته •• وتلون باسم الحضارة أو المدنية أو التغريب أو التغيير الاجتماعى لينشر العلمانية ، وتحرير المرأة ، واضعاف الدين ••• دون أن يشعر أكثر المسلمين ••

لكن الماركسية أخطر على الشرق الاسلامى من الغرب ••• بما تحمل فى « أسلوبها » من « خداع » ينطلى على عامة الناس • خاصة من يخاطبون أول ما يخاطبون ممن يسمونهم طبقـــة « الصعاليك » أو البروليتاريا أى طبقة العمال الكادحة وبما تحمل من تخدير لهذه الطبقة أنهـــا اليهـــا ســـيئول الحكم ، وأن لهـــا المكاسب من دون ســـائر الطبقات[1] •

ثم بما تحمل فى غايتها من تحطيم لعقيدة هذه الأمة وقضاء على دينها ••• باعتبارها فى البداية وفى النهاية قائمة على الكفر بالله والالحاد فى أسمائه ورفض كل الأديان ، وان اتخذت « تخطيطا » مرحليا •• بعدم الهجوم على الأديان •• أو الزعم بأنها تسمح لها بالوجود أو البقاء •• أو بالالتواء بهـــذه الأديان •• للقول بأنها هى الأخرى اشتراكيـــة ويسارية » ••• الخ •• وهى فى سبيل هذه الغاية •• حين يلوح لها النصر أو •• التمكين تدوس كل شىء • وتهلك الحرث والنسل •• وتغرق البلاد فى حمامات الدم لتقضى على كل خصومها •• وليظل الردع ماثلا لكل من تحدثه نفسه بالخروج عليها •••

وقد عاشت الماركسية •• منذ صارت لها دولة •• تبذل الكثير لنشر مبادئها ورسمت لنفسها « خطة » الزحف عن طريق « الشعوب » أو الطبقات الكادحة •• ليتم التغيير من القاعدة •• لكنهـــا منذ سنين قليلة

---

(١) راجع أفيون الشعوب للاستاذ عباس محمود العقاد الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٥ الناشر دار الاعتصام — القاهرة •

راحت تجرب « لعبة » الولايات المتحدة الأمريكية لتجرى التغيير من القمة » بدلا من « القاعدة » عن طريق الانقلابات العسكرية •

ونجحت انقلاباتها فى بعض البلاد فى الاستيلاء على السلطة •••

لكن هل تنجح فى تغيير القاعدة ؟ •

والماركسية تستعد •• لترث حضارة الغرب •• وهو أمر وارد •

أولا : لانها اليوم تعيش « شبابها » وحضارة الغرب تعيش كهولتها

ثانيا : لان لها من السحر والخداع لعامة الناس وخاصة الطبقة ...ة ما ليس لغيرها من مبادىء الغرب •

ثالثا : لما يعيشه الغرب الآن من تفسخ •• وانسلاخ من دينه بما لا يحميه من ذلك الكفر الصراح •

وأخيرا : لما أشرنا اليه وسوف نشير اليه باذن الله من أن أساس الحضارتين واحد •• فلا غرو أن ترث الأخت أختها ••

ومن ثم •••

فكلماتنا •• رغم موضوعيتها وأساسها العلمى — تحمل النذير لأمتنا •••

ان البساط يسحب من تحت أقدامها ••

وأن الدمار و « الفناء » •• ينتظرانها ••

ان هى غفلت بعد اليوم •• ولو لحظة ••

أو ان هى فرطت •• بعد اليوم •• ولو ذرة •

ونحسب أن نقطة البداية الطبيعية لمثل هذه المبادىء الخادعة ان نتعرف وعاءها •• فكل وعاء بما فيه ينضح ••• البيئة التى نشأت فيها ••• ثم الرجل الذى نادى بها ••

ثم نعرض بعد ذلك للمبدأ •• فى أصله ••

وفى محاولة تطويره ••• لتلافى عيوبه •

وأخيرا ••• لما فعلته الماركسية •• بالمسلمين ••

ابتداء ... من أرض القرم والقوقاز ...

وانتهاء ... الى أرض اليمن والصومال ...

والله المستعان ... وعليه التكلان ... ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ..

وان الحكام أول المسئولين .. ليس فقط أولئك الذين سمحوا لهـا — عن علم — بالوجود على أرض المسلمين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم — بل كذلك أولئك الذين يمهدون لها — عن جهل — الطريق ، ونعنى ذلك الفريق الغارق فى شهواته المبذر فى أمواله وأموال المسلمين من غير اقامة لعدالة الاسلام الاجتماعية بين الفقراء والمحرومين .

الفصل الأول

الـــوعـــــــاء

دراسة المبدأ بغير وعائه ••• دراسة قاصرة •••

ذلك أن الفصل بينه وبين ذلك الوعاء فصل تحكمى •••

••• والا •••

فان نافخ الكير « يمكن أن يخرج » مسكا وحامل « المسك » يمكن أن يخرج شرارا ••• وصدق الله العظيم « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه : والذى خبث لا يخرج الا نكدا »[1] ••

والحديث عن وعاء الماركسية يشمل :

البيئة التى ظهرت فيها •

ثم الرجل الذى نادى بها ••• وحسبنا ذلك •••

وان كان فى كثير من النماذج الأخرى •• الداعية اليهـا الـكثير من سمات أصحابها الأولين ••

---

(1) الاعراف ٥٨

المبحث الأول

البيئـــة

ظهرت الماركسية أول ما ظهرت ••• فى آوربا •••

وكان كل شىء •• هناك ••• يمهد لها •

الدين ••

الاقتصـــاد ••

الفلسفة ••

ولنعط كلا •• كلمة ••

أولا : الدين فى القرن التاسع عشر[1] :

قاست أوربا •• الكثير •• مما آل اليه أمر دينها •• هذه حقيقة لابد من الاعتراف بها •• ففى الوقت الذى بدأت تتفتح فيه على العلم وتأخذ بأسبابه ••

وفى الوقت الذى اتصلت فيه بالشرق الاســلامى — بأكثر من طريق — وعرفت عقيدته السهلة وشريعته السمحة ••• تفتحت آذانها •• وعيونها ••• على دين معقد يصادم العقل ويرهقه ••• فمن قائل بأقانيم ثلاثة •• (الأب والابن والروح والقدس) ••

ومن قائل « المسيح ابن الله » •

ومن قائل « ان الله هو المسيح بن مريم » ••

وكل ذلك تحريف لدين المسيح — عليه السلام وخروج عليه •

فكيف لأبناء « عصر النهضة » أن يسيغوا ذلك « الخلط والخبط »

وكيف بمن سمعوا شيئا عن عقيدة الاسلام « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا[2] » •

---

(١) راجع عرضا طيبا فى كتاب للاستاذ عبد الحليم خفاجى ص ٦٩ وما بعدها •
(٢) الأنبياء ٢٢

« ليس كمثله شيء »[1] . (قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)[2] .

كيف بمن سمع بهذه البساطة أن يسيغ ذلك التعقيد ؟؟؟

ثم كيف مع ذلك التعقيد .. بما انحدر اليه رجال الدين ..

« كرسى الاعتراف » .. صكوك الغفران .. قرارات الحرمان .

وأخيرا تلك الوصمة التى لا تنسى ...

اضطهاد العلم والعلماء ... وتكفيرهم ... وسوقهم الى محاكم التفتيش لترتفع أعظم الرؤوس على أعواد المشانق ..

لم يكن بعد ذلك غريبا .. أن ترتفع الصيحة ..

« اشنقوا آخر ملك .. بأمعاء آخر قسيس » .

ثم بأن تكون « الردة » عن ذلك الدين ..

الى دين ماركس ..

ثانيا : الاقتصاد فى القرن التاسع عشر[3] :

كانت الرأسمالية فى عنفوانها ...

أصحاب المزارع الكبيرة « يمارسون » الاقطاع .

وأصحاب المصانع — بعد الثورة الصناعية — يمارسون اقطاعا من نوع آخر ..

قلة تملك وتكدس الثروات .. وتعيش حياة « الترف الداعر » .

وملايين محرومة .. تعيش حياة البؤس والشقاء ... وتشهد من قريب من يرفلون فى عرق جبينهم .

والتطرف يفضى .. الى تطرف ذاك قانون الطبيعة ..

فليس غريبا أن تستمع الطبقة الكادحة لذلك النداء الخادع ...

---

(١) الشورى ١١

(٢) الاخلاص

(٣) راجع تفصيلا فى مؤلف الدكتور محمد البهى تهافت الفكر المادى بين النظرية والتطبيق ص ١٧ وما بعدها الناشر — مكتبة وهبه — الطبعة الثالثة أكتوبر سنة ١٩٧٥

يا صعاليك العالم .. اتحدوا فأمامكم عالم تغنمونه وليس عندكم من شيء تفقدونه غير القيود والاغلال[1] .

وليس غريبا أن يصدقوا نظرية « فائض القيمة والغاء الملكية الفردية » وشيوعية المال واسطورة : من كل حسب طاقته ... ولكل حسب حاجته ....

ثالثا : الفلسفة فى القرن التاسع عشر :

كانت الفلسفة السائدة فى ذلك القرن هى ما يمكن أن يسمى بالفلسفة المثالية والتى كانت ميراثا كبيرا .. منذ افلاطون « الى فيورباخ » .

وقد أغرقت فى التحليق فى الخيال .. وأغرقت كذلك فى الخوض . فيما ليس لها فيه علم ... مثل كثير من « الالهيات » فكانت الفلسفة المادية .. القائمة على « الحس » رد فعل لتلك الفلسفة المثالية المغرقة فى الخيال[2] .

وهكذا كان الدين .. فى أوربا .. يمهد للماركسية ..

وكانت الرأسمالية فى أوربا .. تمهد للماركسية ..

وكانت الفلسفة المثالية فى أوربا .. تمهد للفلسفة المادية ... وكان على البشرية كلها ...

أن تكفر عن « خطيئة » أوربا ...

بخطيئة أخرى ... هى الماركسية .

وقبل أن نعرض لها ...

نلقى بعض الضوء ... على صاحبها .. ومؤسس أول دولة لها .. ليكتمل الحديث عن الوعاء ...

---

(١) هذه صيحة ماركس استغل فيها نكسة الرأسمالية وارتكاسها لينتقل بالعالم الى نكسة وارتكاسة اشد خطورة .

(٢) راجع عرضا جميلا للاستاذ عبد الحليم خفاجى عن ان الفلسفة المادية كانت تعبيرا عن أزمة الفلسفة المثالية من ص ٥٥ — ٦٦ من كتابه القيم (حوار مع الشيوعيين فى اقبية السجون) الطبعة الاولى ١٣٩٤ — ١٩٧٤ — دار القلم — الكويت ..

المبحث الثـــانى
مؤسس الفـــكرة

أولا : اليهود و « الفكرة » :

مؤسس الفكرة : ماركس

ومؤسس الدولة : لينين

وكلاهما من أصل يهودى

وحتى لا نفرق فى الحديث عن صناعة اليهود للفكرة وصناعتهم للدولة وما قيل عن « تخطيط » اليهود للثورة البلشفية[1] .

وتمويلهم لها[2] .

واشتراكهم بأعضاء منهم فى مجلس الحزب والثورة[3] .

ثم فى مجلس السوفييت الأعلى الحاكم[4] .

ورفعهم شعارهم .. شعارا للثورة البلشفية نفسها[5] .

---

(١) هذا ما قد يتضح من بروتوكلات حكماء صهيون — وما يؤكده تنبؤ ناشر هذه البروتوكولات العالم الروسى « سرجى نيلوس » منذ سنة ١٩٠١ بقيام الثورة البلشفية فى روسيا ، وهو ما حدث فعلا بعد ستة عشر سنة من تنبئه .

وفى مجلة يهودية أمريكية فى ١٩٢٠/٩/١٠ ان الثورة الشيوعية فى روسيا كانت من تصميم اليهود وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون الى خلق نظام جديد للعالم وان ما تحقق فى روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التى خلقت الشيوعية فى العالم ونتيجة لتدبير اليهود ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم (مجلة امريكان هبيرو) .

(٢) تشير كثير من المؤلفات الى أن تمويل الثورة الشيوعية قام به خمسة من اليهود هم : جاكوب شيف ، جوحنهايم ماركس بريتوغ واتوكان (راجع محمد خليفة التونسى الخطر اليهودى . ماجد الكيلانى — الخطر اليهودى على العالم الاسلامى ، حقيقة الشيوعية سلسلة اخترنا لك دار المعارف بمصر . تجربة عربى فى الحزب الشيوعى لقدرى قلعجى بيروت .

(٣) كان من اليهود فى مجلس ادارة الحرب والثورة : ١ تروتسكى ٢ جوف — ٣ — لينين ٤ — اتنشلخت ٥ — سويردلوف ٦ — لورتسكى ٧ — جوسيف ٨ — مولتوف ليس يهوديا ولكنه متزوج يهودية راجع ما سبق .

(٤) كان المجلس الحاكم على عهد ستالين مكونا من ١٧ عضوا منهم ١٤ يهوديا على النحو التـالى : كاجاتوفتش (نائب رئيس المجلس) بيريا ، شفيرنيك ، كيرتشينستين جوركين ، فيرشيلوف ، مولوتوف ، ايليا ايرهمبرج ، ويفنسكى ، هيسنرج ، ميخيليس فرمين جودى ، لوزوفسكى .. علاوة على أن رئيس المجلس ستالين كان متزوجا من يهودية ويذكر آمان راجورا فى كتابه عن ستالين أن جدته لامه كانت يهودية .

(٥) يتخذ اليهود الافعى الرمزية رمزا لامتهم كما يتخذون النجمة السداسية شعارا لهم وقد اتخذت الثورة البلشفية شعارا لها الافعى الرمزية وبداخلها النجمة السداسية ..

... كل ذلك .. وان كان أكثره صحيحا .. ان لم يكن كله .. فانه فى الوقت نفسه يتضمن لونا من الدعاية اليهودية بقصد القاء الرعب فى قلوب أعداء اليهود وحمل الآخرين على تقبل مطالب اليهود ...

نقول لا نغرق فى ذلك .. لنعرض لماركس صانع الفكرة .

ونترك صناع الدولة « اكتفاء بالاشارة السابقة » .

ثانيا : ماركس :

وندع أنه من أصل « يهودى » .

وان كان لذلك الأصل تأثيره .. بما عرف عن الطبيعة اليهودية من حقد والتواء وبما عرف منها من تقديس للمادة .. (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ..)[1] أية حياة .. ولا شك أن للوراثة أثرها . نعرض عن ذلك حتى لا نحاج باننا نحمل الرجل أوزار — أجداده وآبائه .. والله يقول (ولا تزر وازرة وزر أخرى)[2] .

لكننا نشير الى أشياء ثابتة فى حياة كارل ماركس :

١ — ما وصفه به أبوه من طبيعة تميل الى الهدم والتدمير والانانية.

٢ — ما قبله على نفسه أن يعيش بعد وفاة أبيه عالة على أمه وأخواته يأكل من نصيبهن فى الارث بعد أن أكل نصيبه .. وذلك بدلا من أن يعولهن وهن الاناث الضعاف .

٣ — ما قبله على نفسه أن يعيش عالة على صديقه « فردريك انجلز » .

٤ — ما ارتكبه من غش واحتيال على بعض دور النشر اذ باعها حق نشر بعض كتبه فى الوقت الذى كان يبيعها الى دور أخرى ..

٥ — موت ابنتيه منتحرتين ..

واحدة (الينورا) بعد أن عاشت (فى الحرام) مع عشيق لها ثم

---

(١) البقرة ٩٦
(٢) فاطر ١٨

اكتشفت سبق زواجه ، والثانية (لورا) خوفا ان تدركها الشيخوخة ، ونحن وان كنا لم نأخذ كارل بذنب آبائه .

فاننا لا نأخذه بذنب بناته كذلك ... ولكننا نتساءل كيف لم يستطع ذلك العبقرى ... أن يربى بناته ... بل لم يستطع أن يعرفهن طريق الحياة الصحيح[1] .

ولنحاول بعد ذلك أن نتعرض على الماركسية مبدأ ... بعد أن عرفناها وعاء .. فيما عرضنا له من « البيئة التى نشأ فيها ثم من الشخص الذى نشأت عنه » ...

---

(١) راجع عرضا جميلا لاحد عباقرة الفكر الحديث عباس محمود العقاد فى كتابه الشيوعية والانسانية فى شريعة الاسلام — نشر دار الكتاب العربى من ص ٢٩ — ٧٤ وقد أغفلنا الاشارة الى امرين :

الامر الاول : ما اشار اليه العقاد من اعتلال جسمه ، وما قد يكون له من اثرفى اعتلال عقله فان ذلك ليس اضطرادا دائما .. فقد تكون علة الجسم حافزا الى توقد العقل واستقامته اذا عرف الطريق الصحيح .

الأمر الثانى : ما أشار اليه العقاد من قذارة كارل ماركس البدنية وعدم نظافته وما استدل به على ذلك نقلا عن « ليوبلد شوارتشيلد » صاحب كتاب البروس الاحمـر ، وغيره من التقارير المحفوظة فى دار المحفوظات بمدينة ليبزج — فقد لا يرى البعض أن تلك القذارة الظاهرية ناجمة عن قذارة باطنية .. وقد لايكون الربط محكما بين قذارة جسمه وقذارة افكاره .

الفصل الثانى :
المبدأ

من مادية « فيورباخ » وجدلية « هيجل » ... أقام كارل ماركس فلسفته على المادية الجدلية[1] وربطها بأربعة قوانين وبهذه المادية فسر التاريخ تفسيرا ماديا ، وبهذه النظرية المادية أرجع كل شىء فى الاقتصاد الى أدوات الانتاج وقال بفائض القيمة ..

وبذا تبدو الماركسية أشبه بالدين ... نظرة الى الحياة وتفسير للكون ، ونظام للمجتمع ، ولا يتسع المقام للعرض لجوانب الماركسية .. كمذهب ... وكنظام اجتماعى .. واقتصادى وسياسى لكنا نكتفى منها بالأساس .. فاذا انتقض الأساس فبقية البناء محكوم عليه بالسقوط والانهدام وتبدو الرابطة واضحة بين أساس الماركسية الفكرى ، وأساس الغرب الفكرى .. بل ان الماركسية مدينة للغرب فى فكرها .. فان ماركس لم يأت بجديد وانما من التلفيق بين ما قاله هيجل وما قاله فيورباخ أقام فلسفته التى كانت — كما أشرنا — رد فعل للفلسفة المثالية التى أغرقت فى الخيال[2] .. أو كما قال بحق أحد الكتاب كانت تعبيرا عن « أزمة الفلسفة المثالية فى القرن التاسع عشر » ..

وفلسفة ماركس مضى عليها أكثر من قرن .. ومن ثم فهى — كفكر بشرى محكوم عليه بالرجعية ، وان ادعت ، أو ادعى أنصارها لها عكس ذلك .

ويبدو ذلك واضحا فى محاولات كثيرة جرت لترقيعها ...

ومنها ما قال به لينين .. حين واجهت النظرية العمل والتطبيق ... وبدأ امتحانها الحقيقى .. ومنها ما أدخله عليها ستالين وخروشوف والمؤتمر الذى انعقد سنة ١٩٦٣ فى موسكو من ٢٩ عالم سوفيتى ليضع

(٢،١) يعترف ماركس وانجلز ولينين أن الينبوع الفلسفى الاساسى للفلسفة الماركسية كان المثالية الالمانية وانه لولا الفلسفة الالمانية ولا سيما فلسفة هيجل (ولنضيف اليها فيورباخ) لما تأتى للاشتراكية العلمية أن ترى النور .
ماركسية القرن العشرين — ترجمة لكتاب جارودى — التحول الكبير فى الاشتراكية الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢ م تعريب نزيه حكيم .

« أسس الماركسية اللينينية » مما انهارت معه بعض أسس تلك الفلسفة أمام حقائق العلم الحديث •• وأخيرا منها ما قال به الفليسوف الفرنسى روجيـه جارودى فى سـنة ١٩٦٦ م فى كتـابه « التحـول الكبير فى الاشتراكية » •

والذى عرب تحت اسم ماركسية القرن العشرين[١] •

وبه بعدت الماركسية كثيرا عن أساسها وغضب لذلك أنصـارها فأخرجوه من الحزب سنة ١٩٦٩ بعد أن كان يحتل مركز عضو المكتب السياسى وفيلسوف الحزب الشيوعى الفـرنسى ، وأعقب ذلك رفض الحزب الشيوعى الفرنسى لدكتاتورية البروليتاريا ، وتبعه فى ذلك الحزب الشيوعى الايطالى •

وفى الصفحات التى تلى •• نحاول بمشيئة الله فى بحث أن نعرض للمبدأ فى أساسه[٢] ، ثم نحاول أن نعرض فى مبحث ثان نظرتهم الى الدين •• قديما •• وحديثا •• ليحق الله الحق بكلماته •• ولو كره المجرمون •• وسوف نلتزم الموضوعية فى عرضنا للمبدأ ومناقشتنا له ان شاء الله •

---

(١) مشار اليه ماركسية القرن العشرين ـ ترجمة لكتاب جارودى التحول الكبير فى الاشتراكية الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢ تعريب نزيه حكيم •

(٢) بالنسبة للتفسير المادى للتاريخ تراجعت عنه الماركسية فيما قرره فردريك انجلز من خلفه وصاحبه فى تقديم العامل المادى على غيره من العوامل •• وحسبنا منهم ذلك • وبالنسبة للماركسية كنظام فان مكان دراسـتها كنظام اقتصادى علم الاقتصـاد وكنظام سياسى علم السياسة وكنظام اجتماعى علم الاجتماع •• بيد أننا كما أشرنا بهدم الاساس ينهدم باذن الله بقية البناء والله غالب على أمره ـ راجع لنا عرضا سريعا تحت عنوان فتنة الماركسية فى كتاب شريعة الله حاكمه ليس بالحدود وحدها •

المبحث الأول

المبــدأ فى أساســه

تقوم الماركسية على أساس من المادية الجدلية •

فالماركسية تقوم على المــادة •

وتؤمن بالجدل •

ولنا فى كل كلمة ••

أولا : المــادة :

فى فكر ماركس — على ما كان سائدا فى القرن التاسع عشر — كانت المــادة هى ما تقع عليه الحواس ومن ثم قامت فلسفة ماركس ونظريته على أساس من ذلك التعريف الذى صار طالب المدارس الثانوية يعرف اليوم أكثر منه ، وان أضاف اليه ماركس أن الفكر لا حق على المــادة وتابع لها •• ومن ثم فقد عاد لينين ليعرف المــادة بانها الوجود الموضوعى خارج الذهن •

وتتابعت الاكتشافات العملية بأسرع مما تصورت الماركسية ••

وصارت الماركسية فى حرج من أمرها ••

واجتمع أكثر من عشرين عالما سنة ١٩٦٣ م ليضـــعوا « أسس الماركسية اللينينية » فهدموا ما قاله ماركس اذ قرروا « أن النشــاط الذهنى أو الفكرى خاصة مميزة للمــادة ولكنها ليست شكلا من أشكال المــادة •••

ثم ليقرروا :

وفى الوقت الحالى يعتبر التوحيد بين الفكر والمــادة من مفاهيم المادة المنحطة •• ويسجل فيلسوف ماركسى متحرر من الماركسية القديمة جمودها فى مواجهة العلم ، وبعبارة أدق عدم ملاءمتها اليوم لصيحات العصر العلمية ، ويدعوها الى أن تطــور نفسها لتظل صالحة للعصر ••

لكنها فى الواقع اذ تطور نفسها تكاد تنسلخ من أصلها لتصير شيئا جديدا ... يمكن أن ينسب الى شىء آخر سوى ماركس[1] ...

وبعد :

هل المادة .. هى الطاقة .. ؟

أم صورة منها .. ؟

وهل الحرارة والكهرباء آخر مراحل المادة .. ؟

وأين يذهبان حين يختفيان مع الأثير ؟؟

وما هو الأثير .. ؟

أنه ليس بالشىء المادى وان لم يعرف بعد ما هو ..

لايزال العلم يضيف كل يوم جديدا ...

ولا تزال محنة الماركسية قائمة ما استمسكت بقيام الكون على أساس من المادة والمادة فقط[2] .

وهل المادة هى ما يحس فحسب ، وقد أثبت العلم أن ما تقع عليه الحواس من المواد يمثل ٧٪ ومالا تقع عليه الحواس ٩٣٪[3] .

ولا تزال محنة الماركسية قائمة وهى عاجزة عن أن تجيب ..

أم خلقوا من غير شىء .. أم هم الخالقون ؟

أم خلقوا السموات والأرض .. ؟

بل لا يوقنون[4] .

---

(١) ينقل الفيلسوف الفرنسى اندريه جارودى عن فردريك انجلز قوله على المادية بالضرورة ان تكتسب صورة جديدة مع كل اكتشاف هام بادى الاثر فى تاريخ العلوم .

ثم يتساءل : هل حقق الماركسيون برنامج انجلز .

ويجيب : لقد فعلوا ذلك مرة واحدة عام ١٩٠٨ بكتاب لينين المادية والتجريبية النقدية حيث قضى ثلاث سنوات من عمره يدرس أهم كتب الفيزياء المعاصرة «التحول الكبير فى الاشتراكية».

(٢) راجع عرضا جميلا للاستاذين : عبد الحليم خفاجى ، يوسف كمال محمد الاول فى كتابه القيم حوار مع الشيوعيين والثانى فى بحثه القيم مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ..

(٣) من بحث لوحيد الدين خان مقدم الى مؤتمر الفقه الاسلامى بالرياض فى ذى القعدة١٣٩٦هـ

(٤) الطور ٢٥ ، ٢٦

ثانيا : الجــدل :

الجدل الذى يمزج ماركس بينه وبين المــادة •• هو ما أشار اليه هيجل من احتواء الشىء على النقيضين ••

وغير ماركس •• ذلك النسج ••

وغره أن كان العلم — على قرنه التاسع عشر يعتبر الطبيعة قائمة على عنصرين — الطاقة والمــادة ••

ومن ثم أخذ الجدل وبنى عليه فلسفته المــادية الجدلية •

وأثبت العلم بعده وحدة الطاقة والمــادة •

وأن المــادة ليست الا طاقة مركزة •

والطاقة مادة •• لا نقول عنها انها طاقة الا أن تسير بسرعة الضوء وكان تفجير الذرة •• تكذيبا لمــا قال به ماركس من قيــام التناقض داخل المادة •• فقد توهم من وجود السالب (الالكترون) •• والموجب (النيترون) انهما متناقضان وفات ماركس أن الاختــلاف لا يعنى التناقض •• أن وجود السالب والموجب : داخل الذرة •

وداخل الكهرباء

وداخل المغناطيس

بل وفى النبــات

وفى الحيوان

وفى الانسان

لا يعنى أبدا التناقض •

أنه يعنى شيئا آخر فات ماركس •• هو التكامل والتزاوج •• فمن العنصرين تقوم الحياة وصدق الله (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)[١] •

---

(١) الذاريات ٤٩

ومظاهر الطبيعة الأخرى التى قد تعطى ظلا من الاختـلاف . كالليل والنهار مثلا .. انما تعطى فى الحقيقة التكامل الذى أشرنا اليه وهو ما يشير اليه القرآن الكريم ... (وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا)[1] .

ومن ثم فلا تناقض متى وجد التكامل ..

بل انها كلها تسير .. وفق نظام رسمه لها خالقها (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)[2] ولا يقع التناقض ولا الصراع الا ان تخرج المادة عن نظامها الذى خلقها عليه خالقهـا فالذرة لا تنفجر .. حتى يختـل ترتيب الالكترونات والبروتونات ومثل الذرة .. كل مظاهر الكون والطبيعة .. لا تختـل حتى تخرج عن نظامها المفطور أو مدارها المرسوم ...

ومثل الطبيعة الانسان .. لا تناقض فيه بين الذكر والأنثى .. بل تكامل وتزاوج . « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة[3] » والتناقض والتنـافر لا يتأتى ، الا أن يخرج الرجل عن طبيعته أو تخرج المرأة عن طبيعتها .. ولا تناقض داخل الانسان نفسه لا تناقض بين روحه وجسده .. بل كذلك .. تكامل وتزاوج ولا يأتى التناقض والتنافر حتى تطغى احدى القوتين على الأخرى .

فيتوهم الانسان انه يمكن ان يعيش جسدا بغير روح .. يلبى رغائب الجسد وشهواته .. وفى مقدمتها شهوتى البطن والفرج . وينسى ان له روحا .. لهـا غذاء ولها أشواق .. ولابد معها من الضوابط للقوة الأولى قوة الجسـد .

أو يتوهم الانسان انه يمكن ان يعيش روحا بلا جسد .. فيعرض

---

(١) عم ١٠ ، ١١
(٢) يس ٤٠
(٣) الروم ٢١

عن مطالب الجسد أو يكاد فيرهق نفسه بالصيام دهرا ، وبقيام الليل كله .. وينسى سنة الرسول صلاة الله عليه وسلامه .. (ان لربك عليك حقا . ولبدنك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه) .

وبذا ينهار جدل « ماركس » ومن قبله جدل « هيجل » وتعيش الحقيقة الخالدة (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون[١]) .

---

(١) الذاريات ٤٩

المبحث الثـانى

المـاركسية والـدين

كان لابد من هذا المبحث •• وان استغنينا عن كثير من مباحث الماركسية ••

أولا : لأن كثيرا من المتمركسين يزعمون •• أنه لا كفر فى الشيوعية ولا الحـاد •

ثانيا : لأن النغمة الجديدة التى صاروا اليها أو ساروا بها •• هى امكان الجمع بين الماركسية والدين •• فلا تعارض بينهما •

ونحاول أن نبين موقف الماركسية من الدين •

ثم نبين بعد ذلك موقف الدين من الماركسية •• وهل يمكن ان يرقع بها الدين أو يكمل بها « نقصـه » •

أولا — موقف الماركسية من الدين :

لم يخف ماركس رأيه فى الدين •

بل ان الدين — على قرنه التاسع عشر فى أوربا — كان تمهيدا طبيعيا للماركسية •• كما قلنـا •• بما آل اليه أمره من تعقيـد فى العقيدة •• ثم بما آل اليه أمر أهله أو رجاله من تنفير وتشويه •• بعد التحريف والتأويل ••

وماركس واتباعه يردد فى أكثر من مكان •• ان الدين « أفيون » الشعوب ومخدر الفقراء وانه انعكاس لشـقاء فعلى واحتجاج على هذا الشـقاء[1] •

---

(1) روجيه جارودى — المرجع السابق ص ١٤٣ وما بعدها والدكتور عبد الحليم محمود فى بحثه الاسلام والشيوعية ص ٣١ والاسلام فى وجه الزحف الاحمر محمد الغزالى ص ٥٠ وما بعدها جمال عبد الناصر من الشيوعية فى كتاب (حقيقة الشيوعية) .

وظلت الماركسية تعتز بموقفها من الدين •• طوال صدامها مع الكنيسة حتى اذا قيض للماركسية أن تجد لها أتباعا فى شرقنا الاسلامى• فانها بدأت تراجع موقفها من الدين •• لتتخذ ازاءه « خطة مرحلية » بعدما وجدت من عقيدة الاسلام صخرة صلبة تقف فى طريقها •• وكان ان قرر بعض المؤتمرات الشيوعية ضرورة الابتعاد عن الهجوم على الدين وتلا ذلك نصائح بعض مفكريهم بعدم انكار أثر الدين وبمحاولة الاستفادة منه •• وهكذا يقول احدهم : « وان هناك لأملا كبيرا مشتركا بين ملايين المسيحيين فى العالم وبين ملايين الشيوعيين وهو ان نبنى المستقبل دون أن نضيع شيئا من ميراث القيم الانسانية التى جاءت بها المسيحية منذ الفى عام ويضيف ان تكذيب صيغة « افيون الشعوب » التى لخص بها ماركس ولينين تجربة لا سبيل الى نكرانها ، ليس قضية فحسب بل هو أيضا أمر ممارسة سياسية واجتماعية[1] •

ثانيــا — موقف الدين من الماركسية :

ونحن نقصد بذلك ديننا •• دين الاسلام •

فلئن كان فى ظروف الدين المسيحى — على وضعه الحالى — ما اتاح للماركسية ان تنتهكه بل ان تلتهمه •• فليس فى ظروف ديننا شىء من ذلك •

ليس فى ديننا ذلك التعقيد فى العقيدة •

ليس فيها اقانيم •• ولا تثليث •• ولا اشراك •

وليس فى ديننا شىء من التحريف أو التشويه •

كما حدث لدين المسيح عليه السلام مما حدا بمفكرى الماركسـية ان ينظروا الى الدين على أنه مشروع انسانى « أى جهد بشرى » •

---

(١) روجيه جارودى — المرجع السابق ص ٢٠٢ — وان كان يعترف فى نفس الوقت بالحاد للماركسية ويميز الحاد الماركسية عن الحاد القرن الثامن عشر الذى كان فى جوهره سياسيا والحاد القرن التاسع عشر الذى كان بصورة عامة الحاد علموى (يقصد علمى) اى من تناقض العلم مع دينهم فى ذلك الحين ويسمى الالحاد الماركسى الحاد القرن العشرين ويقول انه فى جوهره انسى ص ١٤٣ ، ١٤٤ المرجع السابق وهو يعتبر الدين جهدا انسانيا ص ١٦٣

ولا وقف علماء الاسلام من العلم مثل ما فعل رجال الدين المسيحى مع العلم والعلماء فى القرون الوسـطى •• ومن ثم فان موقفنـا من الماركسية يختلف عن موقفهم •

ومحاولة التوفيق أو « التلفيق التى يصنعها « أذكياء » الماركسية للتدليس أو التدسس الى الاسلام •• باعلانهم قبول الاسلام عقيدة والاشتراكية العلمية منهجا •• محاولة مفضوحة •• مردودة ••

أولا : لانه واضح فيها التكتيك المرحلى ••

وهو ماكشفت عنه كثير من كتابات مفكريهم بل ما أوصى به بعض مؤتمراتهم •

وثانيا : سواء اعتبروا تلك « المصالحة » أو التوفيق « تكتيكا » مرحليا •• أو قبلوه استراتيجية دائمة أو حتى أدخلوه فى نظـريتهم واعتبروه جزءا من أيديولوجية (عقيـدة) دائمة •• على كل هـذه الفروض •

فان ذلك العرض مرفوض

لان القول بأن الاسلام عقيدة •• والاشتراكية العلمية منهج •

قول يتنافى مع طبيعة الاسلام •• فهو عقيدة ومنهج حياة ••

وهو فى هذا لا يقبل التجزئة ولا التفرقة •• ولا المساومة •

ولا التلفيق •• ولا الترقيع •• !

ويسمى كل ذلك : كفرا •

وفتنـة •

وجاهلية • ومحادة لله ورسـوله •

(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ••) ؟[1] •

---

(١) البقرة ــ ٨٥

(واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك)[1] .

(أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)[2] .

(اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)[3] .

واذا كان الأمر كذلك .. فان الذين صنعوا الدين رجال وهم رجال .. ولهم ان يصنعوا مثل ما صنعوا .. ومن ثم لهم ان يشرعوا « الماركسية » كما شرع البابوات « المسيحية » .

وليس فى ديننا .. صكوك غفران ولا قرارات حرمان .

وهو فى هذا منطقى مع عقيدته .. ومع شريعته .

فعقيدته ان « الشرع » كالخلق خالص حق الله .

(الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)[4] .

والالوهية التى نرفعها لنا شهادة وشعارا ونقر بها لله سبحانه وتعالى وننفيها عمن سواه .. هذه الألوهية من معانيها التسليم لأمر الله وشرعه .

وشريعته كذلك :

شملت .. كل نواحى الحياة (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)[5] تشمل الحياة السياسية . والحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية ولا يمكن فيها فصل حياة عن حياة .

ومن ثم فللماركسية أن تبحث لها عن دين آخر .

---

(١) المائدة — ٤٩
(٢) المائدة — ٥٠
(٣) البقرة — ٢٧٨ ، ٢٧٩
(٤) الأعراف ٥٤
(٥) النحل — ٨٩

تجرى معه التوفيق أو التلفيق ..

ولقد سبقتهم الى ذلك يوما قريش ..

فقال الله لهم :

(قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين[1])

---

(١) الكافرون

الفصل الثالث
ماذا فعلت الماركسية بالمسلمين

المأساة أجل من أن تكتب فى فصـــل .

نكتفى فيها بالاشـــارة .

ونطلب فيها من القارىء .. بل نلح أن يقرأ المزيد .

المبحث الأول

المسلمون فى الاتحـــاد السوفيتى(٢)

الأرض الاسلامية ــ ميراث محمد عليه الصلاة والسلام ــ أضعاف أرض روسيا فاقاليم الاسلام فى الاتحاد السوفيتى تشمل :

١ ــ الأورال .

٢ ــ استرخان .

٣ ــ ســـيبيريا .

٤ ــ القرم (وهى أغنى المناطق بالحاصلات الزراعية) .

٥ ــ القوقاز (وهى أغنى المناطق بالبترول وبعض المعادن) .

٦ ــ التركستان بلاد ما وراء النهر (منها اماما السنة البخارى ومسلم ، والمفسران الزمخشرى والنسفى ، وأئمة البلاغة واعجاز القرآن ، عبد القاهر الجرجانى وسعد الدين التفتازانى ويوسف السكاكى ، ومنها

---

(١) أما ماذا فعلت فى غير المسلمين فمذابح المجر سنة ١٩٥٦ وتشيوسلوفاكيا سنة ٦٨ أقرب مثال وخير مثال. وأما ما فعلته فى نفسها فاقرأ فيه : آثرت الحرية ــ لفيكتور كرانتشيسكو روسى هارب من جحيم رومانيا .

(٢) هذا عنوان فصل فى كتاب الاسلام فى وجه الزحف الاحمر وجدناه افضل ما كتب عن حال المسلمين فى الاتحاد السوفيتى للداعية الاسلامى الشيخ محمد الغزالى .

الفارابى وابن سـينا ، ومن علماء الرياضة والفلك خالد والبلخى ومن علماء الهندسة بنو موسى . ومنها البيرونى ، والماتريدى الخوارزمى ، والسرخسى والجوهرى وغيرهم ..

ومن الثروات المعدنية :

٢٥٠ منجما للذهب ، ١٦ للفضة ، ٤٦ للحديد ، ٣٢ للرصاص ٣٤ للبترول ، ٧٠ للفحم ، ١٣ للكبريت ، ٦٣ للصوديوم عدا الاورانيوم والفرام والزئبق والنحاس والقصدير والبلاتين ..

وهذه الاقاليم تمثل الشمال الشرقى من العالم الاسلامى .

وهى تمثل من حيث المساحة تسعة أعشار مساحة الاتحاد السوفيتى (كانت ٤٠٠ ألف كيلو مترا .. فصارت بعد ضم البلاد الاسلامية ١٤ مليون كيلو متر) ..

بعد الثورة البلشفية أصدر مجلس قوميسيرى الشعب البلشفى نداء موجها الى شعوب روسيا من المسلمين كان من بين من وقعه لينين وستالين جاء فيه (مؤرخا ٧ ديسمبر ١٩١٧) .. ان امبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار والأرض التى تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل نارا ..

وفى وجه هذه الاحداث الجسام نتجه بانظارنا اليكم أنتم يا مسلمى روسيا والشرق ، انتم يا من تشقون وتكدحون وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق انتم له أهل ..

أيها المسلمون فى روسـيا ..

أيها التتر على شواطىء الفولجا وفى القرم ..

أيها الكرغيز والسارتيون فى سيبيريا والتركستان .

أيها التتر والاتراك فى القوقاز ..

أيها الجبليون فى اتحاد القوقاز ..

انتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم ، وقبوركم واعتدى على عقائدكم وعاداتكم ، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم :

ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم ، وحرية نظمكم القومية .. ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم .. لا يطغى عليها ولا يعتدى عليها معتـــد ..

هبوا اذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم . فانتم احرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل .. الى أن قال البيـــان :

أيها الرفاق .. أيها الاخوة ..

لنتقدم سويا فى عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطى ..

ان رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة فى ارجاء العالم .

أيها المسلمون فى روســـيا ..

أيها المسلمون فى الشرق .

اننا ونحن نسير فى الطريق الذى يؤدى بالعالم الى بعث جديد نتطلع اليكم لنلتمس عندكم العطف والعون ..

استجابت البلاد الاسلامية وأعلنت استقلالها (عن الحكم الروسى القديم) .

فهل تركها الحكم الذى « يحمل الحرية للشعوب المظلومة فى ارجاء العـــالم » ؟ .

فى أبريل سنة ١٩١٨ أى بعد أربعة شـــهور من البيان السابق ــ أصدر لينين أمرا بالزحف على البلاد الاسلامية وسارت الجيوش الروسية بالدبابات والطائرات والمدافع .. تدمر وتحصد ما فى طريقها وفى نهاية العام تم لها الاستيلاء على جمهورية « ايديل أورال » وشمال القوقاز ، وحكومة خوقند ، وتأخر استيلاؤها على شـــبه جزيرة القرم لعنف المقاومة فيهـــا .

وفى سنة ١٩١٩ تم الاستيلاء على جمهورية الاش أوردو .

وفى أبريل سنة ١٩٢٠ انتهت من احتلال القرم ، واستأنفت الهجوم على جمهورية آذربيجان واستطاعت اخضاعها .

وفى نهاية سنة ١٩٢٠ استولت على جمهورية خيوة بعـــد أن ظلت تدافع دفاع المستميت ..

وفى سنة ١٩٢١ استأنفت الهجوم على جمهورية بخارى ودار فيهــا قتال مرير ودافع أحفاد الامام البخارى رضى الله عنه عن ميراث محمد عليه الصلاة والسلام .. لكنهم وحدهم لم يستطيعوا الوقوف فى وجه الزحف الأحمر الثقيل فهزمت جيوشهم المنظمة ، لكنهم ظلوا يحاربون حرب عصابات مدة عشر سنوات دون أن يتلقوا أية معونة من العــالم الاسلامى[1] ونشرت جريدة أزفسيتا فى عددها الصادر ١٥ يولية ســنة ١٩٢٢ تقريرا للرفيق كالينين عن مجاعة القرم (نتيجة نقل الروس ما فى الجزيرة من أقوات ليضطروهم للتسليم) .

بلغ عدد الذين اصابتهم محنة الجوع فى شهر يناير ٣٠٢٫٠٠٠

مات منهم ١٤٫٤١٣

ارتفع عددهم فى شهر مارس الى ٣٧٩٫٠٠٠

مات منهم ١٩٫٩٠٢

بلغ فى أبريل ٣٧٧٫٠٠٠

مات منهم ١٢٫٧٥٤

وفى يونية ٣٩٢٫٠٧٢

(ولم يذكركم مات فى هذا الشهر) .

وقد كان سكان القرم فى سنة ١٩١٧ : ٥ ملايين .

فأصبحوا فى سنة ١٩٤٠

٤٠٠ ألف فقط

أقل من عشر السكان .

وكانت المساجد ١٥٥٨ مسجدا .

لم يبق منها الا عشرات ..

لجأت الثورة الشيوعية بعد أن استتب لها الأمر .. الى نفى شعوب

---

(١) كان العالم الاسلامى قد قطع اربا . وكانت دولة الخلافة الاسلامية خارجة من الحرب العالمية الاولى وكان زعيمها مصطفى كمال أتاتورك ــ لعنه الله يتأهب لالغاء الخلافة الاسلامية.

بأكملها ليحل محلها الروس •• وفى بيان لوكيل الجامع الأزهر ورئيس جماعة الكفاح الاسلامى أرسل الى الأمم المتحدة •• قدم بعض المهاجرين من الحكم البلشفى الغاشم بعض الحقائق نذكر منها :

(أ) فى التركستان وحدها قتل الشيوعيون سنة ١٩٣٤ مائة ألف مسلم ونفوا ثلاثمائة ألف مسلم ومات ثلاثة ملايين جوعا نتيجة استيلاء الروس على محاصيلهم واعطائها للصليبيين ليحلوا محلهم •• وفيما بين سنة ١٩٣٧ — ١٩٣٩ ألقت القبض على ٥٠٠ ألف مسلم أعدمت منهم فريقا ونفت الباقى ••

وقتلوا من علماء الدين : الشيخ برهان البخارى قاضى القضاة والشيخ خان مروان مفتى بخارى ، والشيخ عبد المطلب داملا ، والشيخ محسوم متولى ، والشيخ عبد الأحد دارخان ، والشيخ الحاج ملا يعقوب، والشيخ ملا عبد الكريم •• وغيرهم كثيرون •• ومن الساسه خدمة نياز رئيس الجمهورية ، ومولانا ثابت رئيس الوزراء وشريف حاج قائد مقاطعة ألما أتا ، وعثمان أوراز قائد مقاطعة كاشغر ، ويونس بك وزير الدولة والحاج أبو محسن وزير التجارة ، وطاهر بك رئيس مجلس النواب وعبد الله داملا وزير الأشغال •

وفى سنة ١٩٤٩ هرب ٢٠٠٠ ألفا شخص منهم ١٢٠٠ لقوا حتفهم فى الطريق •

وفى سنة ١٩٥٠ هرب ٢٠٠٠٠ مسلم •• وقتلت روسيا منهم سبعة آلاف •

(ب) فى القرم قتلوا :

سنة ١٩٢١ مائة ألف مسلم جوعا •

سنة ١٩٢٨ قتلوا ولى ابراهيم رئيس الجمهورية مع وزرائه •

سنة ١٩٣٠ قتلوا محمد قوباشى رئيس الجمهورية وجميع وزرائه •

سنة ١٩٣٧ قتلوا الياس طرخان رئيس الجمهورية وجميع وزرائه بعد استدعائهم الى موسكو أثناء محاكمة المارشال تحاتشنفسكى •

نصوص فى الاتحاد السوفيتى :

فى دستور سنة ١٩١٨ نص على أن حرية الدعاية الدينية واللادينية مكفولة للجميع .

عدل فى سنة ١٩١٩ الى حرية اقامة الشعائر الدينية وحرية الدعاية اللادينية مكفولتان لجميع المواطنين .

وفى دستور سنة ١٩٣٦ (م ١٢٤) لكى يستمتع المواطنون بحرية الضمير تفصل الكنيسة فى الاتحاد السوفيتى عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة ويكفل لجميع المواطنين حرية الدعوة ضد الدين ..

وفى المادة ١٢٢ من القانون الجنائى السوفيتى تحريم تلقين الأطفال الأحداث العقائد الدينية فى مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة .

وواضح من هذه النصوص :

١ — التفرقة الظالمة بين حرية التدين وحرية الالحاد فالأولى قاصرة على مباشرة الشعائر (ان صدقوا فيها) والثانية ممتدة الى حرية الدعوة والدعاية ضد الدين ..

٢ — تنتهى حرية التدين الى مجرد شعائر بغير مضمون ولاتطبيق اذا وعينا النص الجنائى الذى يحرم تلقين الأطفال العقائد الدينية فى مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة فمن أين يأتى لهم التدين الذى يسمح الدستور (المحترم) بممارسة شعائره ..

المبحث الثـــانى

المسلمون فى غير الاتحاد السوفيتى من البلاد الماركسية

ونكتفى فيه ببعض النماذج :

أولا : من الصـــين :

ونأخذ منها مثلا واحدا .. ما نشرته صحيفة « تمد بات باد » فى هونج كونج فى عددها الصادر فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٦ وهو منشـــور موجه الى الحرس الأحمر جاء فيه : « يا رجال الحرس الأحمر » لا يمكن أن ندع عدوا من أعدائنا يهرب وعلينا من الآن فصاعدا أن نهاجم أكثر الأعداء تخفيا ــ المسلمين ــ الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضـــد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم ..

من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الدينى على وجوهكم سنطردكم وندمركم .

ومن الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار لأن الأبقار تخدم الشعب ، يجب أن تأكلوا لحم الخنازير ..

ولا يمكنكم من الآن فصاعدا أن تضيعوا وقتكم فى الصلاة ..

يجب ألا تتكلموا اللغة العربية التى هى ضد اللغة الصينية .

ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما يسمى بالكتاب المقدس (القرآن)

اسمعوا أيها المسلمون :

ــ دمروا جوامعكم ــ حلوا المنظمـــات الاسلامية ، أحـــرقوا القـــرآن .

— الغوا الحظر الذى وضعتموه على الزواج المشترك .

— كفوا عن الصلاة .

— ألغوا الختان .

— ادرسوا أفكار ماو .

— اذا لم تندمجوا سنطردكم وندمركم ، يجب أن نسحق جحور الجرذان الدينية وندمرها معكم .

— فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى .

— فليحيا طويلا طويلا الرئيس ماو[1] .

ثانيا : من يوغسلافيا :

ونقتطف بالنسبة لها من بيان وكيل الجامع الأزهر عمن جاءوا لاجئين:

١ — قتل الشيوعيون ٢٤٠٠٠ مسلم بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة .

١٥ ألف من مقاطعة طوزلا .

٣ آلاف من مدينة سرابيفو .

٦ آلاف من ماكيدونيا وكومونا .

٢ — قتلوا مفتى كرواتيا الشيخ عصمت مفتيتش والعالم مصطفى يوصولا حبيتش .

٣ — فى سنة ١٩٤٧ حكموا على ١٧ زعيما البانيا (من المقيمين فى يوغوسلافيا) .

٤ — فى سنة ١٩٤٩ حكموا على ١٣ زعيما البانيا بالاعدام وعلى آخرين بالأشغال الشاقة .

---

(١) مجلة الوعى الاسلامى عدد اكتوبر سنة ١٩٦٦ اشار اليه كذلك الشيخ محمد الغزالى فى كتابه القيم الاسلام فى وجه الزحف الاحمر ..

ثالثا — من بلغـاريا :

جاء فى بيان موجه من هؤلاء المسلمين الى اخوتهم فى العـالم الاسلامى ، وأشار اليه خطاب اتحاد الطلبة المسلمين فى شرق أوربا الى كل من وزير الخارجية السعودى ، والى الرئيس العام لادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٩٦[1] .

نحن المسلمين البلغار نتقدم بالشكر لكل من عمل على نشر قضيتنا للرأى العام سواء كان ذلك بالاذاعة أم بالصحف ، وقد كان لذلك أثر عميق فى نفوسنا ، ونود أن نوضح حقائق أخرى عن تلك القضية .

بعد أن شعر المسئولون البلغار بنشر القضية خارج القطر أذاع راديو صوفيا بيانا باللغة العربية رادا فيه بأن المسلمين فى بلغاريا يتمتعون بكل حرية ومساواة مع الآخرين .

لا شك أن هذا الرد غير صحيح وبعيد كل البعد عن الحقيقة كما سنوضح ذلك ، ونلفت نظر العالم بأجمعه أن الدستور البلغارى يذكر فى المادة (٣٣) :

البند (ب) لكل مواطن بلغارى الحق فى أن يعتنق أى دين يرتضيه .

البند (و) لكل مواطن بلغارى يحمل اسما غير بلغارى الحق فى رفع قضايا جنائية فى حالة تعرضه للأذى أو الاهانة لمجرد حمله لهذا الاسم .

وبالرغم من ذلك أن الحكومة البلغارية مصممة ومستمرة فى تنفيذ مخطط التنصير الماركسى ضد المسلمين .

فقد طلب من جميع المعلمين المسلمين أن يغيروا أسماءهم الاسلامية أو أن يطردوا من أعمالهم وألا يسمح لهم بممارسة أى عمل فى أى جهاز من أجهزة الدولة الرسمية ورفض ١٦٥ معلما مسلما أن يغيروا أسماءهم ولذلك طردوا من وظائفهم ومنعوا من حق العمل فى بلغاريا موطنهم ومسقط رأسهم .

وعند بدء العام الدراسى ١٩٧١ — ١٩٧٢ طلب من جميع تلاميذ

---

(١) الأول برقم ٢/ ع فى ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣٩٦ والثانى فى ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٩٦

المدارس المسلمين أن يغيروا أسماءهم الاسلامية كشرط لاستمرارهم كتلاميذ والا يطردون من المدارس ، ورفضوا جميعهم وطردوا من المدارس •

صدرت أوامر فى المؤسسات الحكومية لجميع المسئولين الاداريين أن يقوموا باجراءات حازمة لتغير أسماء المسلمين العاملين فى المؤسسات ، وكونت جماعات بوليسية مسلحة من قبل وزارة الداخلية لمراقبة تنفيذ هذه الأوامر ومتابعتها حتى النهاية •

تم القبض على مجموعات كبيرة من المسلمين ووضعوا فى معسكرات أعدت خصيصا لهذا الغرض وساموهم أمر أنواع العذاب ومن عاد منهم فبرجل مكسورة أو يد أو أضلع مكسورات •

تم حصار بعض القرى وقاموا بانتهاك حرمات المنازل بعد أن حطموا الأبواب والنوافذ واقتحموها عنوة وقذفوا بأصحابها فى الخارج ، وقد لقى عدد كبير من النساء والأطفال حتفهم وكذلك الشيوخ من جراء الرصاص الذى أصلاهم به رجال الأمن الذين من واجبهم حفظ المواطنين، وقد تعرض الكثير من النساء والأطفال لنهش الكلاب البوليسية وقد عارض كل المسلمين تلك الأوامر حتى الفتيات منهم مما أدى الى ارسالهن الى السجون ، ولاخفاء تلك الجرائم تم القبض على بعض المسلمين واتهموهم زورا وبهتانا بارتكاب جرائم قتل المسلمين وحكم عليهم بالاعدام ونفذ فيهم حكم الاعدام •

فى يوم ١٠ مايو ١٩٧٢ تحرك حوالى ٥٠٠٠ مسلم من منطقة بازرجيك ومنطقة بلاقويفقراد وسمولن قراد فى مظاهرة احتجاج متجهين الى صوفيا (العاصمة) وكان ذلك فى جوف الليل لكى لا يعلم بهم البوليس وقد ضم الموكب كل فئات المسلمين من الذين أعمارهم من ١٥ الى ٧٥ عاما وكان تحرك الموكب تحت ظروف قاسية وسط الأمطار الغزيرة والوحل وعلى بعد أميال قليلة من صوفيا وبالتحديد فى محطة اسكار علمت بهم السلطات وأرسلت لهم قوة ضخمة من الجيش والبوليس وحاصروهم بالدبابات والعربات المصفحة ونقلوهم الى مدينة بيلو حيث وضعوا فى السجون حتى الآن •

وفى ١٢ مايو ١٩٧٢ حوصرت قرية ايلانسكو برجال البوليس تصحبهم الكلاب البوليسية فتصدى لهم المسلمون بشجاعة وبسالة وقتلوا أحد

رجال البوليس وكاجراء انتقامى تم القبض على ٣٠ مسلما وقدموا الى محاكمات عسكرية أصدرت أحكامها بالاعدام على ثلاثة من المسلمين وبالسجن على عدد آخر •

فى يوم ١٣ مايو ١٩٧٢ حوصرت باكرودا حيث يشكل المسلمون نسبة ٨٠٪ من عدد السكان واقتحم الجيش منازل المسلمين عنوة واقتادوا المسلمين مكبلين بالسلاسل واقتيدوا الى مراكز الشرطة حيث طلب منهم أن يوقعوا على طلب بتغيير أسمائهم تحت جو من الارهاب والضرب والتهديد بالسجن والطرد من العمل وفى هذه الظروف القاسية تمكن الشهيد أمين محمد وفتسرنكوف من الهرب ولكن قوات الجيش طاردته وأطلقت عليه الرصاص فاستشهد وهو أب لطفلين فى ٣٢ عاما من عمره •

أوقفت جميع المعاشات عن العجزة الذين تقاعدوا عن العمل وأغلقوا أبواب العمل أمام كل الذين رفضوا تغيير أسمائهم وحرموهم حق العلاج وهم الذين أفنوا شبابهم فى خدمة بلغاريا •

حدث فى مدينة مدان ان وضعت امرأة مسلمة فى أحد المستشفيات الحكومية وطلب منها رسميا أن تختار لطفلها اسما غير اسلامى فرفضت أن تستجيب لطلبهم فأخبروها أن هذا أمر حكومى ولابد أن تنفذه فعند ذلك رمت طفلها بين أيديهم وتركته لهم •

فى كثير من مناطق المسلمين حطموا المساجد وكانوا فى الماضى قد منعوا الشباب من دخول المساجد والآن قد منعوا الشيوخ وكانوا ينتظرون موت أئمة المساجد فيقفلوها بحجة أن امام المسجد قد توفى •

الى غير ذلك من الحوادث الشنيعة فى مطاردة المسلمين واذلالهم •

ويختتم البيان بما يلى :

اننا نناشد اخواننا المسلمين والعرب أن يمدوا لنا يد العون وأن لا يكتفوا فقط بالاحتجاج اذ أن هذا الأمر يحدث على سمع العالم ومرآه اننا نطالب وقف هذه الحملة ضدنا دون ذنب ارتكبناه ونطلب من الدول العربية التى لها علاقات اقتصادية مع بلغاريا أن تتدخل فى الأمر وكذلك مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ونرجو أن يرفع هذا الأمر للأمم المتحدة ولجنة حقوق الانسان اذ أننا لا نستطيع الاتصال بهم •

ونسأل الله أنيشد من أزرنا •

وموعدنا الصبح أليس الصبح بقريب •

المسلمون البلغار

رابعا — من البانيا :

وننقل هنا عن اتحاد الطلبة المسلمين فى شرق أوربا :

اذا كانت هنالك معان كثيرة ومختلفة توصف بها حالة شعب من الشعوب ، لكى تترجم معانى التضحية والصبر ومعاناة الاضطهاد • وتحمل كل ذلك بنوع كبير من التحدى لكل شىء ، وان شعب ألبانيا المسلم لجدير بأن تطلق عليه تلك المعانى والصفات •

وهنا نبدأ بنظرة سريعة مختصرة لتاريخ ألبانيا القريب وذلك الى ما قبل خمسين عاما كانت ألبانيا فى حوالى العشرينات من هذا القـــرن تحكم بواسطة أحمد زوقو حيث كان ملكا عليها ، وكان الشعب فى ذلك الوقت يمارس طقوسه الدينية بحرية سواء المسلمين أو المسيحيين ، وفى هذا التاريخ بدأت عواصف الشر تهب من بعد حيث وقعت ألبانيا تحت الحكم الايطالى فى عهد (فكتور امناولى) وانتدب (دونتشه موسيلينى) ليحكم ألبانيا • أما الملك أحمد زوقو فقد نقل الى ايطاليا •

ثم بدأت الحرب العالمية الثانية وكانت ألبانيا مثلجارتها يوغوسلافيا ترزح تحت السيطرة الألمانية ، ولأسباب الحرب مع الألمان فقد اندمجت كل من يوغوسلافيا وألبانيا تحت قيادة واحدة برئاسة (تيتو) وكان من ضمن القادة البارزين فى حرب العصابات كل من (أنور خوجه) و (محمد شيخو) الألبانيين اللذين هما الآن يسيطران على الحكم فى ألبانيا •• استمر الاتحاد الائتلاف بين يوغوسلافيا وألبانيا من عام ١٩٤٤ الى ١٩٤٨ ، حيث ظهرت سياسة تيتو المعتدلة مع الشيوعيين والتى لم ترق للقادة الألبانيين فانفصلوا عن يوغوسلافيا وتبنوا الحكم الشـــيوعى المـــاركسى المتطرف •

تلك نظرة سريعة ، الهدف منها الوصول الى معرفة الوسائل التى أوصلت الحكم الى ما هو عليه الآن •

ألبانيا يبلغ تعداد سكانها المليونين نسبة المسلمين ٨٠ ــ ٩٠٪ وباقى السكان مسيحيون ، ويتركز السكان المسلمون فى وسط ألبانيا ورغم أن المسلمين نسبتهم كبيرة الا أنهم يلاقون أشد المصاعب والاضطهاد من عنت الحكم الشيوعى الحاقد •

حيث قام الحكام الحاقدون بهدم المساجد ومنع المسلمين من أداء شعائر دينهم ، كما أن مواليدهم الجدد لا يتم تسجيلهم واعطاؤهم الجنسية الا بأسماء غير اسلامية وكذلك الموتى لا يتركونهم لأهليهم ليمارسوا عليهم الشعائر الاسلامية ، من غسل وكفن وصلاة ، كذا لا يدعونهم يدفنونهم فى مقابرهم الخاصة بل يجبرونهم بدفنهم فى المقابر العامة مع الشيوعيين أما عند عقد الزواج فيستحيل ذكر الديانة ويتم العقد تحت اسم مواطن ألبانى فقط ، وأما بالنسبة للمناهج الدراسية فهى حقلهم الخصب فى زرع الالحاد فى نفوس الأطفال الصغار منذ نعومة أظفارهم الى أن يستوى عودهم وذلك بمختلف الوسائل التعليمية ، والاعلامية •• وقد حدثنا أحد أولئك الذين اشتغلوا بمهنة التدريس حيث يقول بأن الوزارة أمرت المدرسين بأن يهتموا بغرس فكرة عدم وجود الله فى عقول الأطفال ، وقد حدث مرة أن سأل طالب عن الله هل هو موجود فأجاب الأستاذ نعم ان الله موجود ، وبسبب هذه الاجابة قضى الأستاذ ستة أشهر فى السجن ، ثم طرد من مهنة التدريس بتهمة أنه يعلم الأطفال أشياء تضر بمستقبلهم ، ويذكر الأستاذ بأن الاجابة المتعارف عليها عن الله ورسوله ، هى أن الله والعياذ بالله هو (أنور خوجه) ربهم ومالك نعمتهم ، وأن (محمد شيخو) رسوله والمتصرف بأمره •

هذا جزء بسيط ، وقطرة من بحر عميق مما يلاقيه المسلمون فى ألبانيا المسلمة ••

خامسا : من الصومال :

أعلن زعيم الانقلاب العسكرى •• محمد زياد برى الاشتراكية العلمية (الماركسية) ثم أصدر بعض النصوص القانونية :

التى تسوى بين الرجل والمرأة فى الميراث ــ وصرح تعليقا على ذلك لاحدى المجلات المصرية[1] ولأن الاسلام دين ثورى •• فقد قام

(١) مجلة روز اليوسف ــ ٢ فبراير سنه ١٩٧٦ م ••

ـحل بعض المشاكل حلولا فورية ثورية وكتب شيخ الجامع الأزهر يقول انه تثبت من قتل بعض علماء الاسلام الذين كتبوا لرئيس الانقـلاب يوضحون حكم الله فى الموضوع لقد قتلهم أشنع قتله لأنهم بينوا حكم الله .

أما الذى لم يفصح عنه الامام الأكبر فهو أنهم قتلوا حرقا[1] ليعيد للأذهان قصة أصحاب الأخدود .

« النار ذات الوقود اذهم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد[2] » .

---

(١) وقد أراد شيخ الازهر ان ينشر بيانا فى الصحف عن تلك المأساة .. لكنه لم يسمح له بذلك .

(٢) البروج ٥ — ٨ .

المبحث الثـــالث

كيف يعملون الآن في العالم الاسلامى

وننقل هنا عن مجلة كومونيست السوفيتية الصادرة فى أول ينـــاير سنة ١٩٦٤ .

أن بين الاشتراكية العلمية والأديان السماوية صراعا مستمرا .

لقد أوصانا لينين منذ البدء بأن اعادة التنظيم الفكرى للعقيدة الدينية ومفاهيمها انما هى بمثـــابة (التنقيح للدين) وتحـــدياته للاشتراكيـــة العلميـــة .

ثم تقـــول :

ستظل العقيدة الاشتراكية فى نزاع مع العقيدة الدينية ولن يستقر التحول الاشتراكى الصحيح الا بسيادة الاشتراكية على الدين ..

ثم تقـــول :

واذا اقتضت مراحل التحويل الاشتراكى **تعايشا مع العقيدة الدينية** أو اظهار الاهتمام بها فى بعض الحالات ، **كمـــا هو الحال فى المنـــاطق** الاسلامية ، فان هذا الاهتمام هو من قبيل التدبير المؤقت .

ثم تقول :

وفى بعض النظم الاشتراكية الجديدة نجد جماعات من أصـــحاب المسؤوليات وهم اشتراكيون فكرا واقتناعا ــ يمارسون الفروض الدينية ويشجعونها وهم يفعلون ذلك للسيطرة على زمام المعاقل الدينية لئـــلا تتحداهم وترى مرحلة التحويل الاشتراكى مرحلة قاسية ، ونحـــن فى الاتحاد السوفيتى لجأنا الى هذا الأسلوب أيضا فى مناطقنا الاسلامية .

كما يلجأ اليه أقطاب الحزب الشيوعى فى ايطاليا الكاثوليكية .

وتضيف المجلة :

ففى مثل هذه المناطق الاسلامية وجدنا أن ممارسة الطليعة الاشتراكية **للفروض الدينية يساعدنا كثيرا على مرحلة التحويل الاشتراكى هناك**[1] **لأن** العبادة العلنية فى الوسط الاسلامى تعبر عن احترام الطليعة الاشتراكية للمشاعر المحلية ، وبالتالى تنتزع هذه الطليعة من هذا الوسط الاسلامى الاحترام والطاعة للقيادة الاشتراكية .

وتضيف :

ولكن من الضرورى أن يأتى وقت تقرر فيه القيادة الاشتراكية قرارا حازما بألا مبرر بعد للهدنة مع الميراث الدينى وأصحابه والا أدت هذه المهادنة الى بعث دينى فيه خطر على التجربة الاشتراكية .

وفى النهاية :

« مكافحة الدين وروابطه لا تكون بنسف الدين ومعابده كليا من حياة الناس فلا تحطم الفأس ما فى الضمير[2] » .

ولكن مهمة الالحاد العلمى أن تتركز الدعوة الاشتراكية على الترويج لشعار الثورة والتركيز على خلق وعى مادى كالدعوة الى العلم فى نفوس الجماهير لينفروا من الدعوة الروحية التى هى من طبيعة الايمان وليس من الضرورى أن تهزأ من قصص الأنجيل والقرآن والكتب الدينية التقليدية وأن تقول المواعظ والصلوات بضاعة لا تصلح الا للأطفال فهذا النوع من الدعاية الاشتراكية ضد الأديان لا يفيد كثيرا ، وانما علينا أن نعيد تفسير قصص الدين وسيرة رجاله ومواعظهم وأحاديثهم وأقوالهم بقالب اشتراكى ، فاذا قلنا أن يسوع ثائر يطلب الحق للفقراء فهذا تفسير اشتراكى ..

وبمثل هذا تقول عن محمد وغيره :

---

(١) حرص السيد/خالد محيى الدين فى مصر على أداء فريضة الحج والاعلان عن ذلك كما حرص على الاعلان أنه يؤدى الصلاة ويؤمن بالاسلام عقيدة (وطبعا لا يؤمن بها شريعة . لانه يؤمن بالنظام الماركسى أو كما يسميه الاشتراكية العلمية) راجع مقالا له فى جريدة الاخبار فى ١٩٧٦ وراجع مؤلف الدكتور عبد الحليم محمود ـــ الفصل الخامس المنهج الشيوعى ..

(٢) هذا يدل على ذكائهم أخيرا وفهمهم لطبيعة العقيدة الدينية السليمة (كالعقيدة الاسلامية) . ومراجعتهم لخطتهم السابقة .

وحسبنا ذلك بغير تعليق[1] .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وعن كتاب صدر فى موسكو سنة ١٩٦٧ وأعيد طبعه عام ١٩٧٤ م .

عن معهد الالحاد العلمى بأكاديمية العلوم الاجتماعية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى[2] . يشير الى بعض وسائل نشر الالحاد ومحاربة الدين .

نقتطف منها جزءا .. لنرى أى حرب توجه ضد الدين رغم الدعاية الكاذبة بتعايش الشيوعية مع الدين ..

ولنرى أن وسائل الالحاد .. هى وسائل التبشير القديمة .. تعيد نفسها مرة أخرى وان حاولت أن تتجنب أخطاء التبشير واقتربت من وسائل التغيير الاجتماعى يقول كتاب نشر الالحاد الصادر فى روسيا ..

والآن من ذا الذى يعتبر أهلا للقيام بنشر الالحـــاد بين معتنقى الاسلام ؟ ذلكم سؤال هام وخطير .. اذا كان الداعية الملحـــد الذى سيحاور المسلم لا تربطه بالاسلام أى رابطة مشتركة من الناحية القومية ففى امكان المؤمن أن يفترض أنه انما ينقد الاسلام خاصة ولا يتعـــرض لدينه هو بشىء لذلك كان من السهل على الداعية الذى ينتمى والمؤمن الى قومية واحدة أن يجرى معه حوارا ، وخاصة اذا بدأ الحوار بينهمـــا باللغة القومية المشتركة ، وان كان هذا لا يعنى أن علاقة المسلم بمن ينتمى الى قومية أخرى قائمة بالضرورة على عدم الثقة ..

وأيا كانت قومية الداعية فلابد له من معرفة جيدة بالدين والعادات والتقاليد التى يتمسك بها المؤمن ، فخلال العمل بين المسلمين تعد مراعاة السن والجنس عند المؤمنين على جانب كبير من الأهمية ، ومن ثم كان

---

(١) فى كتاب نحن والشيوعية فى الاونة الحاضرة ـــ الدكتور سعدون حجاوى دار الطليعة للطباعة والنشر ـــ ملحق من موقف الحزب الشيوعى العراقى ـــ كنموذج ـــ من قضـــية فلسطين ص ٥٨ .

(٢) قام بالترجمة من الروسية الدكتور سعد مصلوح مدرس علم اللغة الروسية بجامعة القاهرة ونشرت بمجلة الدعوة السعودية فى عددها الصادر فى ١٢ ربيع الثانى ١٣٩٦ ١٢ ابريل ـــ ٧٦م بعض اجزاء اقتطفنا منها الجزء المشار اليه .

الحديث الى كبار السن أيسر بالنسبة لداعية متقدم فى السن ، والغالبية العظمى من المسلمات يرفضن الحوار مع الأجنبى أما مع المرأة التى تقوم بالدعاية فانهن أفضل سلوكا الى حد كبير .

آضف الى ذلك أن نموذج المرأة النشيطة يؤثر تأثيرا قويا على كثير من النساء فالمؤمنات يتجهن الى محاكاة الصديقة الأكثر ثقافة أو ذات الشخصية الأكثر استقلالا .

ويعين الداعية الى الالحاد فى عمله الرأى العام الالحادى الذى هو مدعو لأن يقوم بتشكيله . ومن المعروف على سبيل المثال ان كبار السن يكتسبون نفوذا غير عادى بين المسلمين . وهذه الخاصية يستغلها كذلك الداعية حين يلجأ الى مساعدة الشيوعيين المتقدمين فى السن والذين يكونون موضع الاجلال فى المنطقة اذ يصغى الناس فى العادة الى كلماتهم باهتمام خاص وباستعداد لتنفيذ أى رجاء يصدر منهم . وتمارس لجان الكبار التى تؤسس فى مناطق السكنى والمؤسسات تأثيرا قوميا فى تكوين رأى عام الحادى . ففى كولخوز « مير » فى منطقة اشخاباد (عشق آباد) امتنع والد طالبة بالصف العاشر اسمها جولينا عطاييف عن ارسالها الى المدرسة وحاول ارغامها على الزواج وتكلم أعضاء لجنة الكبار عن الكلوخوز مع والدى الفتاة أكثر من مرة وتوصلوا الى اعادة الطالبة الى المدرسة . وفى كولخوز « كيناس » يقوم أعضاء لجنة الكبار بعمل كبير اذ يزورون بانتظام البيوت التى يقيم فيها المؤمنون ، وقد توصل هؤلاء الأعضاء الذين اضطلعوا بمسؤولية دفن الموتى الى أن جعلوا تأثير الشيوخ الرسميين وغير الرسميين يتضاءل فى هذه العملية الى حد كبير وفى نشر الالحاد بين المسلمين فى دار الالحاد العلمى بموسكو يعمل الشيوعيون المتقدمون فى السن مثل م. ش. شاجى أحمدوف وس .خ اسماعيلوف وج.م. اختيافوف ، وكثير غيرهم ، وهم يزورون مساكن المؤمنين ويحادثونهم ويسدون اليهم النصيحة .

ويساعد الدعاة مساعدة كبيرة فى صراعهم ضد التأثير الدينى ، ارتداد انسان ذى شهرة فى قضايا الدين يصلح مثالا بالنسبة لبعض المؤمنين . وقد حقق الملحد قادربرزنيسوف من كولوخوزكيسيل بولدوزاخ جمهورية تركمانيا نجاحا كبيرا فى نشاطه الالحادى عندما دعا جماعة من أكثر المؤمنين تعصبا ثم ارتدوا عن الدين ليخطبوا أمام غيرهم من المؤمنين

وصار الذين ارتدوا عن الاسلام فى هذا الكولوخوزعونا للداعية يمارسون نشر الالحاد بين أفراد المؤمنين .

ويكتسب العاملون فى ميدان الطب نفوذا كبيرا بين المسلمين وفى نقط العلاج الطبى يستقبل الأطباء مرضاهم للعلاج الصحى والاجتماعى ، وهكذا يقدم الأطباء المساعدة الطبية ثم يدور الحديث حول موضــوعات العلوم الطبيعية . وقد حققت نقط العلاج الطبى هذه فوائد جمة لقضية تربية السكان تربية الحادية فى مدن أوزبكستان وقراها . ولذا ، فان الطبيب ومســاعده من أجــود المرشــحين لممارسة الالحاد بين أفراد المســلمين ..

ويختص المعلمون فى المدارس بدور كبير فى الدعاية الى الالحاد فالبداية الاولى للتعرف الى الطفل تجعل فى امكان المعلم تحديد التأثير الدينى للعائلة . ومهمته الاولى حينئذ هى اقناع الاباء بالامتناع عن تربية الاولاد تربية دينية ويمكنه فى الوقت نفسه أن ـ يؤثر تأثيرا الحاديا كبيرا على الاباء انفسهم باقامة اتصال مباشر بينه وبين أسرة التلميذ..

كثير من المعلمين لا يقصرون دورهم على تنشئة تلاميذهم بحيث يشبون غير متدينين بل انهم يربون فيهم رسوخ العقيدة فى الالحاد والقدرة على مساعدة المؤمنين على التحرر من اغلال الدين . وقد نشرت صحيفة الكوسمولى الاوزبكستانى واقعة طريفة عن رجل عميق الايمان اسمه غلام أكا أحضر الى طشقند ماء مقدسا من بخارى وكم حاول اقاربه أن يقنعوه بان هذا الماء لا يحوى أى شىء مقدس فلم يقتنع العجوز . غير أن ابنته كانت تلميذة فى الصف العاشر وضعت نقطة من الماء المقدس تحت الميكروسكوب ودعت أباها أن .. يحدق النظر ، فقال الرجل فى دهشة ما هذه الديدان ان نقطة الماء اكبر بمئات المرات ، ياالهى لم اكن اتصور على الاطلاق أن فى الماء المقدس يمكن أن يوجد مثل هذا العدد من الميكروبات انها معدية ..ميكروبات .. ألقى هذا الماء يا أبنتى على الأرض فى الحال .. هذه تجربة بسيطة قامت بها تلميذة أدت النتيجة المرجوة ولم تفلح فى تحقيقها محاولات الاقناع والشروح المسهبة .

وتؤدى اللجان النسائية دورا كبيرا فى ممارسة نشر الالحاد بين الافراد من النساء المؤمنات وقد أثرت تأثيرا طيبا فى كثير من مناطق سمرقند حين نظمت اللجان النسائية فى نهار رمضان حفلات الشاى

للنساء الصائمات فى الشقق والنوادى ، ولم يكن المؤمنات يرفضن الافطار فى مثل هذه الاحوال وبذلك كن يخطون الخطوة الاولى فى سبيل الانعتاق من الدين •

ومن الأمور التى لها أهمية فى نشر الالحاد بين النساء تكوين رأى عام ضد الحجاب وضد تزويج صغار السن من البنات ، وضد المعاملة المهينة للمرأة ، ففى كولخوز الاتو فى جمهورية كيرغيزيا يتحدث الملحدون الى الرجال امام الزوار الاخرين قبل بداية أى اجتماع أو عرض سينمائى يقولون لهم على سبيل المثال ياحسن قل للناس لماذا آتيت الى الحفل بدون زوجتك وانت ياموزا أيضا بين للناس لم فعلت ذلك ؟؟ وهنا كان بعض الرجال يصمتون ولكن كثيرا منهم كانوا يخرجون ثم يعودون ومعهم زوجاتهم •• وهكذا استطاع الملحدون ان يجعلوا كل الرجال يحضرون الى اماكن الاجتماعات العامة ومعهم زوجاتهم ••

وربما كان عميق الايمان من المسلمين أكثر عزوفا عن حضـــور الامسيات والمحاضرات والمحادثات الالحادية من اتباع اى نظام دينى آخر ذلك ان القرآن يستنكر تناول الدين بالنقد •• لذلك كانت المناقشات المضادة للدين والكلمات العامة عنه لا تجدى نفعا ، ذلك أن أى طعن على الاسلام يعتبر اهانة صارخة لانسان رضع من لبن امه التصورات الدينية التى يشاركه اياها اجداده واجداد اجداده ••وفى مثل هذه الاحوال نجد مثل هذا الانسان اما أن ينغلق على نفسه وأما أن يعبىء كل ارادته وعقله من اجل المقاومة ولكنه لن يميل الى قبول حديث عن الالحاد فليس سهلا على الانسان أن يتخلى عن العقيدة التى نشأ عليها •••

لهذا كله لا يمس الدعاة المجربون الدين مسا مباشرا فى محادثاتهم أثناء ممارستهم نشر الالحاد بين افراد المؤمنين ولكنهم بعد أن يمهدوا باثارة فضول المؤمن يتحولون الى نقد الدين • وها هوذا مثال نسوقه للمعلمة ب• وليفا من كولخوز « أكتوبر » فى ضواحى سمرقند •• ففى المنزل عندما تجرى هذه المعلمة محادثات مع المتدينات حين يفدن عليها كل مساء لشرب الشاى والاسترواح وذلك دون أن تشعر أيا من المشتركات فى الحديث انها دعوة لكى تنبذ دينها •• ويدور الحوار فى يسر وبلا تكلف عن أحداث العالم وأنباء الكولوخوز لكن ربة المنزل هى التى تحدد لون الحديث ثم توجه الكلام تدريجيا ودون أن تلحظ الاخريات الى الموضوع

المقصود فتطرح الأسئلة ثم تولى هى بنفسها الاجابة وحينما يستولى موضوع الحديث على ألباب المؤمنات حينئذ فقط تبدأ فى الكلام بحرارة واقناع عن ضرر الرواسب الدينية ..

وهذه قصة يرويها ملحد من موسكو يسمى ل.ح. جوميروف ، تمكن من اخراج العاملة رحيمة بارانجلوفا من دينها ، يقول الملحد « أخذت بصفتى ملحدا أزور شقة العاملة المتدينة رحيمة .. وكنت أحادثها طويلا وأقرأ الكتب جهرا .. وكانت رحيمة تصمت فى أكثر الحالات ولكنها كانت تصغى الى باهتمام .. وكان واضحا أن هذه القصص تجذب اهتمامها .. من العسير أن تتصور الأمر .. لقد سمعت منى لأول مرة عن الابطال من النساء السوفيت وعرفت لأول مرة أسماء المشتغلات بالعلم من السوفيت .. وتكلمنا معها عن غزو السوفيت للفضاء ..

وقد أزعجها كثيرا هذا الموضوع .. وأذهلها على وجه الخصوص أن رجال الفضاء لم يخافوا الله بل ربما خافهم الله ما دام لم يحل بينهم وبين أن يصعدوا الى مثل هذا الارتفاع .. وكان على ل. ح جوميروف أن يحادثها طويلا الى أن خلعت رحيمة ربقة الدين من عنقها نهائيا ..

ومن الأيسر على الداعية الى الالحاد أن يحقق النجاح عندما يكون الرأى العام بين المجموع مكيفا على نحو لا يفخر فيه الناس بتعليق آيات القرآن فى منازلهم بل يكون مدعاة للخجل أن يعلقوا الايات أو أن يقسموا المنزل نصفين .. نصف للرجال ونصف للنساء أو أن يرفضوا الغذاء فى نهار رمضان ، أو أن يقوموا بختان أولادهم ... الخ ..

والملحـد نفسه يشكل الرأى العام الى حـد كبير .. يقص علينا أ.ب. افكسينتوف وهو أحد الملحدين فى شمال القوقاز أن عليمه جاجير زونفا شبيزوخوفا وهى من المشاركات فى النشاط الاجتماعى كانت أول من امتنع عن اقامة المراسم الدينية فى زواج ابنتها وقد وجدت لهـا فى الحال أتباعا .. ويدلنا هذا على أن تلك المراسم قد فات أوانها منذ زمن بعيد .. وما أسرع ما انتشرت الأنباء فى المنطقة عن زيجات جديدة تتم بمشاركة الأوساط الاجتماعية وبدون مراسم دينية ، وهكذا انتهت مثل هذه الزيجات الدينية فى اركينخالكى وغيرها من المناطق ..

ولابد فى العمل على نشر الالحاد بين المؤمنين المسلمين من أن تستغل فى براعة اللهفة الى المعرفة ، ذلك أن الاسلام اذ يقوم على أساس

القرآن انما يضيق اهتمامات معتنقيه ويحددها لكى يثبت الجهل •• ولابد أن نضع الاسلام من ناحية والعلم والحضارة من ناحية أخرى كطرف نقيض •• اذ أن العلم والحضارة وحدهما هما الكفيلان بحق بتلبية رغبات السوفييت فى المعرفة ••

وليس من قبيل المصادفة تلك النتائج الايجابية التى حققتها أحاديث الملحد قادر بيرنييسوف وهو من كولخوز كيزيل يولدوز فى جمهـورية تركمانيا مع المتدينين •• لقد استطاع أن يستخدم انجازات العلم فى تفنيد التصورات الدينية •• أما الملحد رحمن خوجا ميردييف — وهو مدير مدرسة كيرفا فى جمهورية أوزبكستان فقد سمع مرة أحد عمال الكولخوز واسمه رسول جمعابيف — يقول فى حوار معه « لا قدر الله علينا بنزول البرد •• وهكذا تبين مدير المدرسة أن المتحدث اليه رجل مؤمن •• ادرك هذا ولكنه لم يعر الأمر اهتماما وأجرى الحديث معه لا عن الله بل عن ظواهر الطبيعة وعن ماهية المطر والبرد •• وكان يتكلم بطريقة مشوقة جذبت انتباه عامل المزرعة فأخذ هذا يرجو أن يزوره ضيفا •• وشرع الملحد يزور عائلة جمعابييف ، وكان يبرهن للعائلة باستعمال أمثلة من الحياة بسيطة سهلة الفهم على عدم وجود قوة ما فوق الطبيعة تمنح الانسـان خيرات الحياة وأن الانسان نفسه هو خالق سعادته وهكذا قطع «رسول» علائقه بالدين وقد أجرى ب • خوجا ميردييف أحاديث مع أحد المشايخ واسمه «تور» كانا يتقابلان عشرات المرات وفى هذه اللقاءات كان يحدثه عن سفن الفضاء كما كان يحدثه عن المجتمع الشيوعى ثم ان الملحـد أطلعه على الجوهر الطبقى للاسلام وفى مصلحة من كانت عقيدة القضاء والقدر •• وهنا أعلن الشيخ «تور» فى اجتماع عام لعمال الكولخوز أنه لا يريد بعد الآن أن يعيش هذه الحياة الطفيلية وأنه بالرغم من كبر سنه يود أن يعمل فى الكولخوز •

وهكذا تعمل الماركسية ضد الدين •• فى روسيا وفى خارج روسيا وان زعمت غير ذلك •••

الباب الثالث

الصهيونية «اليهودية العالمية»

الفصل الأول :
التعريف بالصهيونية ومنشؤها

الفصل الثاني :
مقومات الصهيونية

الفصل الثالث :
مناهج الصهيونية ووسائل تنفيذها

الفصل الرابع :
المنظمات الصهيونية

الفصل الأول :

التعريف بالصهيونية ومنشؤها

المبحث الأول

التعريف بالصهيونية

لا جرم أن الصهيونية أخطر المذاهب الدينية والسياسية التى منيت بها البشرية ، بما تفرض من قهر سياسى ، وقسر فكرى ، وتمايز عنصرى ، واحتكار للقوى المادية والفكرية على مستوى البسيطة ، وبما تنزغ بين البشر أبدا بالشحناء والبغضاء ، تنزع بهم كل منزع فى الاحن والكيد والملاحاة ، وترين على الكون غاشيات مدلهمة تنبهم فى قتامها معالم الانسانية ، وتستغشى القيم الأخلاقية التى تواضعت عليها الديانات السماوية ، والمذاهب الفكرية ، والفطرة البشرية على السواء • فهى ليست قاصرة على افتعال دولة يهودية فى فلسطين ، وانما هى تستهدف سيادة الدنيا بأقطارها قاطبة ، واسترقاق شعوبها كافة ، واخضاعها لنير اليهود والشرائع اليهودية •

فالصهيونية فى جوهرها ومناطها : عقيدة دينية متطرفة ، يذعن لها أشياعها ، يسوقهم التعصب والغرور العنصرى قسرا ، بلا وعى ولا ارادة ، وأساسها فى زعمهم تعاليم التوراة التى تنص على أن الله سبحانه وتعالى قد وعد اليهود بملك عالمى أبدى واستخلفهم فى الأرض خالصة لهم من دون الناس •

وطريقهم الى تحقيق السيطرة على العالم مخوفة منكرة ، كما رسمتها مناهجهم العملية فى بروتوكولات صهيون ، فهى تعتمد أساسا على تقويض أركان المجتمع العالمى ، وبث عناصر الانحلال تعبث فى خلاله وتستشرى فى أوصاله ، واشاعة الفوضى الاجتماعية والفكرية الغامرة ، حتى اذا تداعت قيمه ، وفقد مقوماته ، فتهاوى خائرا مستسلما فى خواء فكرى وفراغ سياسى •

انبعث اليهود من غمار الفوضى التى يتردى فيها العالم ليمسكوا

بزمام حكمه ، ويقيموا دولة عالمية تضم أطراف الدنيا يكون قوامها من طبقتين :

اليهــود الشعب المختار يتربعــون على عرش الســيادة وفى يدهم صولجان الحكم ، ومن دونهم من النــاس قاطبة عبيد لليهود يخضعون لحكمهم ..

تلك هى الصهيونية الداء الوبيل الذى يهدد العالم ويقض مضاجعه ، وليست الصهيونية فكرة حديثة ــ وان لم تتكشف سماتها وتتضح للعالم الا فى القرن الماضى تحت اسم : اليهودية العالمية ، بل هى عقيدة قديمة ما برحت تجول فى أفكار اليهود منذ العصور اليهودية الباكرة ، ويتناقلونها جيلا بعد جيل فى كتمان شديد ، خورا وقصورا وتحينا للفرص ، ويعملون لها مصابرين مستوفزين ، لا يفتأ أحبارهم وكهنتهم يذكون جذوتها آنا فآنا ، فلا تخبو بين جوانحهم ولا تفتر ..

وفى مطلع هذا القرن الرابع عشر الهجرى (أواخر القرن التاسع عشر الميلادى) واتتهم الفرصة ، فدعا (هرتزل) لعقد المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ (١٣١٥ هـ) بمدينة بال بسويسرا وكانت مقرراته هى الدستور العملى لهذه المرحلة من الآمال الصهيونية ، ثم حدد هرتزل فى كتابه (الدولة اليهودية) فلسطين باعتبارها أرض الميعاد ، وقد عمل الصهيونيون على تحقيق حلمهم فى خطوات ومراحل زمنية يتم من خلالها استيعاب أطراف أرض الميعاد التى تشمل المناطق الممتدة من النيل الى الفرات ، وتضم أقليم الوجه البحرى من مصر وسيناء وفلسطين وشطر العراق الغربى وسوريا ولبنان وبادية الشام والأردن وشمال الحجاز حتى المدينة المنورة ..

وفى عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) أعلن اليهود ــ بالتواطؤ مع الدول الكبرى ــ قيام دولة اسرائيل ، وقال بن غوريون حين ذاك : « ان الصهيونية قد حققت هدفها فى ١٤ مايو ســنة ١٩٤٨ ببناء دولة يهودية أكبر مما كان متفقا عليه وبفضــل قوات (الهاجاناه) . وليست هذه نهاية كفاحنا ، بل اننا اليوم قد بدأنا ، وعلينا أن نمضى لتحقيق قيام الدولة التى جاهدنا فى سبيلها من النيل الى الفرات » ويعنى بن غوريون أن الدولة اسرائيل قامت على مساحة أكبر مما منحتها مشروعات التقسيم لفلسطين بين العرب واليهــود .

وقـــد استمرت اسرائيل فى الاعداد لتحقيق توسعها واستغلت انشغال الدول العربية عنها حتى تمكنت من احتلال سيناء والجولان وجميع أراضى فلسطين •

المبحث الثـــانى

منشـــأ الصـــهيونية

تنسب الصهيونية Zionism الى جبل صهيون بفلسطين ، وهو أحد جبال أربعة أقيمت عليها مدينة أورشليم (أى مدينة السلام) وهو الاسم القديم لبيت المقدس • ويعتقد اليهود أن الههم (يهوه) يقيم فى جبل صهيون ، وفى رحابه يظهر (المسيح المخلص) الذى ينتظره اليهود ، بشيرا بغفران الله وتوبته عليهم ، وخلاصهم مما يقاسون من بأس واعنات ، بعد تطهرهم من أدران الموبقات والمعاصى التى ظلوا عليها عاكفين أمدا طويلا •

والصهيونية مذهب دينى استعمارى متطرف جدا يتمذهب به غلاة اليهود ، تهدف الى السيطرة السياسية على العـــالم بتقويض النظم السياسية للمجتمع الدولى بأسره ، واخضاعه لنير اليهود وحكمهم ، ويزعم اليهود أن الله استخلفهم فى الأرض وأورثهم أقطارها وشعوبها حقا مقدسا مقضيا ، وأن الدول القائمة كافة دعية مغتصبة وأن على اليهود المجاهدة لاسترداد حقهم فى فلسطين أرض الميعاد ، تحت امرة ملك من نســـل داود ، فاذا استتب لهم الأمر فيها عملوا على تنفيذ الشق الثانى من الوعود الالهية ، واتخاذ ملكهم فى فلسطين قاعدة لملكهم العـــالمى السرمدى ، وقسر الحكومات والدول على التســـليم لهم ، والاستسلام لمشيئتهم المستمدة من مشيئة الله • وينتهى الأمر بظهور المسيح المنتظر الذى أفاضت التوراة فى ذكره •

ويستند اليهود فى دعواهم العودة الى أرض الميعاد فلسطين بأن ذلك ثابت من أحداث التاريخ فى :

محاولة موسى ـــ عليه الســـلام دخول فلسطين مع الأســـباط الهاربين من مصر •

ثم غزوة يوشع لتخوم فلسطين • ثم تأسيس مملكة اليهود الأولى فى عهـــد شـــاؤول •

ثم عودة اليهود من بابل بعد السبى بزعامة زرو بابل •

ثم ثورات اليهود فى فلسطين ضد حكم البطالسة والرومان .

ثم محاولات اليهود فى العصور الحديثة شراء أراض فى فلسطين . يمارسون فيها حياة الاستقرار .

وأخيرا انشـــاء دولة اسرائيل الحالية .

ويزعمون أن هذه كلها حركات صهيونية خالصة ..

وبالنسبة للشق الثانى من الوعود الالهية — على زعم اليهود — فان من الحركات الصهيونية البحتة حركة سبتاى زيفى الذى قام فى سالونيك عـــام ١٦٦٦ م مدعيا أنه المســيح المنتظر ، ابتغاء تجميع اليهود تحت زعامته لتحقيق نبوءات التوراة .

وعلى هذا فان جذور الصهيونية تمتد الى أعماق التاريخ اليهودى ، والطابع الدينى هو السمة الأصلية لنظرية الصهيونية ، ويعترف الدكتور سلومون شختر[1] بهذه الحقيقة حيث يقول : « حيثما يكون الصهيونيون عاملين نشيطين تكون اليهودية حية عاملة » .

وعلى أثر الثورة الاسلامية العربية فى فلسطين عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) ضد المؤامرات الاستعمارية والصهيونية فيها ، شكلت حكومة الانتداب البريطانى اللجنة الملكية البريطانية لعلاج مشـــكلة فلسطين .. وكان هدفها تقسيم البلاد بين العرب واليهود ، وقد صرح زعيم الصهيونيين (وايزمن) أمام هذه اللجنة أن مبنى حق اليهود فى فلسطين انما هو وعد الله بأرض اسرائيل ، وهذا هو ســـند اليهود الوحيد الذى لا سند سواه لجأ اليه وايزمن بعد أن خذلته سائر المزاعم والاسانيد المنطقية والقانونية . وتأييدا لذلك يقول : (دافيد بن غوريون) مؤسس دولة اسرائيل : ان الصهيونية الحقيقية لم تبدأ بهرتزل ومؤتمر بال ، ولا بوعد بلفور ، ولا بقرارات الأمم المتحدة عـــام ١٩٤٨ م ، لكنها بدأت يوم وعد الله أبانا ابراهيم وعده ..

وقد ظلت دعوة اليهود لاحياء آمالهم فى العودة الى أرض الميعاد مستخفية طوال ثمانية عشر قرنا ، الا ما كان من بعض حاخاماتهم مثل (ســـبتاى زيفى) الذى سبقت الاشارة الى حركته فى ظلال ما أتاحه الحكم الاسلامى المتسامح لليهود فى سالونيك التى كانت مدينة تابعـــة لدولة الخلافة العثمانية .

---

(١) ١٨٤٧ — ١٩١٥

وفيما يلى وثيقة نشرتها مجلة (فرنسا القديمة) ، تكشف عن طرف من نشاط اليهود وتدبيرهم الخفى[1] :

« فى عـــام ١٨٨٠ نشرت مجلة الدروس اليهودية التى تتقاضى نفقاتها من جيمس روتشـــيلد استنادين يوضحان أن حكماء صـــهيون يعملون منذ القرن الخامس عشر [التاسع الهجرى] فى سبيل الفتح اليهودى .

ففى ١٣ كانون الثانى ســـنة ١٤٨٩ م كتب شامور ربانى مدينة ارل (من أعمال مقاطعة البروفنس الفرنسية) الى المجمع اليهودى العالمى القائم فى الآستانة [وهى اسلامبول عاصمة العثمانيين] يستشيره فى بعض حالات حرجة ، قال : ان فرنساويى اكس وآرل ومارسيليا ، يتهددون معابدنا فماذا نعمل ؟ فورده الجواب الآتى :

أيها الاخوة الأعزاء بموسى ، تلقينا كتابكم ، وفيه تطلعوننا على ما تقاسونه من الهموم والبلايا ، فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا ، واليكم رأى المرازبة [الحكام] والربانيين :

● بمقتضى قولكم ان ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحى فاعتنقوه ، فانه لا يسعكم أن تقاوموا ، غير أنه يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة فى قلوبكم .

● بمقتضى قولكم انهم يأمرونكم بالتجرد من أملاككم ، فاجعلوا أولادكم تجارا ليتمكنوا رويدا رويدا من تجريد المسيحيين من أملاكهم .

● بمقتضى قولكم انهم يعتـــدون على حياتكم فاجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم .

● بمقتضى قولكم انهم يعتـــدون على حياتكم فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى ، وكتبه عدل ، وليتداخلوا دوما فى مسائل الحكومة ليخضعوا المسيحيين لنيركم فتستولون على زمام السلطة العالمية ، وبذلك يتسنى لكم الانتقـــام .

سيروا بموجب أمرنا هـــذا فتتعلمون بالاختبار أنكم من ذلكم وضعفكم تتوصلون الى ذروة القوة والعظمة .

فى ٢١ كاسلو (تشرين ثانى) ١٤٨٩.

التوقيع : أمير اليهـــود

V.S.S.V.F.F.

(١) عن كتاب مؤامرة اليهود على المسيحية تاليف اميل الغورى ص ٤٠ — ٤٢

الفصل الثانى

مقـــومات الصـــهيونية

المبحث الأول

المقـــومات الدينيـــة

أولا ــ امتلاك فلسطين والأقطار المجاورة لهـــا :

يعتقد اليهود أن ملك فلسطين حق مشروع لهم ، حيث وعد الله به ذرية ابراهيم عليه السلام فى التوراة : « واجتاز ابرام فى الأرض الى مكان شكيم الى بلوطة مورة ، وكان الكنعانيون حينئذ فى الأرض ، وظهر الرب لابرام ، وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض ، فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له[1] » .

ثم وجه هذا الوعد ، ولمـــا يتحقق بعد ، الى اسحق بن ابراهيم ، عليهما السلام : « وكان فى الأرض جوع غير الجوع الأول الذى كان فى أيام ابراهيم ، فذهب اسحق الى أبيمالك ملك الفلسطينيين الى جرار ، وظهر له الرب وقال : لا تنزل الى أرض مصر ، اسكن فى الأرض التى أقول لك ، تغرب فى هذه الأرض ، فأكون معك ، وأباركك ، لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد ، وأفى بالقسم الذى أقسمت لابراهيم أبيـــك[2] » .

ومفهوم هذا النص أن الله قد اختص اسحق عليه السلام ونسله بجماع ما وعد به أباه ابراهيم ونسله ، فيما عدا مصر التى أمره بعدم النزول فيها ، والتى ينبغى أن تؤول بناء على هذا الى اسماعيل عليه السلام ، لولا أن الله قد استثناه من ذرية ابراهيم عليه السلام فيما وعـــدها به ــ كما يزعم محرفو التوراة .. : « وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك ، فقال الله : بل امرأتك تلد لك ابنا وتدعو

---

(١) الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين ٦ ، ٧

(٢) الاصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين ١ ــ ٣

اسمه اسحق ، وأقيم عهدى معه عهدا أبديا لنســله من بعده • وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا • اثنى عشر رئيسا يلد ، واجعله أمة كبيرة ، ولكن عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية[١] » •

ثم وجه هذا الوعد مرة أخرى الى يعقوب ثم اسحق عليهما السلام فى صورة حلم تراءى ليعقوب وهو نائم فى أرض حاران ، وورد ذكر تمليك أرض كنعان لموسى وهرون عليهما السلام[٢] • وبعد وفاة موسى وجه الله وعده الى خليفته يوشع بن نون فى صورة أكثر تفصــيلا : « موسى عبدى قدمات ، فالآن قم اعبر هــذا الأردن ، أنت وكل هذا الشعب الى الأرض التى انا معطيها لهم [أى لبنى اسرائيل] • كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته ، كما كلمت موسى ، من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات ، جميع أرض الحيثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخومكم[٣] » •

وجاء الوعد الالهى أخيرا الى داود عليه السلام ونسله على لسان ناثان النبى[٤] ، وتكرر ذكر الوعد الالهى فى أسفار شتى ، كمــا رددته المزامير فى أكثر من موضع ، ومن ذلك : « لأن الله يخلص صهيون ، ويبنى مدن يهوذا ، فيسكنون هناك ويرثونها ، ونسل عبيده يملكونها ، ومحبو اسمه يسكنون فيها[٥] » •

هكذا تكررت الوعود الالهية بملك اليهود لفلسطين ، وكأنما وجهت متتالية لمجرد التشويق والاثارة لا للتنفيذ ، فهى توجه لهذا تارة ولآخر تارة أخرى من غير أن تتحقق لا لهذا و لا لذاك •

ثانيــا ــ فكرة المســيح المنتظــر :

يعتقد اليهود أن عودتهم الى أرض الميعاد سوف تتم على يدى المسيح المنتظر ، Paraclet ويقصد به المنقذ أو المخلص ، اذ ســوف يبعثه الله من صهيون من نسل داود ، لينقذهم من المحن والشدائد

---

(١) الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين ١٨ ـــ ٢٢
(٢) فى الاصحاح الرابع عشر من سفر اللاويين ٣٣ ، ٣٤
(٣) الاصحاح الاول من سفر يشوع ٢ ـــ ٤
(٤) الاصحاح السابع سفر صموئيل الثانى ٤ ـــ ٦ و ١٢ ـ ١٦
(٥) المزمور التاسع والستين •

والهوان ، جزاء عصيانهم أوامر الله ، ومروقهم عن طاعة انبيائه ، وامعانهم فى الآثام والموبقات ، وينتقم لهم من جميــع الشــعوب ، ويفرض عليها سلطان اليهــود •

وجاء فى التوراة[1] : أنه ظهر فى مملكة اسرائيل فى عهد الملك اخاب ابن عمرى النبى ايليا التشبى داعيا الى تطهير البلاد من أدران الوثنية والمفاسد الخلقية التى تردى فيها المجتمع الاسرائيلى ، الا أن دعوته صادفت ازورارا وانكارا فصعد الى السماء فى غمار عاصفة عاتيــة ، مستقلا مركبة نارية •• تجرها خيل من نار كذلك ••

ويعيش اليهود على أمل هبوط النبى ايليا من السماء ، بشيرا بمقدم المسيح المنتظر هاديا ومخلصا ••

ثالثــا ــ اخضاع العالم لسلطان اليهود ــ شعب الله المختــار :

حرص اليهود على اخفاء أطماعهم الاستعمارية الخيالية ، وتكتموا الأسباب التى يعزون اليها حقهم فى حكم العالم وسيادة البشر ، فلا يتناجون بهــا الا فى خاصة مجالسهم ومجتمعاتهم ، متخافتين حتى لا يستثيروا السخط العالمى ، ويواجهوا عداوة • ولهذا بادر الصهيونيون الى انكار دستور اليهودية العالمية (بروتوكولات صهيون) ، متبرئين منها فور اماطة اللثام عنها ، وحاولوا احراق الطبعات الأولى منها قبل تداولها وذيوعها ، ولكنهم فشــلوا ، اذ تكرر طبعها فى أنحاء العــالم بمختلف اللغــات •

وقــد سار الصهيونيون فى تحقيق أهداف البروتوكولات الخطيرة ــ رغم انكارهم لهــا ــ مترسمين تعاليمها ومناهجها بدقة واصرار ودأب متصل ، وكان الزعيم الصهيونى الكبير (هرتزل) قد صرح فى عدة بيانات أصدرتها اللجنة الصهيونية فى عام ١٩٠١ م (١٣١٩ هـ) أن بعض الوثائق الخطيرة قد سرقت من قدس الاقداس ، وما كان ينبغى لهــا أن تنتشر قبل الأوان ، مشيرا بذلك الى تلك البروتوكولات دون ريب ، وكان أمرها قــد افتضح للعــالم مما أثار الرأى العام العالمى ضد اليهــود •

ويستند اليهود فى ادعائهم حق السيطرة على العالم الى ما جاء

---

(١) الاصحاح الثانى من سفر الملوك الثانى .

فى التوراة من أنهم شعب الله المختار الذى فضله الله على العالمين ، واستخلفه فى الأرض ، ومن ثم كان من حقه السيطرة على شعوب الأرض والقوامة على حكوماتها ، ومما جاء فى التوراة : « ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم ، أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام الهنا ، تأكلون ثروة الأمم ، وعلى مجدهم تتأمرون[1] » .

وفى التوراة أيضا : « انى أخبر من جهة قضاء الرب ، قال لى : أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك ، اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزف تكسرهم[2] » .

وقد كان الكاهن (عزرا) يعتقد أن العالم قد خلق من أجل بنى اسرائيل شعب الله المختار ، وأن مآله الى الخضوع لحكمهم ، وأن بنى اسرائيل يمرون فى ذلك الوقت من عصر عزرا بمرحلة تمهيدية ضرورية للوصول بهم الى الملك العالمى الموعود .

والعجيب أن هذه المرحلة التمهيدية لم تنته بعد ، رغم مرور أكثر من أربعة وعشرين قرنا من الزمان .

ونكتفى بالرد على أوهام الصهيونية بقوله تعالى : (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال : انى جاعلك للناس اماما ، قال : ومن ذريتى ؟ قال : لا ينال عهدى الظالمين[3]) .

التعاليم السرية فى التلمود والكبالا :

هذا ولا تقتصر النصوص الدينية لدى الصهيونيين على أسفار التوراة فحسب ، فالصهيونية تنتمى بعقيدتها الى طائفة اليهود الربانيين الذين يؤمنون بالتلمود كتابا مقدسا ، ويعتقدون أنه منزل من عند الله على موسى عليه السلام كالتوراة سواء بسواء ، ولا يختلف عن التوراة الا فى أنه أنزل على موسى مشافهة ، بينما كتبت نصوص التوراة على لوحين حجريين بيد القدرة الالهية ، وأكمل موسى عليه السلام تدوينها فى كتاب .

---

(١) الاصحاح الحادى والستين من سفر اشعيا — ٤ — ٦

(٢) المزمور الثانى ٧ — ٩

(٣) سورة البقرة ١٢٤

ولئن نسب كثير من تعاليم التلمود الى حاخامات اليهود الربيين ، فان ذلك مما يؤكد قداستها فى عرفهم ، لأن كلام الحاخامات كما يقول التلمود هو كلام الله وله عند الله المقام الأسمى ، حتى أنه سبحانه وتعالى يستشيرهم كلما أعضلته مشكلة مستعصية[1] .

[تعالى الله عما يقولون] ..

ومبنى تعاليم التلمود أن بنى اسرائيل صفوة الخلق ، اصطفاهم الله على العالمين ، واستخلفهم فى الأرض يتملكونها ويسودون أهلها ، حقا مقضيا لهم .. وقد بشر التلمود اليهود بملك العالم فى قوله : « كل مكان تطؤه أقدامكم يكون لكم ، كل الأماكن التى تحتلونها فانها لكم ، فأنتم سترثون الجوييم (أى الكفرة والأنجاس غير اليهود) المستكبرين فى الأرض ، وبعد ذلك كل مكان بعد أرض اسرائيل التى يجب أن لا تكون نجسة تحت أقدام الجوييم ، انكم بعد أن تحتلوا أرض اسرائيل يحق لكم أن تحتلوا غيرها » .

وجاء فى التلمود أيضا : « يجب على كل يهودى أن يسعى لأن تظل السلطة على الأرض لليهود دون سواهم ، وقبل أن يحكم اليهود نهائيا باقى الأمم يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق ، ويهلك ثلثا العالم ، وسيأتى المسيح الحقيقى ويحقق النصر المرتقب ، وحينئذ تصبح الأمة اليهودية غاية فى الثراء ، لأنها تكون قد ملكت أموال العالم جميعا ، ويتحقق أمل الأمة اليهودية بمجىء اسرائيل ، وتكون هى الأمة المتسلطة على باقى الأمم عند مجىء المسيح » .

ويلحق بالتلمود — وهو كتاب اليهود السرى المقدس — كتاب سرى آخر يعرف بالكبالا لا يقل عنه خطورة ، بما يثير من التعصب العنصرى العنيف ، ويروج له بغلظة ووحشية .

والكبالا كتاب يتوارثه اليهود منذ القدم ، يعالج التصوف اليهودى عن طريق السحر الذى يمثل شطرا من الطقوس الدينية التى يمارسونها خفية خشية اطلاع أحد من الشعوب الأخرى عليها ، لما فيها من التفنن فى الكيد لتلك الشعوب والتحريض على اغتيالها لاستنزاف دمائها ، واستخدامها فى ممارسة هذه الطقوس ، ويحقق الكبالا لليهود الأهداف التالية :

---

(1) كتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج ترجمة الدكتور يوسف نصر الله ص ٣٢ و ٣٣

١ — الحفاظ على مبادىء اليهود العدوانية المتطرفة حيال الشعوب الأخرى ، بايجاد المناخ النفسى الملائم لتعيش فيه هذه المبادىء ، وذلك باشعال نار الحقد والتعصب العنصرى فى صدور اليهود بما تتضمنه من فنون الكيد والانتقام ، التى تحضهم عليها كشعائر دينية مقدسة .

٢ — اشباع ثائرة اليهود العدوانية ، وشفاء غليلهم باستنزاف دماء أعدائهم ، واستخدامها فى الطقوس السحرية الدموية .

٣ — يحس اليهود فى ممارسة تعاليم الكبالا طمأنينة وراحة نفسية عميقة ويستشعرون أنهم انما يمارسون شعائر مقدسة تقربهم من الله وترفع عنهم ما حاق بهم من غضب الهى منذ الحقب الخالية .

وقــد كانت تعاليم الكبالا نواة للنشاط السرى الهدام الذى توفر عليه اليهود دائبين متمثلا فى مختلف الجمعيات والمؤتمرات التى سعوا من خلالها الى تحقيق آمالهم وأطماعهم ، كما كان لتلك التعاليم تأثير مباشر فى صياغة أفكار اليهــود الصهيونيين على الصورة الشــائهة القائمة ، والأسلوب الدموى الجانح الذى يمارسه الصهيونيون الآن[١].

---

(١) فى كتاب « اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية » للاستاذ ايليا ابو الروس تفصيل وقائع محددة عن ممارسة اليهود طقوسا وحشية تقوم على تقديم الضحايا البشرية بقتلهم بفنون من التعذيب والوحشية بقصد استخدام دمائهم المسفوحة فى أغراض دينية تقربا الى الله .. وقد ورد فى الكتاب المذكور كثير من الوقائع التى أوقعها اليهود فى اقطــار العالم الشرقية والغربية وكشفت عنها التحقيقات الرسمية التى اجرتها الحكومات المختصة. وكذلك اورد عبد الله التل فى كتابه (خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية) كثيرا من الوقائع المشابهة .

المبحث الثـــانى

المقـــومات الســـياسية

لم يفصح اليهود عن نواياهم الاستعمارية ، لأن مقوماتهـــا دينية محضة ، ومبناها على نصوص التوراة وتعاليم التلمود والكبالا ، كما رأينا ، ومن تلك المصادر الدينية ، وضعت الصـــهيونية الحديثة قواعد دستورها المعروف بـــ بروتوكولات حكماء[1] صهيون • وقـــد كانت هذه التعاليم من أسباب تألب الرأى العـــام الأوربى على اليهود ، وما أصابهم من اضطهاد وتعذيب ، لمـــا تضمنته من أطماع عدوانية وتعاليم فاسدة جانحة تثير الحقد والبغضاء وتعيث فى الأرض بالفساد والخـــراب •

وفى القرن الماضى استغل اليهود رواج النظريات القومية وتفجر الحركات الاستقلالية فى أوربا ، فالتمسوا الذرائع التى توسلت بهـــا الشعوب لتحقيق مطالبها القومية ، وقد ساعد اليهود فى الوصول الى هدفهم ما ظفروا به من حرية فى ظلال الحكومات الكبرى كبريطانيا وفرنسا ، أســـوة بسائر الشعوب المهضومة الحقوق ، وبذلك تمكن اليهود من الجهر بمطالبهم ، واستدرار الشفقة والعطف عليهم بعد ما عانوه من صنوف الذل والاضطهاد •

وقد استهدف الصهيونيون فى حركتهم العلنية مطلبـــا يعتبر بالنسبة لأطماعهم الأصلية متواضعا محـــدودا ، اذ اقتصر على الســـماح لهم بالهجرة الى فلسطين باعتبارها وطنا قوميا لهم ، يمارسون فيه حقوقهم القومية بمنجاة من ويلات الاضطهاد والتعذيب •

وقـــد استندوا فى تبرير هذا المطلب الى دعوى القوميـــة اليهودية الخاصة التى يزعمون أنهم يتمتعون بها ، ويدين بها كافة اليهود فى بقاع الأرض ، وأن من حق هذه القومية اليهودية التوطن فى فلسطين بالذات ، لمـــا لهم فيهـــا من حقوق دينية وتاريخية رددتها كتبهم المقدسة ، ومن

---

(١) لفظ حكماء جمع حكيم يقابل : حاخامات جمع حاخام باللغة العبرية ، وما أبعد تلك التعاليم عن الحكمة .

شأن هذا الوطن القومى أن يعصمهم مما يحيق بهم من اضطهاد عنصرى لاحقهم على مدى التاريخ .

وكان موسى هيس[1] اليهودى الألمانى أول من نادى بالقومية اليهودية ، يحاول أن يربط بها بين أشتات اليهود أينما استقروا ، وجعل منها الدعامات السياسية للحركة الصهيونية .

والمسوغات الاجتماعية والسياسية التى استحدثها اليهود الصهيونيون للاستيلاء على فلسطين تتلخص فى ثلاثة أنواع رئيسية من الحقوق :

١ ــ حق القومية اليهودية فى التوطن فى صعيد واحد يجمع شمل اليهود .

٢ ــ حق اليهود التاريخى فى العودة الى فلسطين وطن أسلافهم الذى شردوا منه .

٣ ــ الحق الانسانى فى تجنيب اليهود ما يلاقون من اضطهاد عنصرى أينما استقر المقام بأوزاعهم فى فجاج الأرض .

والأسباب السياسية والاجتماعية التى يدعيها اليهود الصهيونيون لم تكن هى دعامة النظرية الصهيونية وعمادها ، وانما هى تعلات محدثة ومسوغات طارئة غير أصلية . ابتدعوها تكأة يعتمدون عليها فى الاسفار عن دعوتهم . وقناعا تبدى به للعيان ظاهرة الجرم مستخفية المعالم المريبة . تموه به أطماعها الخفية ، وقد استمدت المسوغات السياسية والاجتماعية اعتمادا على :

١ ــ ما قررته الثورتان الأمريكية والفرنسية من حقوق طبيعية للانسان حفز اليهود على المطالبة بحقوقهم الفردية والجماعية المسلم بها والتى تواتر اعتراف الدول بها لمواطنيها ، تلك الحقوق التى منحتهم حرية الرأى . وشجعتهم على انشاء الجمعيات الخاصة وتنظيم الحملة الدعائية المركزة التى وطأت لهم أذهان العالم والضمير العالمى واستمالت الرأى العام على أوسع نطاق .

---

(١) ١٨١٢ ــ ١٨٧٥ .

٢ ـ نشاط الحركات القومية خلال القرن التاسع عشر الميلادى (الثالث عشر الهجرى) وتقرير حق المصير للقوميات المختلفة ، مما وجدت فيه الصهيونية مسوغا لادعاء حقوق قومية لهم أسوة بالقوميات الناهضة .

٣ ـ قيام المذابح اليهودية فى شرق أوربا وفى روسيا القيصرية خاصة ، وانتهاز فرصة انفعال الرأى العام فى أوربا عطفا واشفاقا على اليهود ، مما أتاح لهم المبرر لطلب التجمع فى وطن قومى يلوذون به .

ولم تكن الأهداف الاقليمية اليهودية مرتبطة بفلسطين بالذات ، فقد كان هدف اليهود المضطهدين تجميعهم فى دولة يهودية يمتنعون فيها ، ويمارسون فيها حياتهم العنصرية بمنجاة من الاضطهاد ، أيا كانت هذه الدولة ، دون التقيد باقليم معين ، غير أنهم ما أن استشعروا تعاطفا من المجتمع الدولى حتى ظهرت رغبتهم الدفينة فى امتلاك فلسطين ، وفشلت كل المشاريع والعروض فى جعل وطنهم القومى فى الارجنتين أو كندا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو جنوب أفريقيا أو استراليا أو أوغندا ... الخ .

وكان تيودور هرتزل قد اقترح أن يجمع شتات اليهود من أرجاء العالم فى الأرجنتين أو فى فلسطين ، ولكن المؤتمر الصهيونى الأول الذى انعقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ م قرر تخصيص فلسطين ، وقد حاول هرتزل عام ١٩٠١ م اغراء الخليفة العثمانى السلطان عبد الحميد ببيع فلسطين لليهود ، ولكن السلطان رفض التنازل عنها بأى ثمن ، وأصدر أمرا بحظر دخول اليهود الى فلسطين ، ولما كرر الصهيونيون المحاولة برئاسة هرتزل وبخ السلطان عبد الحميد رئيس ديوانه لسماحه بدخول هرتزل عليه ، وطرده شر طردة .

وبعد سنوات قليلة قام أعوان اليهود من ضباط حزب الاتحاد والترقى بالانقلاب على السلطان عبد الحميد كما هو معروف .. وقام الحكام الذين خلفوا عبد الحميد من الاتحاديين ـ ومعظمهم من أعضاء المحفل الماسونى أو من الدونمة[1] بفتح باب الهجرة لليهود الى فلسطين وعملوا على الاسراع فى تصفية الدولة العثمانية والغاء منصب الخلافة ..

---

(١) هم طائفة من اليهود الذين نزلوا مدينة سلانيك فى الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق الاسلام نفاقا ليتمكنوا من الهدم من الداخل .

الفصل الثالث

مناهج الصهيونية ووسائلها

المبحث الأول : مناهج الحركة الصهيونية

يعتمد اليهود فى تنفيذ سياستهم الاستعمارية على ركائز أربعة :

١ ـــ السيطرة الفكرية :

وسبيلها الدعاية العريضة المنظمة عن طريق أجهزة الاعلام الفعالة لتهيئة الأذهان وتطويعها لأهوائهم ، سواء كانت هذه الأجهزة منظمات يهودية سافرة ، أم منظمات اجتماعية مموهة ، سرية كانت أم علنية ، كالجمعيات الماسونية ، وفرسان المعبد وجماعات الصليب الوردى وشهود يهوه والكبالا وغيرها من الهيئات والمنظمات والجمعيات التى بثوها فى أقطار العالم مكامن لهم ، يعملون فيها على وأد الشعور الدينى والوطنى لدى المنتمين اليها من شتى الأجناس والأديان ، ومباءات لعملائهم الذين سخروهم عيونا لهم وأرصادا ، ثم سائر وسائل الاعلام الصحفية والدعائية كالاذاعة والسينما ووكالات الأنباء التى أخضعوها لنفوذهم المالى ، يشنون بها على أعدائهم حربا نفسية شعواء ، توهينا لقواهم ، وتصديعا لشملهم ، واضعافا لروحهم المعنوية ، باثارة الفتن ، واشاعة الفوضى الفكرية ، والبلبلة الذهنية ، وافساد العقائد ، وافقاد الثقة بالنفس ، وبالقيم الأخلاقية .

وهم يمارسون نشاطهم الاعلامى بدهاء وحذق ، فلا يكتفون باذاعة وجهات نظرهم فى اطار مغر مدو ، وانما يترصدون بحرص شديد مايذاع فى الصحف ووسائل الاعلام الأخرى فيحولون بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة ـــ من ضغط وتشهير ورشوة واغراء ـــ دون اذاعة ما يسيىء اليهم أو يخالف وجهة نظرهم ، أو ما يفيد منه أعداؤهم بوجه عام .

ويعتمد الصهيونيون اعتمــادا كبيرا على وسائل الاعلام ، ويرون فى الدعاية الصاخبة المدوية مفاعلا أبلغ تأثيرا وأقوى نفاذا ، يقول هرتزل فى مذكراته « الضــجة هى كل شىء ، والحــق أن الضجيج يؤدى الى الأعمال الكبيرة » وذلك لأنهــا تستلفت الأنظار ، وتعبىء الأنصــار ، وتضعف الأعــداء ، وتنقل المعــركة الى جو عالمى تتوفر لهــا فيه مزايا ماضية حاسمة •

٢ ـ السيطرة المــالية :

وتتحقق عن طريق البنوك وبيوت المــال ، التى يهيمن عليها اليهود ، ويوجهون بهــا النشاط الصناعى والتجارى لمصلحتهم ، ويتحكمون فى الاقتصاد الفردى والاقتصاد الجماعى بمــا يدعم نفوذهم السياسى ، فيبتزون بها الثروات الخاصة والعامة ، ويمتصون الأموال من المجالات الحيوية ، وهى عصب الحياة فى المجتمع حتى يتحطم وينهار ، وذلك عن طريق الاحتكار والمضاربات المالية والاقراض بالربا الفاحش ، واشاعة الفقر والدمار والافلاس ، وشراء ضمائر الساسة والحكام توصلا الى ما يبتغون من مآرب وأطماع •

ووسيلتهم الى احتكار الأسواق العــالمية اغراق الأسواق الجــديدة بالمنتجات بسعر يقل عن سعر التكلفة ، على أن يعوضوا خسارتهم برفع الأســعار فى الأسواق التى تم لهم احتكارها من قبل ، ممــا يعــرض منافسيهم للكساد والافلاس ، حتى اذا ما خلا لهم الجو الاحتكارى فى السوق الجديدة ، رفعوا الأسعار فيها الى درجة فاحشة تجزل لهم الربح أضعافا مضاعفة •

والمــال اليهودى سلاح خطير ، فان سيطرتهم على مصادره وموارده مكنتهم من مخانق الاقتصاد والسياسة معا ، كوسيلة للتهديد والافلاس وانهيار الاقتصاد الخاص والعام . مما يؤثر على كيان الدولة ذاته •• وهو من ناحية أخرى سبيل للاغراء تستمال به الدول عن طريق القروض ابان الأزمات والحاجة الى تمويل المشروعات الاقتصــادية والحربية ،. وأخيرا فالمــال فى أيــدى اليهود أداة فعــالة لشراء الذمم والضمائر والأصوات فى المجتمعات المحلية والمحافل الدولية •

٣ — السيطرة السياسية :

وسبيلهم اليهــا التغلغل فى الأوساط السياسية . واكتساب التأييــد الدولى ، وضم كبار الساسة والمسؤولين الى صفوفهم بشتى الطــرق المشروعة وغير المشروعة ، فتراهم فى الدول الرأسمالية يمالئون النظام الرأسمالى ليكونوا من دعائمه وزعمــائه . ثم هم فى روسيا الشيوعية دعاتها المتحمسون رواد الثورة البلشفية الحمراء .

ورغم حــرص اليهود على اعتزال الحيــاة الاجتماعية والسياســية واقتصار نشاطهم على شؤون المــال والاقتصاد التى توفروا عليهــا ، وتخصصوا فيها ، وملكوا زمامها . فانهم لا يظهرون على مسرح الحياة الدولية العامة الا فى وظائف السلطان التى يتسللون اليها بدهاء خارق ، وفقا لسياسة مرسومة ، حتى تتــاح لهم السيطرة على دفة الحــكم فيوجهوها الوجهة التى يبتغون . والتى تحقق مناهجهم الصــهيونية ، سواء بتسخير سلطات الدولة لتأمين الحياة الرخية لليهود ، وتوفير الطمأنينة لهم ، أو بافساد مجتمع الجوييم . واشاعة الانحلال فى أوصاله ، تمهيدا لســيطرة اليهود وسيادتهم . فكانوا يتسللون عبر التاريخ الطويل — الى المناصب الادارية العليا . والمراكز السياسية المرموقة . سواء فى الدول الاسلامية أو المسيحية . فى المشرق والمغرب ، فكان منهم خواص الأطباء فى بلاط الملوك والأمراء . وكان منهم المستشارون والسياسيون والخبراء الماليون .. وقــد استطاعوا عن طريق رجالهم الذين وصلوا الى المناصب الدولية الهامة أن يحصلوا من الحكومة البريطانية على وعد بلفور بقيام وطن قومى لليهود فى فلسطين . وأن يهيئوا لأنفسهم فى ظل احتلال بريطانيا فلسطين الدعامات السياسية والعسكرية والاقتصادية التى قامت عليها دولة اسرائيل ..

واستطاعوا بعد ذلك أن يحصلوا — وعن طريق رجالهم وعملائهم أيضا — على تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لكل مشروعاتهم وسياساتهم وأن يظفروا بأصوات الكثرة من أعضاء هيئة الأمم المتحدة .. حين طرح عليها الاعتراف بدولة اسرائيل المغتصبة .

٤ — الســيطرة العســكرية :

وهى المرحلة الأخيرة فى مناهج الحركة الصهيونية ، ومؤداها العمل

على اعداد جيش يهودى مزود بأحدث الأسلحة والعتاد الحربى لحماية دولتهم ، والتوسع العدوانى بالغزو المســلح .

وقد بدأت الصهيونية بالاعداد لتكوين الجيش ابان الحرب العالمية الأولى عندما شكلت فيلقا يهوديا من تسعمائة جندى انضم الى فرق النقل فى الجيش البريطانى وعرف باسم فرقة البغالة الفلسطينية ، واشتركت فى عملية غاليبولى فى تركيــا .. ثم سرحت ســنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) وعلى أثرها انضم آلايان من اليهــود الى فرقة حملة البنادق الملكية البريطانية ، كما انضمت فصائل من اليهود الى جيوش اللورد اللبنى التى غزت فلسطين فى نهاية الحرب العالمية الأولى .

وكانت الظروف مواتية لهم أثناء الحرب العالمية الثانية حين غزا الجيش الألمانى الشرق الأدنى بقيادة روميل ، فشــكل اليهود ســنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) فرقة عسكرية من عصابة هاجاناه وأطلق على الفرقة اسم البالماخ أى الصاعقة ، لتساعد فى المقاومة خلف خطوط القتال فى حالة احتلال الألمان لفلسطين ، وينتسب الى هذه الفرقة كثير من زعماء اسرائيل مثل : موسى ديان ، واسحق رابين ، وحاييم بارليف كما ساهمت القوات اليهودية مع الجيوش الانجليزية والفرنسية الموالية للحلفاء فى غزو سورية ولبنــان .. وأنشئت فرقة يهودية أخرى ألحقت بالجيش البريطانى واشتركت فى غزو ايطاليا .

وهكذا أتيح لليهود المبرر الرسمى لتكوين كتائب عسكرية مدربة تدريبا حديثا ، ومزودة بالسلاح والعتاد ، وتمكنوا فى ظــلال الاحتلال الانجليزى لفلسطين من تحويل مستعمراتهم فيها الى ثكنات عسكرية يحميها حرس يهودى ، وسمح الانجليز لليهود بتشكيل منظمات عسكرية تحمل طابعا اجتماعيا أو رياضيا أو كشفيا ، مثل : المكابى ، والترميلد ، وشباب اسرائيل ، والطلائع ، وأبناء صهيون بالاضافة الى المنظمات العسكرية : هاجاناه ، وأرجون زفاى ليومى[1] وشترن[2] .

وحين انسحبت بريطانيا من فلسطين ســنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨م) وأعلن اليهود قيام دولة اسرائيل ، كان لديهم جيش مدرب ، ومستعمرات محصنة ، وعصابة من الدول الاستعمارية تؤيدهم وتعترف بهم ، ومازال

---

(١) أى التنظيم القومى الحربى ، وهى مشكلة من اليهود الاوربيين .
(٢) وهى مشكلة من اليهود الشرقيين .

الجيش الاسرائيلى موضع الحدب والرعاية من دول الغرب — وخاصة أمريكا — تمده بأحدث الأسلحة وبكميات ضخمة جدا ، بحيث يتفوق بمعداته على الدول العربية المحيطة باسرائيل مجتمعة .. كما تمده روسيا الشيوعية بالطاقة البشرية من المحاربين والخبراء ممن يرغب فى الهجرة من اليهود المقيمين فى روسـيا .

المبحث الثـــانى

وســـائل تنفيذ المناهج الصهـــيونية

من أبرز خصائص الصهيونية الالتزام بوصــــايا التوراة التزاما حرفيا ، والايمان المطلق بتعاليم التلمود ، ولهذا فهى تمعن فى الشر ، وتغرق فى العنف والتنكيل والولوغ فى الدماء بضراوة ووحشية ، تبتغى من ذلك أولا القضاء على كل مقاومة ، وابادة أعدائها ، ثم اشاعة الهلع وبث الرعب فى القلوب لتفتيت القوى المعنوية ، ودفعها للاستسلام ، فان عجزت الصهيونية عن ممارسة هذا الأسلوب من العنف ، اصطنعت الختل والنفاق والغدر والغيلة ، وهى أسلحة خبيثة لا يلجأ اليهـــا الا الضعيف المخذول •

واليهود هم أول من وضع قواعد الفلسفة الميكافيلية الوصولية ، التى تبرر كل وســـيلة تحقق الهدف ، دون اعتـــداد بالقيم الخلقية أو الفضائل الانسانية ، كما يظهر ذلك من مطالعة تاريخ اليهود فى أسفار التوراة ، فالصفة المميزة لهم هى الاجتراء على كل قيمة مشروعة فى سبيل مصالحهم ، وكل وسيلة مهما كانت دامية ، أو ملتوية ، أو مشينة مزرية ، فهى مشروعة ، يطمئن اليها الضمير اليهودى . بل يسبغ عليها البركة ••

ولقد تبلورت قاعدة الغاية تبرر الوسيلة فى البروتوكولات التى سنعرض لها قريبا ، وكان الاغراء النسائى أقدم الوسائل التى سجلت التوراة ـــ المحرفة طبعا ـــ على العبرانيين استغلالها لتحقيق مآربهم ، ونسبت الى ابراهيم عليه السلام ـــ وحاشاه ـــ استغلالها • فقد روت التوراة مع التأييد والاعجاب فى الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين ، كيف تخلى ابراهيم عليه السلام ، عن شهامته وغيرته عن طيب خاطر ، لقـــاء أجر •• اذ قدم زوجته سارة الى فرعون مصر ، وأغراها بقبول التضحية بعرضـــها وأمرها أن : « قـــولى انك أختى ، ليكون لى خير

بسببك ، وتحيا نفسى من أجلك .. فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابراهيم خيرا بسببها .. وصار له غنم وبقر وحمير واماء وأتن وجمال » ..

وينسب اليهود فيما سطروه فى التوراة الى أنبيائهم كل مخزية من الصفات والأعمال ، مما هو معروف ، كما تضمنت التوراة نصوصا تدعو الى البطش ، بأعدائهم والتنكيل بهم ، والتخلى عن الرحمة والشفقة فى معاملتهم ولو كفوا أيديهم عنهم واستسلموا لحكمهم : « حين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها الى الصلح ، فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك . وان لم تسالمك بل عملت معك حربا ، فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، واما النساء والأطفال والبهائم ، وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك .. وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيها الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما[1] » ..

ولا يتسع المقام لذكر فظائع اليهود التى سجلها التاريخ ، ويكفى أن نشير الى ما قام ويقوم به اليهود من العدوان الصهيونى على الفلسطينيين ، الذين طردوهم من ديارهم شر طردة ، ونهبوا أموالهم ، وانقضوا عليهم غيلة وغدرا فى مجازر مروعة فى دير ياسين سنة ١٣٦٧ التى ذبح بها مائتان وخمسون من الرجال والنساء والأطفال ، وفى قرى : ناصر الدين وبلد الشيخ وسكرير ، وعيلوط وغيرها . وفى سنة ١٣٧٤ أعادوا الكرة فى مدينة غزة ، وفى سنة ١٣٨١ أباد الصهيونيون قرية التوافيق بمن فيها وقرية السموع وبعد ذلك استمرت الغارات الصهيونية على الجليل والجولان ومدن منطقة قناة السويس وعلى معسكرات اللاجئين الفلسطينيين ، حيث فتكت بهم ودمرت أكواخهم ، وبعثرت أشلاءهم مستخدمة أشد الأسلحة الحديثة فتكا[2] .

---

(١) الاصحاح العشرين من سفر التثنية ١٠ — ١٧ .

(٢) سجلت اللجنة الدولية للصليب الاحمر فى تقريرها سنة ١٩٦٧ م (١٣٨٦ هـ) التى حملها عنف الصهيونية وضراوة وحشيتها الى اذاعة التقرير الذى سجلت فيه تلك الفظائع الرهيبة . راجع خلاصة هذا التقرير فى كتاب (الصهيونية بين الدين والسياسة ، ص ٧٧ — ٧٨ .

بروتوكولات صهيون :

أشرنا فيما سبق الى البروتوكولات التى تعتبر دستور الحركة الصهيونية العملى ، وهى تمثل المبادىء الصهيونية المبعثرة مصاغة فى تبويب موضوعى مركز ، وذلك هو القدر المتيقن من أمر البروتوكولات، الذى لا مجال للجدل أو الشك فيه ، بعد أن ظهر تنفيذه فى خطوات الصهيونية التى نفذتها بعد المؤتمر الصهيونى الأول ، وحتى الآن •• وهذه خلاصة ما جاء فى البروتوكولات :

١ ــ اشاعة الفوضى الشاملة :

جاء فى البروتوكول الخامس : (اننا نقرأ فى قاموس الأنبياء أن الله اختارنا لحكم العالم ، وقد وهبنا الله العبقرية لنقوم بهذا العمل) ، وقد تركزت هذه العبقرية ــ مع الأسف ــ فى الافتنان فى وسائل الفساد والتخريب ، وفساد الحكومات والمجتمعات ، وتخريب الدول والنفوس ، وعلى هذا الأساس فصلت البروتوكولات المناهج العملية لتقويض الحكم القائم فى شتى الدول ، واقامة حكومة يهودية جامعة على أنقاضها : (أروع النتائج التى ــ يمكن الحصول عليها فى سبيل حكم العالم يتحقق باستخدام العنف والتهديد لا بالمناقشات الأكاديمية) •• (وان الذى يحكم ، يجب أن يلجأ الى الحيلة والنفاق ، وفى السياسة تستحيل الصفات الانسانية من أمانة وصدق الى رذائل تؤدى الى سقوط الملك عن عرشه) •• (يجب أن يكون شعارنا : جميع وسائل القوة والنفاق يتحتم أن يكون البطش هو المبدأ ، والحيلة والنفاق هما القاعدة لدى الحكومات التى لا تريد أن تضع تاجها تحت أقدام أعوان أى حكم جديد •• وهذا الشر هو السبيل الوحيد لبلوغ الخير ، فعلينا أن لا نتردد أمام شراء الذمم والغدر والاحتيال اذا كان ذلك يخدم قضيتنا) •

وتنشأ عن هذه الخطط والوسائل الصهيونية اشاعة الفوضى فى العالم والتسلل اليهودى من خلالها ، وهذا ما تعانيه البشرية اليوم : فوضى عاتية جائحة : سياسية وفكرية وروحية واجتماعية واقتصادية •

٢ ــ اثارة الفتن والوقيعة بين شعوب العالم ودوله :

كشف الحاخام عمانوئيل رابينوفتش عن خطة الصهيونية فى خطابه بمؤتمر الربانيين بمدينة بودابست سنة ١٩٥٤ م (١٣٧٣ هـ) حيث

قـــال : « هل تذكرون حملاتنا الدعائية الناجحة عام ١٩٣٠ ، لقد أثارت الحقد على الأمريكيين فى ألمانيا والألمانيين فى أمريكا ، وهذا هو ما أدى الى نشوب الحرب العالمية الثانية ، وقـــد شرعنا فى شن حملات مماثلة فى سائر أنحاء العالم . فأثرنا فى روسيا موجة من الحقد ضد الولايات المتحـــدة ، وفى نفس الوقت أثرنا فى الولايات المتحدة شعورا بالخوف والتوجس ازاء الشيوعيين ، وتؤدى هذه الحملات الى دفع الدول الصغيرة الى تحديد موقفها اما مع روسيا واما مع أمريكا » .

وهذا تطبيق لمـــا رسمته البروتوكولات صراحة ، ففى البروتوكول العـــاشر : (يجب بث الاضطرابات بصفة مستديمة فى العلاقات القائمة بين الشعب والحكومات ، واشاعة الأعمال العدوانية والاحقاد ، وحتى عذاب الجوع والحاجة والأمراض ، لدرجة لا يرى معها غير اليهود مخرجا للأرزاء التى تحل بهم سوى الالتجاء الى أموالنا والى سيادتنا المطلقـــة) .

وفى البروتوكول الحادى عشر : (غير اليهود كقطيع من الأغنام أما نحن فاننا الذئاب ، وهل تعلمون ما تفعل الأغنام اذا اقتحم الذئاب حظيرتها ؟ انها تغمض عينيها ، وسندفعهم الى ذلك) .

ويتضح فى البروتوكول الخامس عشر كيف يعمل الصـــهيونيون لتحقيق أهدافهم : (واذا ما تولينا السلطة بما نكون قد أعددناه من انقلابات تحدث فى جميع الدول فى وقت واحد — بمجرد أن يعلن رسميا عجز حكومات تلك الدول عن حكم الشعب ، وقـــد يمضى على ذلك وقت طويل ربما يبلغ قرنا — سنبذل كل جهدنا لمنع المؤامرات ضدنا) .

واعمالا لهذه التعاليم نلاحظ أن اليهود دائما ضالعون مع كل حركة تخريب فى العـــالم ، فقد كانوا وراء الحرب العالمية الأولى ، يظاهرونها ويذكون أوارها انتقاما من روسيا التى تصدت لليهود وانتقمت منهم .. وقـــد استغل اليهود تلك الحرب الضروس لفائدتهم المالية باقراض الدول بالربا الفاحش ، وترويج تجارتهم فى مواد القتال التى يحتكرونها ، والقضاء على شعوب أوربا وتقويض دولهـــا .

كما حاول اليهود استغلال الثورة البلشـــفية فى روسيا وفرضوا وصايتهم عليها ، لتحقيق مآربهم العنصرية التى فشلوا فى تحقيقها فى عهد القياصرة .

وقـــد نجحت العناصر الصهيونية فى حكومة البلاشفة فى ممالأة اليهود والتستر على ما قد يسىء اليهم ويفضح نواياهم ، فلما طبعت البروتوكولات فى روسيا ســـنة ١٩١٧ باللغة الفرنسية صودرت هذه الطبعة رسميا ولم يسمح بطبعها بعد ذلك •

٣ ــ الارهاب الفكرى وافساد الرأى العام :

يشرح البروتوكول الخامس كيفية افساد الرأى العـــام وبلبلة الأفكار فيقول : (ولكى نطمئن الى الرأى العام يجب أن نربكه تماما ، فنسمعه من كل جانب ، وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق) •• ويوصى بـــ : (مضاعفة الأخطاء التى ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية فى البلاد لدرجة يتعذر معها على الناس التفكير تفكيرا سليما وسط تلك الفوضى ؛ وهكذا يكف الناس عن فهم بعضهم بعضا •• وسوف تساعدنا تلك السياسة على بث الفرقة بين جميع الأحزاب ، وعلى حل الجماعات القوية ، وعلى تثبيط عزيمة كل عمل فردى يمكن أن يعرقل مشروعاتنا) •

وفى البروتوكول السابع : (يجب أن نقوم بالتأثير على الحكومات غير اليهودية عن طريق ما يسمونه الرأى العام الذى هيأناه عن طريق أعظم قوة وهى الصحافة التى ـــ فيما عدا بعض الحالات الاستثنائية التى لا قيمة لهـــا ـــ توجد كلها فى قبضتنا) •

وفى البروتوكول الثامن : (لا يتيسر اسناد المناصب الرئيسية فى الحكومة الى اخواننا اليهود ، فاننا سنسند المناصب الهامة الى أناس من ذوى السمعة السيئة حتى تنشأ بينهم وبين الشعب هوة سحيقة ، أو الى أناس يمكن محاكمتهم والزج بهم فى السجون اذا ما حالوا دون تنفيـــذ أمرنا) •

ولقد بلغ من جرأة اليهود أن استباحوا جلال العلم لاشباع حقدهم ونزواتهم . بافساد العقول والأخلاق ، والعبث بالقيم والفضائل الانسانية فابتدعوا نظريات علمية تسوغ لهم ما يبيتون من مكر وكيد وما ينفثون من آراء هدامة •• فاليهود وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمى الى هدم القواعد التى يقوم عليها المجتمع الانسانى ، فاليهودى: كارل ماركس وراء الشيوعية التى تهدم قواعد الأخلاق والأديان ••

واليهودى دركيم وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ، ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب ، واليهودى سارتر وراء الوجودية التى جنح بها الى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات السقوط والانحلال[1] .

وفى البروتوكول الثانى : (.. نحن الذين هيأنا دارون وماركس ونيتشه ، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التى تركتها هذه النظريات فى أذهان غير اليهود) .

٤ ـ اشاعة الفوضى والفساد فى المجتمع :

رسم البروتوكول الأول لليهود كيف يكيدون لسائر شعوب الأرض ، ويبذرون الفوضى والانحلال فيقول : (ان الشعب لدى المسيحيين أضحى متبلد الذهن تحت تأثير الخمر ، كما أن الشباب قد انتابه العته لانغماسه فى الفسق المبكر الذى دفعه اليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتى يعملن فى بيوت الأثرياء ، والموظفين والنساء اللواتى يعملن فى أماكن اللهو ، ونساء المجتمع المزعومات اللواتى يقلدنهن فى الفسق والترف) .

وفى البروتوكول التاسع : (لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير اليهود وأفسدنا خلقه بتلقينه المبادىء والنظريات التى نعلم أنها مبادىء ونظريات فاسدة وعملنا على ترسيخها فى ذهنه ، ودون أن نعمل على تعديل القوانين القائمة فعلا أمكننا التلاعب بها وتفسيرها التفسير الذى لم يخطر على بال واضعيها للحصول على نتيجة فعالة) .

٥ ـ افتعال الأزمات الاقتصادية :

يفصل البروتوكول الثالث السلاح الاقتصادى الذى يستعين به اليهود على تقويض الحكومات : (وسنعمد الى خلق أزمة اقتصادية عالمية بكافة الطرق الملتوية الممكنة بواسطة الذهب الذى يجرى بين أيدينا) .

وفى البروتوكول الرابع : (يجب أن نقيم التجارة على أسس

---

(١) العقاد : (الصهيونية العالمية) .

المضاربة ، ويكون نتيجة ذلك منع غير اليهود من الاحتفاظ بالثروات التى انتجتها الأرض وعن طريق المضاربة تدخل تلك الثروات خزائننا) .

ويوضح البروتوكول السادس كيف يعمل اليهـود على الاضرار بالانتاج : (وسنعمل على تقويض الانتاج من أساسه عن طريق نشر الفوضى بين العمال وتحريضهم على شرب الخمـر ، كما أنه لابد من استخدام جميع الوسائل الممكنة لطرد الأذكياء من غير اليهود من وجه البسـيطه) .

٦ ــ القضـاء على الأديان :

فى البروتوكول الرابع عشر : (عندما نصبح أسياد الأرض لانسمح بقيام دين غير ديننا .. من أجل ذلك يجب علينا ازالة العقائد ، واذا كانت النتيجة التى وصلنا اليها مؤقتا قد أسفرت عن خلق الملحدين ، فان هدفنا لن يتأثر بذلك ، بل يكون ذلك مثلا للأجيال القادمة التى ستستمع الى دين موسى ، هذا الدين الذى فرض علينا مبدأه الثابت النابه وضع جميع الأمم تحت أقدامنا) ..

وفى البروتوكول السابع عشر : (لقـد عنينا عناية خاصة بالعيب فى رجال الدين غير اليهود ، والحط من قدرهم فى نظر الشعب ، وأفلحنا كذلك فى الاضرار برسالتهم التى تنحصر فى تعويق أهدافنا والوقوف فى سبيلها حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام ..

وان حرية العقيدة معترف بها اليوم فى كل مكان ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية الا بضع سـنوات ، وسيكون القضـاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك ، ولكن الوقت لم يحن بعد لمناقشة هذه المسألة ..

وسنعمل على أن يكون دور رجال الدين وتعاليمهم تافها ، ونجعل تأثيرهم فى نفوس الشعب فاترا الى حد يجعل أثر تعاليمهم عكسيا) .

ومن هنا كان الاسلام بعد المسيحية المجال الرئيسى الذى كرست له الصهيونية نشاطها للنيل منهما بدأب حثيث ، وكانت محاربتهما هدفا لليهود منذ أزمان سحيقة ، ففى التلمود : (حيث أن المسيح كذاب وحيث أن محمدا اعترف به ، والمعترف بالكذاب كذاب مثله ، فيجب أن نقاتل الكذاب الثانى كما قاتلنا الكذاب الأول[1]) .

---

(١) د. محمد الزعبى : (دفائن النفسية اليهودية) ص ١٢٨ .

وقد جاهر حاخام اسرائيل فى الحفل لوضع الحجر الأساسى للمحفل الماسونى فى تل أبيب سـنة ١٣٧٧ هـ بقوله : (اننا نعمل جميعا لهدف واحد هو العودة لكل الشعوب الى أول دين محترم أنزله الله على ظهر هذه الأرض ، وما عدا ذلك فهى أديان باطلة : أديان أوجدت الفـرقة بين أهل البلد الواحد ، وبين أى شعب وشعب ، ونتيجة لجهوداتكم سيأتى يوم يتحطم فيه الدين المسيحى والدين الاسلامى ؛ ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم المتعفنة ، ويصل جميع البشر لنور الحق والحقيقة) .

وينبغى الا ننسى أن الحاخام يوجه خطابه ويوعز بتحريضـه الى أعضاء المحفل الماسونى الذى تزعم تقاليده أنه بنجوة من التعصب الدينى ، وأنه يتحلى بالحياد تجاه العقائد .

محاربة الصهيونية للاســلام :

حرصت دولة اسرائيل على محاربة الدين الاسلامى فى نطاقها المحلى، تطبيقا للمبادىء التى نص عليها البروتوكولان السابقان ؛ فعمدت الى اجبار التلاميذ المسلمين على دراسة اللغـة العبرية والديانة اليهودية وحفظ التوراة ، ومنعتهم من حفظ القرآن الكريم ودراسـة التاريخ الاســلامى .

وتطاولت اسرائيل على القرآن الكريم فطبعت فى عامى ١٣٨٠ و ١٣٨٨ هـ نسـخا مزورة من المصحف الشريف . اسقطت منها بعض الألفاظ أو بعض الآيات وأحيانا سورة بحذافيرها ، أو تناولت بعض الألفاظ بالتحريف ــ تبتغى بذلك تحريف بعض المعانى القرآنية والتشكيك فى سلامة كتاب الله ــ بيد أن المسلمين كانوا بالمرصاد حريصين على تعقب كل ما يصدره أعداء الله من طبعات محرفة من المصحف والحيلولة دون تداولها .

ودأب اليهود ، منذ ظهور الاسلام على محاولة افساد شرائعه ، وتشويه مصدر أحكامه ، فدسوا كثيرا من البدع المضللة ، ومنهم من انتحل الاسلام نفاقا ورياء ليفترى على الاسلام مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان ليكيد بها الاســلام ويثير الفتنة بين جمهرة المسلمين ،

وقد عرفت هذه الزيوف عند المسلمين بالاسرائيليات ، وهى كل ما دسه اليهود على تفسير القرآن الكريم أو الحديث النبوى من تأويلات فاسدة وأساطير خرافية فيها اغراب وزيغ عن المعنى المقصود ، قصد بها التضليل والأرجاف والبلبلة واثارة الشبهات بتشويه حقائق الاسلام الناصعة[1].

ومن دهاة اليهود عبد الله بنسبأ الحميرى (ابن السوداء) الذىترجع اليه طوائف غلاة الشيعة ، وهو القائل بمذهب الرجعة ومذهب الحلول (يزعم أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليا ، وانما المقتول شيطان تصور للناس فى صورة على ، أما على رضى الله عنه فقد صعد الى السماء على أن يرجع الى الأرض بوصفه [المهدى المنتظر] حيث ينتقم من أعدائه ويقيم العدل والحق ..

---

(١) من ذلك تفسيرهم الروح فى قوله تعالى : (تنزل الملائكه والروح فيها) بانه ملك هائل لو التقم السموات السبع ، والارضين السبع ، كانت له لقمة واحدة . وكذلك ما ورد فى قصة عوج بن عنق . وغيرها ..

الفصل الرابع :
المنظمات الصهيونية

جاء فى التوارة أن الله أوحى الى موسى عليه السلام أن يتخذ مجلسا من سبعين شيخا من شيوخ بنى اسرائيل[1] ويسمونه [مجمع السنهدرين] ، وهو يتألف من حاخاماتهم بزعامة الكاهن الأكبر • وقد ظل مجمع السنهدرين قائما حتى انفض عام ٧٠ بعد الميلاد ، بعد تدمير هيكل سليمان ، وتمزق اليهود وتشتتهم فى شعاب الأرض • ولكن حلت محله هيئات سرية ترعى شئون اليهود ، وتعمل مستخفية •

وفى عام ١٨٠٧ م حاول نابليون بونابرت احياء السنهدرين القديم فى هيئة تضم الحاخامات والعلمانيين لجمع شمل اليهود تحت لوائه ، بغية الافادة منهم فى تحقيق مشروعاته الاستعمارية فى الشرق خاصة ، غير أن اخفاقه فى تحقيق أطماعه أحبط تلك المحاولة •

وأخيرا تولت الكيهيلا قيادة اليهود — ومعناها فى العبرية : المحكمة العليا — وهى تضم أقطاب اليهود من رجال الدين والفكر والمال والسياسة ، وتشرف على كافة الأنشطة اليهودية التى تقوم بها المنظمات المختلفة فى العصر الحديث ، فتتلقى منها ما تستجمع من بيانات ومعلومات وتتولى التنسيق بينهما ومتابعتها واستغلالها ، وتعرف هيئة الكيهيلا حاليا بالمؤتمر اليهودى العالمى ، الذى يعمل على احتواء اليهود فى أقطار الأرض والتوفر على تحقيق ما وعدت به التوراة من سيادة اليهود لشعوب العالم ، وسيطرتهم على أرجاء المعمورة باعتبارهم شعب الله المختار •

ويعترف الحاخام دراهما بانتظام الهيئات اليهودية السرية المختلفة تحت شعار واحد ، وهدف موحد ، أيا كان نشاطها ، وأينما باشرته حيث يقول فى كتابه (التناسق) : « ان جميع الجمعيات السرية موسومة

---

(١) الاصحاح ٢٤ من سفر الخروج •

بطابع واحد ، اذ كلها تعمل بقيادتنا[1] » .

منظمـات يهـودية علنيـة :

بعد أن ظفر اليهود بحقوق المواطنين فى القرن الثالث عشر : (الثامن عشر والتاسع الميلاديين) سارعوا بانشاء جمعيات يهودية سافرة فى عدة أقطار ، مثلا جمعية عشاق صهيون التى أنشئت فى أوديسا سنة ١٨٨٢ م (١٢٩٨ هـ) ، وحركة التنوير (الهاسكالاه) فى ألمانيا ، التى أنشأها موسى مندلسون ،وجمعية الاستعمار اليهودى التى أنشأها البارون أدموند دى هيرش ، وجمعية كاديناح النمسوية التى كان يرأسها ناتا بيرنباوم ، وجمعية صهيون النمسوية التى تولى رئاستها تيودور هرتزل .

وبمجهود هرتزل التأم أول مؤتمر عالمي فى مدينة بال بسويسرة فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ ، يضم أقطاب اليهود من أقطار الدنيا حيث توفروا على توحيد جهودهم ، والسعى لتحقيق آمالهم .

وبالنظر لنجاح هذا المؤتمر من وجهة النظر الصهيونية فقد تقرر عقده بصفة دورية ، وأنشئت المنظمة الصهيونية العالمية في ألمانيا تنفيذا لقرار ذلك المؤتمر ، وهذه المنظمة هى أعلى سلطة تشرف على النشاط الصهيونى بمختلف صوره وأدواته ، وتتولاه بالتوجيه والتمويل والمتابعة ، دعما لاسرائيل باعتبارها محور هذا النشاط وهدفه الأول .

والى جانب هذه المنظمة يقوم المؤتمر اليهودى العالمى ويمثل الهيئة العليا التى تتولى شتات اليهود بالرعاية ، وتهيىء لهم السيطرة على أنحاء المعمورة ، وتعمل على انشاء الحكومة اليهودية العالمية ..

وقد باشرت المنظمة الصهيونية مهمتها الىٌ عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩م) حيث تكونت الوكالة اليهودية فى فلسطين وحلت محلها ، فلما أعلن قيام دولة اسرائيل سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) تكونت الحكومة اليهودية من بين أعضاء الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية .

ومن المنظمات اليهـودية السافرة : منظمة بناى بريث ومهمتها

---

(١) دفائن النفسية اليهودية للزعبى ص ١٥٨ .

الدعوة الصهيونية وجمع التبرعات لاسرائيل ، ومنظمة الهداسا النسائية الصهيونية ومقرها نيويورك ولهـا فرع فى مدينة القدس . ويشمل نشاطها الشئون الطبية وتقـوم بالاشراف على جمع التبرعات لتمويل النشاط الصهيونى ، ومثلها المنظمة الصهيونية النسائية العالمية المعروفة باسم ويزر التى تنتشر فروعها فى شتى أنحاء العـالم • والمجلس القومى لجماعة شباب اسرائيل وقد اعتمدته هيئة الأمم المتحدة بوصفه منظمة غير حكومية للشباب اليهودى ، ويمتد نشاطه الى الأمركتين فضلا عن اسرائيل • واتحاد عمال اسرائيل (الهستادروت ومنظمة سندات اسرائيل فى نيويورك لتمويل المشروعات الصهيونية) •

المنظمـات السرية :

من المنظمات الصهيونية السرية الخطيرة التى اكتشف أمرها : الماسونية والبهائية ، وجمعية شهود يهوه ، ونادى الصلبان المزدهرة ، ونوادى الروتارى •• ونكتفى بالالمام بالمحافل الماسونية •

المحافل الماسـونية :

هى من أقدم المنظمات اليهودية التى بثها اليهود أينما حلوا فى أقطار الأرض ، لتكون مثوى اجتماعاتهم التى يتناقشون فيها ويتبادلون الرأى والمعلومات • ويكفى لبيان الصلة الوثيقة بين الماسونية والصهيونية أن بروتوكولات صهيون — الدسـتور الصهيونى — قد صدرت مذيلة بامضاء ثلاثمائة من كبار الماسونيين الحائزين للدرجة الثالثة والثلاثين الماسـونية •

ولا يزال منشـأ الماسونية طى الكتمان ، بل لغزا من الألغـاز الغامضة[1] • ورغم ذلك فان تاريخ الماسـونية الذى تتداوله معارف الماسونيين ينبىء عن أصالتها الدينية اليهودية ، فهم يزعمون أن الملك سليمان (عليه السلام) كان الأستاذ الأعظم فى محفل القدس ، كما عثر على مخطوطة يرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر الميلادى

---

(1) كتاب (كيف انشىء المحفل الاكبر الوطنى السورى اللبنانى) تأليف حسين اللاز وأحمد مختار نجاه ص ٢٨ .

يستدل منها على أن الماسونية دخلت انجلترا على يد اليهود فى مصر والقـــدس[1] •

شـــعار الماســـونية :

والماســـونية أو جمعية البنائيين الأحرار منظمة اجتماعية عالمية شعارها الذى يتسم به نشـــاطها الظاهر العدل ــ الاخاء ــ الحرية وهدفها : التعاون الانسانى بين أفرادها على أوسع مدى ، وقد اتخذت من صناعة البناء وأدواته كثيرا من شـــعاراتها ورموزها ، فالبركار والزاوية هما الرمز العـــام للماسونية •

وعلامة الأستاذ الأعظم : البركار والقوس وصورة العين المشعة داخل مثلث ••

وعلامة المنبه الأول الأعظم : ميزان البنـــاء ••

وعلامة المنبه الأعظم : خيط الشاقول ••

وعلامة المهندس الأعظم : البركار ••

ويشار الى الله (سبحانه وتعالى) باسم : مهندس الكون الأعظم ويسمى كل تنظيم ماسونى محفلا ، يجتمع فيه الأعضاء ، ويضم المحفل الأكبر مجموعة من المحافل ، وتتبع المحافل المقامة فى مجموعة من الدول محفلا عاما يسمى : شرقا •• وتتكون الماسونية من طبقات ثلاثة متدرجة :

الطبقـــة الأولى :

وتعرف بالماسونية الرمزية العامة ، وهذه الطبقة متاحة لجميع الأجناس والأديان ، ويقسم أعضاؤها الى ثلاث فئات : المبتدئين أو الاخوة ، ثم الأساتذة ، ثم الأساتذة الأعاظم الذين يرأسون محافلها • وتتكون المراتب الماسونية فى هذه الطبقة الرمزية من ٣٣ درجة تتدرج صعودا حتى مرتبة الأستاذ الأعظم •

---

(١) المرجع الســـابق •

الطبقـــة الثـــانية :

وتعرف بالماسونية الملوكية أو العقد الملكى . ويسمى العضو فيها رفيقا كما يعرف رئيس المحفل بالرفيق الأعظم وكان أعضاؤها جميعا من اليهود ، ثم سمح للأساتذة العظام للمحافل الماسونية الرمزية العامة بالاندماج فيها ، على ألا يتجاوزوا فيها مرتبة الرفيق ، وهى أدنى مراتبهـــا ..

الطبقـــة الثـــالثة :

وتعرف بالماسونيةالكونية ، وتتكون من رؤساء محافل العقد الملوكى، وهى محفل واحد جميع أعضائه من اليهود ، ولا يعرف مقره ولا رئيسه الملقب بالحاخام الأعظم ، غير أن المشهور أن الماسونية الكونية يديرها المحفل الأمريكى المؤلف من اليهود الصهيونيين الرومانيين .

ولكل درجة من درجات الماسونية رموز خاصة ، وشارة خاصة ، وتحية معينة ، وأسرار محددة تتسع دائرتها كلما ارتقى العضو الى درجة أعلى ، وتختلف باختلاف طبقات المحافل ، ولا يجوز لدرجة أن تطلع على أسرار وتعاليم الدرجة التى تعلوها .

ولا يقبل العضو الجديد فى أدنى درجات الماسونية الا بعد تزكية عضوين له ، وثبوت جدارته بما يجرى حوله من التحريات السرية التى تبعث على الاطمئنان اليه ، ونجاحه فى اختبار نفسى عسير يجرى فى غرفة مظلمة رهيبة حيث يمكث فترة طويلة فى تابوت من توابيت الموتى بين الجماجم والهياكل العظمية ، ثم يتم قبوله فى حفل تكريس تجرى فيه طقوس غريبة على مشهد من جميع أعضاء المحفل .

ولا يرقى الماسونى الى درجة أعلى حتى يمر باختبارات وتجارب قاسية تثبت جدارته ، بالترقية وتلقى أسرار الدرجة الجديدة ، وتتفاوت هذه الاختبارات فى الدقة والقسوة بتفاوت الدرجات المكرس لها العضو بحيث تمعن فى القسوة كلما علت الدرجة .. والقصد من ذلك التأكد من قدرة العضو على تحمل أنواع التعذيب والأذى الذى قد يتعرض له فى سبيل كتمان أسرارها ..

وقـــد اتخذت الماسونية ستارا لأغراضها الحقيقية ــ وهى خدمة الصهيونية ــ تلك النشاطات الانسانية والاجتماعية ، باعتبارها تعمل للبر والتعاون الاجتماعى وتنفى عن نفسها التعرض للمباحث الدينية والأمور السياسية .. فالماسونى يلقى دائما من صنوف المعونة والمساعدة ما قد يحتاج اليه ، سواء كان ذلك فى وطنه أو البلاد الأخرى ، حيث يقابل من اخوانه الماسونيين المنتشرين فى جميع الأقطار بمزيد البشر والترحاب ، والاستعداد لخدمته ، والعمل على راحته ، حالما يلتقى بهم ويتعرف اليهم بمقتضى الاشارات المصطلح عليها فيما بينهم ، وكلمات السر المضنون بها على غيرهم .. بل يزيد الدعاة فى نشر الدعوة الماسونية بقولهم : ان الموظف الماسونى لابد أن يلقى من عناية الرؤساء الماسونيين بأمره ما تقربه عينه ، حيث تكون ماسونيته خير مؤهل للترقى وتخطى الأقران .. واذا أجرم الماسونى ثم حوكم أمام القاضى الماسونى فان البراءة مضمونة له ، حالما يظهر له الاشارة الماسونية .. وهكذا التاجر ورجل الأعمال[1] .

ومعلوم أن الماسونى يقسم عند التحاقه بالعشيرة الماسونية أمام الرئيس المحترم ــ خليفة الملك سليمان ــ أن يتخذ من اخوانه الماسون أولياء له فى جميع أموره ، وأحواله ، وأن يأتمنهم كذلك على أعراضه ، وأن يتخذ القومية الماسونية دون سواها شعارا له مدى الحياة[2] .

وقـــد أفصح البروتوكول الثالث من بروتكولات صهيون عن الدور الجدى للمحافل الماسونية فى سبيل انشاء الدولة اليهودية العالمية التى يدين لهـــا سكان المعمورة ، ويخضعون لسلطانها حيث يقول :

ان المحافل الماسونية تقوم فى العالم أجمع ــ دون أن تشعر ــ بدور القناع الذى يحجب أهدافنا الحقيقية ، على أن الطريقة التى ستستخدم بها هذه القوة فى خطتنا ، بل فى مقر قيادتنا لازالت مجهولة من العـــالم بصفة عامة .

وفصـــل البروتوكول الحادى عشر : الأهداف التى ترمى اليهـــا الصهيونية من افســـاح المجال لغير اليهـــود للانضمام الى المحافل

---

(١) (الجمعية الماسونية حقائقها وخفاياها) للدكتور احمد غلوش الرئيس السابق للمحفل الاكبر الماسونى بالاسكندرية والحائز على الدرجة ٣٣، ص ٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٨ .

الماسونية العالمية ، فقد جاء فيه : ما هو السبب الذى دفعنا الى أن نبتدع فى سياستنا ، ونثبت أقدامها عند غير اليهود ، لقد رسخناها فى أذهانهم دون أن ندعهم يفقهون ما تبطن من معنى ، فما هو السر الذى دفعنا الى أن نسلك هذا المسلك ، اللهم الا أننا جنس مشتت وليس فى وسعنا بلوغ غرضنا بوسائل مباشرة ، بل بوسائل غير مباشرة فحسب • هذا هو السبب الحقيقى لتنظيمنا الماسونية التى لم يتعمق هؤلاء الخنازير من غير اليهود فى فهم معناها ، أو الشك فى أهدافها ، اننا نسوقهم الى محافلنا التى لا عداد لها ولا حصر ، تلك المحافل التى تبدو ماسونية فحسب ، ذرا للرماد فى عيون رفاقهم •

وفى البروتوكولات نصوص كثيرة تبين دور المحافل الماسونية فى العمل لخدمة الصهيونية منها ما جاء فى البروتوكول الخامس عشر : يلتحق غير اليهود بالمحافل الماسونية مدفوعين بمجرد الفضولية أو أملا منهم فى الحصول على المزايا التى توفرها لهم ، ويلتحق بعضهم بها لكى يتمكنوا من مناقشة أفكارهم السخيفة أمام جمهور المستمعين ، ويتوق غير اليهود الى ضروب الانفعالات التى يهيئها النجاح والهتافات ، وها نحن نوزعها عليهم دون حساب ، ولذلك نتركهم يحرزون نجاحهم ، ونفيد من الرجال الذين يمتلكهم الغرور ، والذين يستسيغون أفكارنا وكلهم ثقة فى عصمتهم وفى أنهم وحدهم قادرون على التفكير وغير خاضعين لغيرهم •

وهكذا كان الماسونيون أكبر معوان للحركة الصهيونية فى شتى الأقطار يعملون على تحقيق أهدافها السياسية والاستعمارية بحماس ودأب ، ومنهم على سبيل المثال [ونستون تشرشل] الذى عمل على تأييد الحكومة الانجليزية للمطامع الصهيونية فى فلسطين ، وكان [هارى ترومان] رئيس الولايات المتحدة ماسونيا أعظم • وقد أكدت ذلك مجلة شيكاغو افنجر فى عددها الصادر فى ١٣ يوليو ١٩٥٥ م ، وهو الذى سارع الى الاعتراف بدولة اسرائيل ساعة ولادتها المشؤومة •

وتعزى الحركات الثورية العاتية ، والفتن المخربة التى اندلعت فى شتى الدول فى العصر الحديث الى النشاط الماسونى الهدام ، كالثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، والانقلاب العثمانى

سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٨ م) والثورة الشيوعية فى روسيا سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وغيرها[١] .

---

(١) يمكن لمن يرغب فى المزيد من التفصيل الرجوع الى الكتب التالية :
أسرار الماسونية للجنرال جواد رفعت آتلخان . الماسونية فى العراء للدكتور على الزعبى .

والكتاب النفيس الذى صدر اخيرا : (الصهيونية بين الدين والسياسة) للاستاذ عبد السميع الهراوى ، وعليه عولنا فى هذا البحث .

الباب الرابع

إتجاهات إسلاميّة

- إتجاهات قاصرة
- إتجاهات أصيلة

اتجـــاهات اســـلامية

نحن نتحدث عن العالم المعاصر ...

ومن ثم فاننا نتحدث عن القرن العشرين ...

ولئن كنا أوغلنا قرنا أو بعض قرن حين تحدثنا عن الاتجاهات الدخيلة : غربية وشرقية فذلك لنبين جذورها ..ليعلم قومنا .. أن ما هم فيه .. ليس قصدا الى تمدينهم ولا الى رقيهم .. انما هو عروة من عرى حرب ضروس شنها أعداؤهم عليهم ... فلما لم تفلح حرب السلاح ... لجأوا الى حرب الفكر والعقيدة ..

وكانوا فى الثانية :

أخبث
وأنجـــح

بيد أنهم ... وان نجحوا ... فان نجاحهم محدود ...

محدود .. كما .. فلا تزال القاعدة العريضة من المسلمين بعيـــدة عن تأثيرهم .. لا تزال الفطرة فى البادية وفى الريف .. هى الغالبة برغم كل ما بذله الغرب والشرق من فساد وافساد ...

وهو كذلك محدود كيفا :

فان ما غيروه ... قليل الى جوار .. ما بقى .. حتى فى نفوس أتباعهم

ولا يزال الاسلام فى كل يوم يضم الى صفوفه ... كثيرين ممن كانوا عندهم روادا ...

وهذا محمد حسين هيكل ... يعلن عودته لحظيرة الاسلام .

وهذا طه حسين ... يتجه فى أخريات حياته الى الاسلام ... وان بقى فكره مشوبا بكثير من المؤثرات الأولى .

وهذا جلال كشك ، ومصطفى محمود .

وغيرهم ... كثير ...

يفتح الاسلام ذراعيه .. فرحا بهم .. أشد فرحا من فرحة الأم بعودة وحيدها الغائب .. أو أشد فرحا من ظاعن بالصحراء وجد بعد لأى بعيره الشارد .. وهذا النجاح .. لا يأمن بعد ذلك رد الفعل ...

ان لم ينتهوا .. ويتركوا .. أرض الاسلام .. وأبناء الاسلام .. وبعض الذى سنقدم ان لم يكن أكثره .. كان رد الفعل .

وقد بدأ أو بدا أثره قاصرا .

لكنه يوشك باذن الله أن يعرف طريقه ... وان يبلغ غايته ... ليتم الله نوره .. ولو كره المشركون ...

ونحن نكتفى فى الحديث عن الاتجاهات الاسلامية .. بما كان منها فى هذا القرن الرابع عشر الهجرى .. لأن هذا هو معنى المعاصرة الذى نقصد اليه .. ولن نشغل أنفسنا ولا نشغل الناس بالحركات التى لبست ثياب الاسلام وهى تضمر له الشر .. وتحمل له الحقد .. فان صبغها بصبغة الاسلام خطأ كبير[1] .

لكنا قد نشغل انفسنا ونشغل الناس بالحركات والاتجاهات القاصرة .. لأنها وان كانت لا تمثل الاسلام الصحيح .. فانها خطوات اليه .. حسب أصحابها منها حسن النية ، وحسبهم اجتهادهم وان اخطأوا فلهم الاجر ان شاء الله .. ثم لابد من دراستها لنتبين ما فيها من خير فنستثمره .. وما فيها من سوء فنرفضه .. ثم لندعو أصحابها ان هلموا الى الاسلام الصحيح .. (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم .. يوم تبيض وجوه وتسود وجوه[2]) ..

ونبدأ باذن الله بهذه الاتجاهات .

ثم نثنى باذن الله بالاتجاه الصحيح .

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ..

---

(١) مثل القاديانية .. التى قامت فى الهند عميلة للاستعمار البريطانى ... محاولة تحريف العقيدة الاسلامية ... وهى وغيرها من الحركات المشبوهة موضع دراسة مادة الاديان والفرق

(٢) آل عمران ١٠٥ ، ١٠٦

الفصل الأول :
إتجاهات قاصرة

مقـــــــدمة :

وفى حديثنا عن الاتجاهات القاصرة قد نغفل تسمية أصحابها ..

ليس خوفا منهـــا .. ولا ملقا لغيرها ..

فيعلم الله .. ان خوفنا منه .. ورجاءنا اليه .

ـــ ولكنه .. أدب

علمنا اياه الرسول صلى الله عليه وسلم حين كان يصعد المنبر .. فيقول .. ما بال أقوام فعلوا كذا وكذا .

ـــ ثم هو بعد ذلك دعـــوة ..

لأولئك .. الذين احبوا الاسلام .. وان لم يفهموه الفهم الصحيح أو المتكامل دعوة اليهم .. من غير جرح لمشاعرهم .

فهم اقرب الينا من الذين شردوا .. وهم اعز علينا منهم .. بل قد يكونون أعز علينا من أنفسنا ..

وأول هـــذه الاتجاهات القاصرة .. ما اقتصر على العقيـــدة .. وغالى فيهـــا ..

وثانى هـــذه الاتجاهات القاصرة .. ما اقتصر على النســـك .. وغالى فيـــه ..

وثالثها .. ما اقتصر على محاولة اصلاح بعض المؤسسات .. ولم يستطع .. حتى ان يغالى فيه .. ونكتفى بهذه الاتجاهات .. لنجمع تحتها .. كثيرا من الحركات .. التى ظهرت فى هذا القرن .. ولنجمع تحتها كذلك كثيرا من الجمعيات التى حملت اسم الاسلام .. أو جزءا من اسمه ..

وكل ذلك بغير تسمية كما أشرنا ..

المبحث الأول

اتجاهات نحـــو العقـــيدة

لا شـــك أنها نقطة بداية صحيحة :

ان نبدأ من العقيدة ••

فانها الأساس ••

لكن •• الخطأ والخطر ••

ان نقف عندها ••

أو أن نتغالى فيها ••

وقبل أن نبين الخطأ والخطر فيها •• نبين الصواب فيها مشيرين الى ظروف نشأتها فهذان بحثان باذن الله

أولا : صـــواب البدء بالعقيـــدة

البدء بالعقيدة عين الصـــواب •

لأن الاسلام يقيم بناء له أساس ••

وأساسه العقـــيدة ••

وبناء الاسلام •• ليس من حجارة ولا من صخور ••وان كان بعد قيامه اثبت من الرواسى وأصلب من الصخور ••

انه بناء معنوى ••

بناء قيم ومثل ••

بناء شريعة ••

أساسها عقيدة ••

وهذا البناء لا يقام فى فراغ •

ولا يقام كذلك على جماد .

لكنه يقام على أكرم ما خلق الله .. على الانسان .

ثم هو يقام فى أعز مكان فى الانسان وأغلى قطعة فيه ..

انه يقام فى قلبه ..

« التقوى .. ها هنا .. وأشار النبى صلى الله عليه وسلم الى قلبـــه »[1] .

« ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله . واذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهى القلب » ..![2] .

والذين أقاموا الحضارات غير الاسلامية ...

أخطأوا نقطة البدء ... بل أخطأوا مكان البناء نفسه .

فأقاموا بناء الحضارة خارج الانسان .. من الآلة .. والمصنع .. وناطحات السحاب .. وهم حتى حين نظروا الى الانسان .

نظروا الى .. أحط شىء فيه .. غرائزه ..

فكانت حضارتهم اشباعا لهذه الغرائز .. واثارة لهـــا .. حتى شقى الانسان بحضارتهم ايما شقـــاء .

وأهملوا فى الانسان .. اعز شىء فيه .. وأغلى قطعة منه ..

أهملوا قلبـــه .. !

وهذا هو الفارق بين حضارتهم وحضارة الاسلام .. !

والظروف التى دعت للنداء بالعقيدة :

قريبة من الظروف التى دعت الاسلام للنداء بها أول مرة .

فكثير من المجتمعات الاسلامية خلال القرنين الثانى عشر والثالث

---

(1) من حديث طويل رواه الشيخان .
(2) رواه البخارى فى كتاب الايمان ٣٩ ومسلم وابن ماجه .

عشر ، وبعضها لا يزال حتى القرن الرابع عشر الحالى •• يتنازعها تقاليد ، وأفكار •• ان لم تكن هى الشرك فهى قريبة منه •• بل ان بعض هذه المجتمعات أوشك يوما •• ان يعبد شجرة •• أو مكانا حاطه البعض بشىء من التقديس ••

ولا يزال كثير مما يحدث حتى اليوم فيما يسمى بالموالد •• له شكل الشرك •• ولا ينقصه الا النية •• والله أعلم بالنوايا ••

وبرغم أن أصحاب هذه « الموالد » برءاء مما أحدث الناس •• بل ان بعضهم لو كان على الحياة لحرق كثيرا من أولئك الضالين •• كما فعـــل على بن أبى طالب رضى الله عنه بمن ألهـــوه من دون الله سبحانه وتعالى ••

وبرغم ما يقال من ان احياء هذه « الموالد » احياء لمبادىء وقيم أصحابها وتذكير بها ••

فان ما غلب عليها من « بدع » وما يرتكب فيها أو باسمها من آثام » كفيل بالانتهاء عنها ••

فان من أسباب تحريم الخمر والميسر •• قول الله •• يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما •

فضلا عن ان درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة •

وسد الذرائع كفيل بترك ما لا بأس به خشية أن يكون به بأس ••

طواغيت :

والطواغيت التى أمرنا الله ان نكفر بها ليصح ايماننا ••
ليست •• ولم تكن ، الاوثان والأصنام فحسب ••
ان تلك الاوثان والأصنام •• مجرد صورة واحدة ، أو مثل واحد •
لكن صور الطواغيت كثيرة :

معتقـــدات ••

مبـــادىء ••

افـــكار •

أشـــخاص ••

عواطف ومشاعر ••

ســـلوك ••

صور للتنسك ••

وجماع هذه جميعا •• ان تعطيها أو تعطى شيئا منهـــا •• بعض صفات الله أو بعض أفعاله التى اختص بها وحده سبحانه ••

ولا يهم أن تفردها بهذا العطاء ••

أو ان تشركها مع الله فيه ••

فمن أعطى شخصا •• أو هيئة •• مبدأ •• صفة « الحكم » أى وضع القواعد والتشريعات ابتداء •• وهذا خالص حق الله سواء فى مجال العقيدة ، أو الاخلاق ، أو العبادات أو المعاملات : اقتصادية ، وسياسية ، واجتمـــاعية ••

فقد اتخذ الشخص أو الهيئة أو المبدأ •• طاغوتا ••

فان أفرده بهذه الصفة •• فقد اتخذه طاغوتا من دون الله •

وان اشركه مع الله فى هذه الصفة •• فقد اتخذه طاغوتا مع الله •

وفى الحالين ان توافرت له الارادة فقد انتفى عنه الايمان ••

(ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ، يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا) ••

الى قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما[1]) •

---

(١) النساء ٦٠ و ٦٥ •

فلينظر الذين يقولون ..

« أنا مسلم العقيدة ماركسى المذهب »

فان العقيدة لا تصح حتى يسقط كل طاغوت .. يعطيه الانسان بعض حق الله .

(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى[1]) ولذا كان النفى فى شهادة التوحيد سابقا على الاثبات ..

لا أله ..الا الله .. !

العقيــدة الصــحيحة :

والعقيدة الصحيحة .

ليست قاصرة على نطق اللسان : لا اله الا الله محمد رسول الله .

انها قبل ذلك علم القلب وعمله ..

وهى ليست قاصرة بعد ذلك على عمل الجوارح .

انها ان اقتصرت على الأولى : شهادة اللسان .. وانتفت الثانية : كانت نفاقا ..

وان اقتصرت على الثانية دون الأولى .. كانت كفرا ..

وان اقتصرت على الأولى والثانية دون الثالثة .. كانت فسقا ..

ثــم :

انها ليست قاصرة على جانب من صفات الله دون الجانب الآخر .

انها كما تشمل الاعتقاد بان الله خالق ..

تشمل كذلك الاعتقاد بانه رازق ..

تشمل كذلك الاعتقاد بأنه : حكم أو حاكم ..

---

(١) البقرة ٢٥٦ .

والاخلال فى جانب من هذه •• كالاخلال بالجانب الآخر سواء بســـواء[1] ••

ثانيـــا : خطــأ و خطــر

الذين نادوا بالعقيدة على ذلك النحو •

أصابوا كل اصـــابة ••

لكنهم أخطأوا من جانبين •

انهم وقفـــوا عنـــدها ••

أو أنهم غالوا فيها •• أو فعلوا الخطأين معـــا ••

أما خطؤهم فى الوقوف عندهـــا :

فان العقيـــدة أســـاس ••

لا يقوم بناء بغيره •• وهذه أهميتها ••

لـــكن •••

أيصح لعاقل ان يقيم الأساس •• ويكتفى ؟ ••

فلا يقيم بعده البنـــاء ؟ ••

وما يجديه الأساس •• ان أصابته حرارة الصيف أو مسه برد الشـــتاء ؟ ••

وأما خطـــأ المغالاة فيهـــا :

فقد جاء من اعتبارهم الائتمار بالأمر والانتهاء عن النهى جزء من العقيدة ، وترتيبهم نفس النتيجة التى تترتب علي تخلف الاجزاء الأخرى كشهادة اللسان أو اعتقاد القلب • واعتبار « العمل » بتفصيله السابق جزءا من الايمان صحيح •

---

(١) تفصيلا لذلك .. بحثا مفصلا (الايمان الحق : شهادة وعقيدة وعبادة) ـ للدكتور على جريشة ـــ دار الشروق الطبعة الاولى ـــ سبتمبر سنة ١٩٧٥ م ـــ والمراجع المشار اليها فى هـــذا البحث ٠

لكن ترتيب نفس النتيجة عليه غير صحيح •

ذلك ان للايمان درجات •• كما ان فى الجنة درجات •

وللكفر دركات •• كما أن فى جهنم دركات !

أو هو كالكائن الحى •• لا يستوى فصل رأسه مع فصل رجله أو يده •ومن ثم فلا يستوى فى شرع الله تارك الشهادة : لا اله الا الله مع تارك اطعام المسكين ••

ولا يستوى من داس مصحفا •• أو انكر شيئا ما فيه •

مع من اغتاب ، او سعى بالنميمة ، أو حتى قتل ! •

والقرآن سمى تارك «الهجرة» مؤمنا « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء[1] » •

وسمى من قاتل اخاه « مؤمنا » •• « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما[2] » •

وتداعى الناس وتتابعهم فى المعاصى •• لا يدفعنا الى خطأ آخر •• هو تكفيرهم ••

انما ينبغى على المسلم ان يمسك فى احلك الظروف بالميزان الدقيق • يزن به الافعـــال والاشــــخاص •• « الله الذى أنزل الـــكتاب بالحق والميزان[3] »

---

(١) الانفـــــال ٧٢ .
(٢) الحجـــرات ٩ .
(٣) الشـــــورى ١٧ .

المبحث الثـــانى
الاقتصار على النســك

لا شك فى فضل شعائر الله .

ولا شك انهــا .. عمد هذا الدين .. لا يقوم بغيرها ..

ولا شك أن تعظيمها وتوقيرها من تعظيم الله وتوقيره .. من تقوى القلوب « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب »[1] .

لكن هل نستطيع أن نقتصر عليها فقط ونقول هى الدين ؟

الرسول يرفض محاولة الاقتصار أو محاولة التغالى :

بعض الذين يقتصرون اليوم على الشعائر .. يقــولون .. أنهم يتشبهون بالصحابة ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برءاء مما يقولون ..

فمنهجهم هو منهج الرسول عليه الصلاة والسلام .. الذى شجب مثل هذه المحاولات ليوضح سنته .. حين قال بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم ، قد غفــر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلى الليــل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ..

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟

أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ..

ولكنى أصوم وأفطر ..

وأصلى وأرقد ..

وأتزوج النساء ..

---

(١) الحج — ٣٢ .

فمن رغب عن سنتى فليس منى .. ![1] .

وهذا حنظلة الكاتب التميمى ، يقول : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرنا الجنة والنار حتى كانها رأى العين ، فقمت الى أهلى وولدى فضحكت ولعبت .. قال : فذكرت الذى كنا فيه فخرجت فلقيت أبا بكر رضى الله عنه فقلت : نافقت ، نافقت .. فقال أبو بكر : انا لنفعله، فذهب حنظلة فذكره للنبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. رد المعلم .. الرؤوف الرحيم : « يا حنظلة : « لو كنتم كما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، (أو على طرقكم) ، يا حنظلة .. ساعة .. وساعة »[2] .

وحين علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قد انقطع للعبادة .

قال : ومن يطعمه ويسقيه .

قالوا .. أخوه .

قال : أخوه أعبد منه .

ثم أعطى معنى العبادة حقها :

حين جعل « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله[3] .

وحين قال : « ان من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ويكفرها الهم فى طلب المعيشة » ! وفى لفظ (عرق الجبين[4]).

الاستعمار يشجع فرق المتنطعين :

وحين جاء الاستعمار الأوربى الى أرض الاسلام .. حارب الدين .. وكل ما هو دينى .. الا فرق المتنطعين . رافعى الرايات .. وضاربى الدفوف .. والهائمين على وجوههم .. زاعمين أنهم من أهل الله يتكففون النـاس .

---

(١) رواه البخارى ومسلم واحمد واللفظ للبخارى .
(٢) رواه ابن ماجه .
(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى .
(٤) رواه الطبرانى وابو نعيم فى الحليمة .

وكان من بين ما شجعه المستشرقون « التصوف »[1] .

التصوف بهذا المعنى القاصر .

لأننا لا نود أن نظلم المتصوفة كلهم .

وان كنا نود لهم .. ما ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ..

ولكنى أصوم وأفطـــر .

وأصـــلى وأرقـــد .

وأتزوج النســـاء

فمن رغب عن سنتى فليس منى » !

هل صحيح بعد ذلك الاقتصار على النسك ؟

أظنه ليس بحاجة الى جواب .

الا أن تقول بصلاحية أعمدة تقوم .. لأن تؤوى أسرة .. فتقيهـــا حر الصيف وبرد الشتاء .

والا أن تقول .. بغير ما قال محمد عليه الصلاة والسلام .

أما المغـــالاة :

فلئن كان الاقتصار خاطئا .

فالمغالاة أشد خطأ .. حتى ولو كانت بقصد كريم شريف .. فلابد مع القصد من الاتباع. لأن الافراط فى شىء .. تماما كالتفريط فيـــه .. كلاهما طرفا نقيض .. مذموم من الله سبحانه وتعالى « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »[2] .

وفى موضوعنا نصوص كثيرة « واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم »[3] .

---

(١) راجع ما سبق عند الكلام عن الاستشراق .
(٢) الفرقان ٦٧ .
(٣) الحجرات ٧ .

عليكم من الأعمال ما تطيقون .. فان الله لا يمل حتى تملوا[1] .

« ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى »[2] .

« ان لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا .. فاعط كل ذى حق حقه[3] » .

وبعد ذلك ..

فان الاغراق فى جانب واعنات النفس فيه ..

يؤدى بغير شك الى الملل والسأم مما يفضى بعد ذلك الى الانقطاع !

أو يرتد بالنفس الى النقيض الآخر ..

أو يؤدى الى خلل فى الجسم أو العقل أو المال .

---

(١) الموافقات ج ١ ص ٣٤٣ .
(٢) رواه أحمد والبيهقى .
(٣) رواه البخارى والترمذى .

المبحث الثـــالث

مدارس العقـــل والعقـــلاء

مدارس العقل والعقلاء .. نشأ أكثرها فى فترة الاحتلال الأجنبى وفى أوج قوته ..

لها فلسفتها :

اننا لسنا بقادرين على مجابهة قوة الاستعمار العسكرية .. ومن ثم فلنؤجل الجهاد .. ولنعمل العقل لانقاذ ما يمكن انقاذه .. أو باستعارة التعبير « ما لا يدرك كله لا يترك كله » .

اتهـــام ننفيـــه :

ونحن — على عكس كثير غيرنا — نحسن الظن بأصحاب هـــذه المدارس ولا نقبل أن نسميهم « عملاء »(١) .

وان بدا منهم لون من الاتصال أو التعاون مع العدو المستعمر ..

ذلك أن هؤلاء القوم .. كما نقول .. صدروا فى فلسفتهم المحركة لهم .. عن ضعف استشعروه فالاستعمار قهرهم .. وقهر من كان أشد منهم قوة وأعز نفرا !

فكيف بهم أن يقفوا فى وجهه .. ؟

ســـذاجة :

لكننا وان نفينا عنهم « العمـــالة » فلا نســـتطيع أن ننفى عنهم « السذاجة » انهم ظنوا أنهم يستطيعون أن يضحكوا على الاستعمار ويمكروا به فاذا به أشد مكرا .

---

(١) شن الدكتور محمد محمد حسين حملة شديدة على الشيخ محمد عبده وشيخه الافغانى فى كتبه : الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ، الحضارة الغربية .. الخ .. وسار على نفس النهج الاستاذ غازى التوبة فى بحثه القيم الفكر الاسلامى المعاصر وفعل غـــيره كذلك ..

ظنوا أنهم يستطيعون أن يمتطوه ليسخروه لصالح الاســـــلام وامتطاهم الاستعمار ليسخرهم لصالح التغريب ، والتغيير الاجتماعى !

فبعضهم ظن أنه يستطيع أن يقنع الانجليز باصلاح التعليم الدينى « ان أعظم فاعل فى نفوس المصريين أن يقال لهم : ان صاحب هــذه المنفعة ليس من دينكم وانكم مأمورون ببعضه » •• ثم يقول « الدين الاسلامى الحقيقى (!) ليس عدو الألفة ، ولا حرب المحبة ولا يحرم المسلمين من الانتفاع بعمل من يشاركهم فى المصلحة ، وان اختلف عنهم فى الدين ، وبالجملة فهو أفضل كافل لجعل الرعية صالحة لأن تكون بدنا فى رأس أو آلة لعامل[1] •

وبهذه النية التى نحسن الظن بها •

ألف صاحب مدرسة العقل جمعية التقريب بين الأديان •

فيها المسلمون

والنصــــارى

واليهــــود

ولعله لم يكن قد اطلع على توصيات المبشرين والمستشرقين فى التقريب بين الأديان ولعله كذلك لم يدرك •• أن التقارب بين الاســـلام والمسيحية واليهودية •• لا يمكن أن يكون الا على حساب الاسلام •• لأنه الوحيد الدين الصحيح وغيره محرف ولابد فى التقريب من تنـــازل وتنازل المحرف لا يضيره ! •• أما تنازل الصحيح فانه يضيره ويضره كل الضرر ! !

ولعله لم يدرك أن المشركين حاولوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التقارب حين قالوا له نعبد الهك يوما ، وتعبد آلهتنا يوما •

فأنزلها رب السماء والأرض قاطعة حاسمة •

« قل يا أيهـــا الكافرون

لا أعبد ما تعبــــدون

---

(١) المرجع الاخير .

ولا أنتم عابدون ما أعبد
ولا أنا عابد ما عبدتم
ولا أنتم عابدون ما أعبد
لكم دينكم ..
ولى دين ..

ولا أدرى هل قرأ « سيد العقلاء » ما كتبه أحد أعضاء جمعيتـــه تحت عنوان « الاسلام والمدارس المحمدية » التى جاء فيها « واحسان المسلمين لمواليهم ، واشفاقهم على البهائم التى ترجع أيضـــا الى الرب ، وانفاقهم فى سبيل الخير ، والسذاجة التى هى من خصال المؤمنين الصادقين أحرى بأن تميلنا اليهم ، من أن نصيح « النبى الكاذب » .

وما أحسن عمل مبشرينا (!!) لو جاهدوا فى التوفيق بين الاسلام والمسيحية توفيق أختين من أم واحدة »[٢] وهكذا .. أعطى الامام من « السذاجة » ما يرغب فيه المبشرون !!

وقفـــة :

ولسنا نحاسب «الامام» بعد ذلك على انضمامه للمحفل الماسونى الفرنسى فنحسب أنه فى ذلك التاريخ لم يكن من الناس كثير يدرك حقيقة المـــاسونية ، وحقيقة الدور الذى تلعبه ، ولم يكن .. نيلوس .. قـــد نشر « بروتوكولات حكماء صهيون » التى صرحت باستخدام الماسونية لتحقيق أهداف اليهود ، وان أدرك نشرها فى روسيا فربما لم يدرك نشرها فى انجلترا .. ولم تكن بالقطع قد ترجمت الى اللغة العربية .. لأن هذه الترجمة لم تتم الا بعد ذلك بكثير ..

لا نحاسب الرجل على هذه النقطة.. خاصة وأن الماسونية لا تكشف عن حقيقتها لأعضائها الا فى درجة سحيقة من درجاتها الثلاثة والثلاثين .

---

(١) للمفتش الانجليزى جى ديلو اينتر — بجريدة الديلى تلغراف اللندنية فى ٢ شـــباط ١٨٨٨ وراجع تعليقا على ذلك للاستاذ غازى التوبة — الفكر الاسلامى المعاصر — دراسة وتقـــويم .

ولا نحسب الرجل أشد حذرا من رئيس عربى •• ظل ينتسب لمحفل ماسونى حتى بعد أن صار « زعيم ثورة » و « رئيس دولة » •• فلما فاحت •• أمر بحل كل المحافل الماسونية فى بلده !

وأما الذى نأخذه على الرجل العالم :

أولا : اقتصاره من الاسلام على الاصلاح عن طريق التعليم فالاسلام — كما سنشير — ليس مجرد ثقافة فقط لكنه منهاج تربية ، ومنهاج حياة وليته فى هذا الجانب استطاع أن يصلح !!

ثانيا : ان الرجل وهو فى موضع القدوة للمسلمين مالأ « الكافرين » الذين غصبوا الديار وما بعد الديار !

وانكار القلب ان كنا نكتفى به من الشيخ الامام •• يفرض مع الانكار « الاعتزال » والا ••فقد السلامة من الاثم والبراءة من الذنب• فليس وراء ذلك النوع من الانكار حبة خردل من الايمان •

ولا ندرى •• هل كان الامام يحفظ •

«يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ، ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ••

ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » ••

وهل قرأ غيرها من الآيات فى نفس المعنى أم أن له فيه تأويلا كتأويله فى الملائكة أو فى سجودهم أو فى معصية آدم أو فى خلق عيسى عليه السلام أو فى الجن ، أو فى السحر •• أو غير ذلك مما أعمل فيه عقله (الكبير) •• ليقول « بالرأى فى كتاب الله ؟ !! » •

لقد مضى الرجل الى ربه فنترك له حساب سره وعلانيته •

لكننا ازاء الظاهر •

وعمره الذى أفنى فى محاولة اصلاح التعليم .. بلوغا الى مقاومة الاستعمار أو الى النهوض بالاسلام .. لا نملك الا أن نتلو قول الله :

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا :

الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا

وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا[١] !

ونترك من قبل ذلك .. ومن بعد ذلك حسابه على الله .. لكننا نسوق ما نسوق ليعتبر أولوا الأبصار .. ويتذكروا أولوا الألباب ..

فلا تتكرر الصورة مرة أخرى .. !

---

(١) الكهف « ١٠٣ » و « ١٠٤ » .

الفصل الثاني
محاولة لخط إسلامى أصيل

المبحث الأول

ضلال وقصور

أولا : ضلال الاتجاهات الدخيلة :

لقد نقل « البعض » عن الغرب •• علمانية •• فى التعليم والاعلام وفى القانون ••

ونقلوا منه « تحرير المرأة » من بيتها ومن زيها ••

ونقلوا عنه اضعاف دور الدين واضعاف رجاله ••

وظنوا ذلك طريق المدنية والتحضر والنهضة •

فهل تحقق لهم ذلك •• ؟

ان المنطق أولا يرفض ذلك النقل « الآلى » •

ان شخصين قد يمرضان بمرض واحد •• ومع ذلك يعرضان على طبيب واحد •• فيقضى لكل مريض منهم بدواء مختلف عن الآخر •

وان نباتا واحدا •• قد يزرع فى أرضين •• كلاهما خصبة •• فتنبت الواحدة وترفض الأخرى وان شخصين •• فى سن واحدة •• ودرجة ثقافة واحدة •• قد يلقنان علما أو عقيدة فيورث أحدهما جهلا والآخر علما •• ويورث أحدهما ايمانا والآخر كفرا !!

ان الشعوب تماما كالأشخاص •• لأنها مجموعة أشخاص ••

ما يطب شعبا •• قد يمرض شعبا آخر •

وما يعلم شعبا •• قد يورث الآخر جهلا •

وما يدفع شعبا الى الايمان •• قد يدفع الآخر الى الكفر والفسوق والعصيان !

بل ان النبات ليأخذ بالاختيار فيتخير من عناصر التربة ما يصلح له •

فما يختاره النخيل قد لا يختاره شجر البرتقال •• وهكذا ••

فهل يؤتى النبات « فطرة » الاختيار •• ويفقد الانسان الذى أوتى الارادة قدرة الاختيار ؟؟

ثم ان « الاصالة » ترفض ذلك النقل •

فالشعوب الأصيلة تستمسك بما لديها من « تراث » •• باعتباره أحد عناصر استقلالها ••

بل أهم عناصره •• وهى — حتى تحت الهزيمة قد تستمسك به ••

ولدينا مثل من الأمة الاسلامية الأولى •

حين غلبت على أمرها أمام زحف التتار •• رفضت أن تأخذ بالياسق الذى وضعه الغالبون جزءا من شريعة جنكيزخان •• وجزءا من شريعة الاسلام وأجزاء من شرائع أخرى ••

ومثل من الأمة الألمانية •• والأمة اليابانية •• لم يفقدا برغم الهزيمة المرة العناصر المميزة لشعوبهما • ولم يذهبا الى نقل كل وارد من غير تمحيص •• وها هى الامتان •• تعودان أقوى مما كانتا •• تعودان لتقرضا أغنى دول العالم ، ولتنشرا على مستوى العالم كله منتجاتهما !!

والاسلام بعد ذلك يرفض ذلك النقل الأعمى •

لأنه هو الأعلى •• والأعلى لا يمد اليد لمـــا هو أدنى •

لأنه الطيب •• والطيب لا يستبدل به الخبيث •

لأن عنده ما ينفع الناس •• ولا يستبدل بما ينفع الناس الزبد أو الغثـــاء •

ولا يتسع المجال لندلل من النقل والعقل •

أن الاسلام هو الأعلى

وهو الطيب

وأن عنده ما ينفع الناس •

فنحسب أنه لا ينكر على الاسلام ذلك •• الا معاند •• أو جاهل •• وفى الاعراض عن كليهما •• خير •• أى خير ••

والماركسية فى منهجها الأخير تحاول أن تقيم صلحا بينهـا وبين الاسلام ، والكفر والايمان لا يصطلحان •• والشر والخير •

لا يتقـاربان ••

ولا يجتمعان ••

ومن ثم كانت دعوة مرفوضة •• غير مشكورة ••

ولتبحث لها عن دين آخر ••

يقبل الصلح أو التقارب أو الاجتماع •

فلقد شب أبناء الاسلام عن طوقهم •• ولم يعودوا يقبلون ذلك « التغفيل » أو « التضليل » •• والماركسية بتراجعاتها الكثيرة فى مجال النظـرية :

فى التفسير المـادى للتاريخ

وفى مفهوم المـادة ذاته •

وتراجعاتها الأكثر فى مجال التطبيق العملى :

بعد عدولها الجزئى عن الغاء الملكية •

وبعدولها المرحلى عن الغاء الأسرة •

وبعدول بعض أجزائها الأوربية عن مبدأ دكتاتورية البروليتاريا •

وبعدولها المرحلى « التكتيكى » عن الهجوم على الدين •

وبأخذها عن « الرأسمالية » نظرة الحوافز •

وبمهادنتها للنظم الرجعية •• بل اعلانها الوفاق مع بعضها ••

كل ذلك ..

لم يعد معه من المقبول ــ علما ومنطقا ــ أن نقول بوجود « النظرية الماركســية » .

وأخــيرا ..

فماذا فعلت الماركسية .. حين أعطيت لها « القيادة » فى بعض البلاد الاسلامية هل حققت تقدما اقتصاديا ..

الواقع الأليم يحكم على الاشتراكية والاشتراكيين .. بالخراب .. كل الخراب .. هل حققت تقدما سياسيا .

فى ظل توجيهاتها العليا كانت أكبر محنة للشعب المسلم فى المنطقة .. حين استذلته واستعمرت أرضه .. أذل أمة فى الوجود ..

هل حققت تقدما اجتماعيا ..

ليس .. سوى التمزق بين أبناء البلد الواحد ، بل بين أبناء الأسرة الواحدة .. من اتهامات باليمينية ، والامبريالية .

وغيرها من الألفاظ والمصطلحات الرنانة ..

ثانيــا ــ قصور بعض الاتجاهات الاســلامية :

ماذا فعلت بنا الاتجاهات الاسلامية التى عرضنا لها : من اقتصار على العقيدة الى اقتصار على النسك ، الى اقتصار على محاولة اصلاح التعليم ؟ ؟

كلها .. باقتصارها على جانب واحد أشبه .. بجيش جرار .. معه سلاحه وذخيرته لكنه يقف مكانه يحرك رجليه ..

وليس له ثمة تقدم يذكر .

أنه يسير مكانه .. والعالم كله يسير الى الامام .

أو هى من ناحية أخرى .

تقيم جزءا من البناء .. وتهمل الباقى .

فما يتكون البناء المتكامل الذى يشد بعضه بعضا .

وما يكون نصيب الجزء الذى بنى الا أن تعشش فيه الغربان .. وتأوى اليه الحشرات ..

فلا يلبث أن يبدو بعد حين كريها لكل ناظر ..

والاسلام أعز من ذلك وأكرم ..

اذن فأين الطريق ؟ ؟

المبحث الثـانى

أين الطـريق

من ابتغى نباتا طيبا •• فلابد له من أمرين رئيسيين :

تربة طيبة •• وبذرة طيبة •• والباقى عوامل مساعدة •

والتربة الطيبة فى رأينا هى الانسان كله ••

والبذرة الطيبة — فى رأينا — هى شريعة الله كلها ••

فاذا أحسن زرع البذرة الطيبة فى الأرض الطيبة •• كان نبات طيب .••

كانت حضارة ونهضة يسعدان الانسان ويسعدان العالم كله •

ونتحدث عن كل عنصر بما يسمح به المقام •

أولا : الانسان كله

أشرنا من قبل الى أنه اذا كانت حضارات القرن العشرين أو بالأصح جاهلياته قد لجأت الى الآلة والى المصنع •• وجعلت الانسان فى الدرجة الثانية •

فان حضارة الاسلام •• تجعل الانسان فى الدرجة الأولى •• صانعا لها •• ثم هدفاً لها •• والانسان بلا شك — هو أكرم المخلوقات فى هذا الوجود •

ومن ثم كانت حضارة الاسلام باعتبار الانسان صانعا لها ثم هدفا لها •• أكرم حضارة فى الوجود وقضية تكريم الانسان وتفضيله على غيره من المخلوقات قد تبدو قضية بديهية ، بالنسبة لعصرنا لكنه قد أتى حين من الدهر لم يكن فيه الانسان شيئا مذكورا ••

حتى لقد استعبد فى فترة وخضـع للبيـع والشراء فى سـوق النخاسـة •

واستعبدت المرأة فى فترة وكان ينظر اليها على أنها متاع •• كسائر المتاع فى البيت •• وكانت تورث من بين ما يورث من الأشياء •

ولا تزال المرأة فى حضارات كثيرة مستعبدة وان علقوا على رأسها لافتة الحرية •• لا تزال تباع وتشترى فى سوق الرقيق الأبيض ، ولا تزال تعرض سلعة رخيصة فى كثير من الأماكن تبيع النظرة وتبيع البسمة •• وتبيع ما وراء ذلك بالدرهم والدولار !!

وفى زمن نظر الناس الى الملائكة على أنهم الجنس الأكرم •

ونظر آخرون الى الجن •

وجاءت كلمة الاسلام قاطعة •• « ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » •

وقصة سجود الملائكة لآدم التى حكاها القرآن •• ليست للتسلى ولا للتلهى « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب •• ما كان حديثا يفترى »(١) •

لكن البعض قال فيها بغير علم ، وتأول صريح ألفاظها ودلالاتها ، بما يخرجها عن معناها وهدفها ••

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين »(٢) •

وتكررت فى أماكن أخرى بألفاظ أخرى لكنها كلها من الوضـــوح بما لا يصرفها عن معناها الظاهر الى معنى خفى أو ملتو •• الله أمر الملائكة بالسجود لآدم •• والملائكة كلهم سجدوا •• الا ابليس •• أبى واستكبر وكان من الكافرين •

وسجود الملائكة على هذا النحو •• فعل حدث وتم •• وهو يعنى التكريم الذى أشارت اليه آيات أخرى •• بل هو أبلغ درجات التكريم ••

وتكريم الاسلام لآدم وبنيه •• ينصرف بلا شك الى الجنسين •• الذكر والأنثى •• وهذا التكريم اقتضى صيانة « الانسان » •• ولذا كانت صيانة « دمه » و « عرضه » و « ماله » •• بل يبلغ التكريم والصون

---

(١) يوسف ١١١ .
(٢) البقرة ٣٤ .

غايته ومنتهاه حين يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ناظرا لبيت الله المحرم الذى زاده الله تشريفا وتكريما « ما أعظمك » و « أعظم حرمتك » •• لحرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة بيته المحرم •• حضارة القرن العشرين شهدت على أيدى بعض أدعيائها ممن جعلوا حرمة المؤمن دون حرمة الكلاب •• فاهدروا جسده ، ودمه ، وماله ، وعرضه •• وحرموه من أدنى الحقوق بل أدنى الضرورات •• حرموه أن يقضى حاجته، وحرموه أن يسد رمقه !! قد يقال •• وكل حضارات الدنيا لم تقم ولا يمكن أن تقوم بغير الانسان •

ونقول •• ولكنها لا تجعله من الدرجة الأولى •

ولا تنظر اليه نظرة الاسلام •• كلا لا يتجزأ •• أشرف ما فيــه قلبــه ••

الانســان كله :

فى هذا تفترق حضارة الاسلام عن سائر الحضارات •• انهــا لا تنظر للانسان كجسد •• وحسب •• كما تفعل الحضــارة المــادية شرقية وغربية نزوعا الى ذلك المستوى الهــابط الذى صور به فرويد الانسان مجموعة غرائز تتحرك •• أو نزوعا الى ذلك الأصل الهــابط الذى تدرج به دارون الى أن يجعل أصل الانسان قردا أو ما وراء ذلك ••

حضارة الاسلام •• لا تغفل واقع الانسان أنه جسد ••

لكنها لا تغفل الجانب الآخر من الواقع •• ان له روحا ••

ان له عقــلا •• وقلبــا ••

وهى تبدأ مع الانسان •• وفى هذا تفترق — عن سائر الحضارات من أعز مكان فيه وأشرفه •• من قلبه •• فتودع فيه العقيدة والايمان ••

وبهذا تكون نقطة التحول للانسان •

بهذا يبدأ الانسان معراجه •• الى حضارة المثل والقيم والأخلاق •

ولا تغفل بعد ذلك بقية القوى فيه ••

ان لربك عليك حقا

وان لبدنك عليك حقــا

وان لزوجك عليك حقــا

فاعط كل ذى حق حقه

ويتحقق فى الانسان « المسلم » التوازن المفقود عند غيره ..

فلا الجسد ولا حاجاته يطغى فينقلب الانسان الى حيوان تسيره غرائزه ..

ولا العقل ومنطلقاته يطغى فينقلب الانسان الى خيال بعيد عن الواقع والحياة .

ولا القلب وأشواقه يطغى فينقلب الانسان الى راهب ينقطع عن الدنيا وما فيها .. وانما كل يسير بقدر .. كما أن كلا خلق بقدر .

كل يسير فى فلكه المرسوم ..كما تسير الكواكب فى فلكها المرسوم .

« لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون »[1] .

أما القدر الذى يسير قوى الانسان

وأما الفلك المرسوم الذى يسير فيه

فهو هذه الشريعة التى أنزلها الله له

وفيها هذا النظام الرائع المحبوك .. الذى لا يقل روعة عن نظام هذا الكون المتناسق الغريب ..

وحين تختل القوى أو تطغى .. ففى توجيهات هذه الشريعة وأوامرها ونواهيها .. ما يرد الأمر الى توازنه .. ليعود كل يسير بقدر .. وليعود كل الى فلكه المرسوم بغير طغيان ولا خسران .. بغير افراط ولا تفريط .

ثانيا : الشريعة كلها

الانسان هو التربة الطيبة

والشريعة هى البذرة الطيبة

ومنهما .. يكون النبت الطيب باذن ربه ..

ومنهما .. تكون حضارة المثل والقيم والأخلاق ..

---

(١) يس ٤٠ .

ومحاولات النهضة الاسلامية السابقة •• لم تؤت ثمارها المرجوة •

اما لأنها اقتصرت على جانب فى الانسان تقيمه وتزكيه ، وأهملت بقية الجوانب •

وكما قدمنا •• فالانسان كل لا يتجزأ •• ومخاطبة جانب فيه يخل بالتوازن الذى أودعه الله فى هذا الانسان •• كما أودع التوازن فى الكون كله ••

« والسماء رفعها ووضع الميزان •• الا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان[1] » •

وبالنسبة للشريعة فالذين اقتصروا على العقيدة كما قدمنا اقتصروا على أساس وتركوا بقية البناء •

والذين اقتصروا على النسك •• اقتصروا على أعمدة وتركوا بقية البنـــاء •

والذين اقتصروا على التعليم •• أخذوا جانبا وتركوا بقية الجوانب •

وشريعة الله بناء متكامل يشد بعضه بعضا •

أساسه : عقيـــدة

وأخـــلاق

وعمده : شعائر ونسك

وبقية أركانه وجوانبه : أوامر ونواه وتوجيهات تشمل جميـــع الحيـــاة •

ونشير فى ايجاز لهذه الجوانب •• ثم نشير الى أنها لا تقبل التجزئة ولا التفرقة ثم نختم بحثنا بتساؤل ••

كيف نقيم بناء الشريعة فى النفس وفى الناس ؟؟

هذا ما نجيب عليه بمشيئة الله فى الفصل الثالث تحت عنوان جوانب شريعـــة الله •

---

(١) الرحمن ٧ ـــ ٩ •

الفصل الثالث

جوانب شريعة الله

كان من نتائج ابعاد شريعة الله عن حياة المسلمين،وابعادهم عنها.. ان اختلفت نظرة الكثيرين اليها .. حتى المخلصين الراغبين اليها ..

وكان كل من قبس منها قبسا ... ظن ذلك هو الاسلام أو ذلك هو الشريعة ... فراح يعكف عليه وحده .. ويدعو اليه وحده ..

بيد أن شريعة الله كل لا يتجزأ ...قد نقبس منها قبسا.. لكننا لا نقف عنده . بل نحاول أن نحيط بالنور كله .. ليكون فيه الخير كله ..

ولسوف نرى فيما بعد ان شاء الله ... ان تجزئة شريعة الله .. قد تكون فتنة تماما كمنعها كلها ... بل ربما أشد ...

من هنا كانت أهمية محاولة الاحاطة بجوانب هذه الشريعة .

وأولى هذه الجوانب وأشرفها هو العقيدة .

وثانيها المكمل لها .. هو الأخلاق .

ومن هذين يصطبغ المسلم بصبغة الايمان ...

لكن لابد من صقله وتنمية هذا الايمان بالشعائر والنسك .

ثم باتباع سائر أوامر الله فى سائر جوانب الحياة .

ونشير لكل جانب بكلمة :

المبحث الأول

العقيدة والأخلاق والشعائر

أولا ــ جانب العقيــدة :

العقيدة أشرف جوانب الشريعة .

ولذا كانت تخاطب أشرف جزء فى الانسان .. تخاطب قلبه .

وبقيامها فى قلوب الناس ... يقوم أساس هذه الشريعة متينا قويا .

« أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار .»[1] ..

وقد أشرنا ــ فى معرض الحديث عن الاتجاهات القاصرة ــ الى أن عقيدة الاسلام متمثلة فى الكلمة الطيبة : لا اله الا الله .

وهى بهذا كما أشرنا تتضمن نفيا ثم اثباتا .

نفيا يقتضى اسقاط كل صفات الألوهية والربوبية عن سوى الله سبحانه وتعالى .. من طواغيت بشرا كانت أو حجرا ...

ولا نحسب الانسانية ــ بعد أن شبت عن طفولتها ــ ترتد مرة أخرى الى جاهليتها الأولى لتعطى بعض صفات الألوهية أو الربوبية لوثن أو صنم ..

لكنها لا تزال ــ حتى اليوم ــ تتردى فى اعطاء بعض هذه الصفات للبشر .

فتعترف لهم بحق وضع « منهاج الحياة » .

كما اعترف الماركسيون بهذا الحق لماركس ومن جاء بعده .

---

(١) التوبة ١٠٩ .

ليفسروا لهم الكون ، والتاريخ ، والاقتصاد ••• ويضعوا لهم منهج السياسة والاجتماع والاقتصاد •

وكما اعترف غيرهم بهذا الحقلبشر مثلهم •• يشرعون لهم«قيمهم» و « مثلهم » •

وقواعد مجتمعاتهم وسائر جوانب حياتهم •

وتردت من ورائهم الأمم الاسلامية •• تأخذ عن هؤلاء •• القيم والمثل والأخلاق والسلوك وسائر مناهج التعامل بين الناس وفى مقدمتها القوانين •••

ونسيت هذه الأمم انها بهذا تتخذ أربابا من دون الله تعطيها بعض صفات الله وبعض حقوقه تزعم انها آمنت بالله •• وهى تتحاكم الى هذه الطواغيت : من قيم ومبادىء وقواعد وتشريعات وايمانها يقتضى أولا اسقاط هذه الطواغيت •

عقيدتها تقتضى أولا اسقاط هذا الحق •• عن تلك الطواغيت •••

واثباتا : يقتضى الاقرار بكل صـــفات الربوبية والألوهية لله وحـــده •

وبذا تقوم عقيدة الاسلام واضحة قوية فى قلوب المسلمين •••

يقوم الأساس متينا •• ليصح من بعده ومن فوقه بقية البناء •••

ثانيــا ـ جانب الأخــلاق :

وهذا جانب يغفل عنه الكثير ••• من المصلحين ومن الدعاة •••

مع أنه فى ميزان الاسلام •• يقف الى جانب العقيدة ••• ليقيم الأســاس •

وكيف لا •• والرسول يجعلها غاية لابتعاثه « انما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق »[1]

وكيف لا •• وقد ظل الرسول صلى الله عليه وسلم يربى المسلمين عليها مع العقيدة أكثر من نصف حياته « الرسالية » •

---

(١) رواه مالك •

وكيف لا •• وبها انتشرت دعوة الاسلام فى أكثر من نصف الأرض التى فتحها الله على المسلمين •• لما رأى الناس من أخلاق تجار المسلمين فى معاملاتهم ••

وكيف لا •• وبها يصير المسلمون « مثلا » تتحرك و « قيما » تسعى على الأرض ويسعى نورها بين أيديها وبأيمانها ؟؟

وكيف لا •• وقد كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، وكان بهذا الخلق أشرف من خلق « وانك لعلى خلق عظيم »[1] •• « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »[2] •

وأمرنا أن نقتدى بهذا الرسول فى خلقه العظيم •

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر •

وذكر الله كثيرا[3] » •

ولئن اختلفت مذاهب العالم فى الأخلاق واختلفت فيها اهتماماتهم •

فان السمة الواضحة فى هذه المذاهب وتلك الاهتمامات انهم لا يضعونها فى المنزلة التى يضعها الاسلام •• أساسا مع العقيدة للبناء كله •

ثم هى عندهم ليست نابعة عن عقيدة ولا متصلة بعبادة •

بينما هى فى الاسلام كذلك •

فأما نبعها من العقيدة •• فهناك أمثلة منها ••

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه[4] » •

« والله لا يؤمن (ثلاثا) قيل من يا رسول الله — قال — من لا يأمن جاره بوائقه »[5] •

---

(١) القلم ٤ •
(٢) الجمعة ٢ •
(٣) الاحزاب ٢١ •
(٤) رواه البخارى •
(٥) رواه البخارى •

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ...

« انما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق .

« والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل .

« ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .

« والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم .. [1] .

وأما اتصالها بالعبادة .

فان اتيانها نفسه والاستمساك بها عبادة .

اسمع ان شئت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم[2] » .

أقربكم منى منازل يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ...

ما من شيء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن[3] » .

ثم انها بعد ذلك تزكو بالعبادة وتربو .

فالصلاة من بين غايتها تنمية النظام ، والطاعة ، والطهر والنظافة والعفة .. (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر[4]) « لو ان بباب أحدكم نهرا يغتسل منه فى اليوم خمس مرات أيبقى من درنه شيء .. [5] .

وأداؤها فى جماعة ينمى روح التعاون والتراحم والود والألفة .. فيتحقق قول الرسول صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد .. اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .. [6] » .

---

(١) الرعد ٢٠ — ٢٢ .
(٢) رواه ابو داود .
(٣) رواه احمد .
(٤) العنكبوت ٤٥ .
(٥) العنكبوت ٤٥ .
(٦) رواه الامام احمد ومسلم .

والصيام •• يزكى خلق الصبر ، والاحتمال ، والاحساس بالفقير والعطف عليه •

وينمى فى الوقت نفسه مراقبة الله فى السر كمراقبته فى العلانية •

مما يولد التقوى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ••)[1] •

والزكاة •• تطهير للنفس من شحها •

وتطهير للمجتمع من الأحقاد •

وتزكية لاخوة الاسلام والمحبة فى الله بين الغنى والفقير •

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم •• »[2] •

وهى •• حق فى مال الغنى ، وليست مجرد احسان ، ومن ثم ينتفى فيها ما قد يجرح الفقير •• « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »[3] •

وفى المـــال ـــ بعد ذلك ـــ حق سوى الزكاة ••

والحج •• فيه •• صبر •

وتطهر •• من الرفث والفسوق والجدال •

وفيه تنمية لروابط الأخوة بين المسلمين •

وتزكية للوحدة •• على •• الله الواحد •

والقبلة الواحدة •

والغاية الواحدة •

« الحج أشـــهر معلـــومات فمن فرض فيهن الحج ، فلا رفث ولا فسوق ، ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ••[4] •

---

(١) البقرة ١٨٣ •
(٢) التوبة ١٠٣ •
(٣) المعارج ٢٤ • و ٢٥ •
(٤) البقرة ١٩٧ •

وهكذا •• وهذه مجرد نماذج •

وأخلاق الاسلام بعد ذلك فيها الثبات •

فهى لا تتغير بتغير الأزمنة •

ولا تتأثر بالظروف ولا المصالح •

وهى ترتفع بالمسلم الى مستوى من « المثل » لا تدانيه أية قيم أرضية أخرى •

ومن هنا وجب أن يربى عليها المسلمون ، كما يربون على تقوى الله سواء بسواء •••

ثالثا — جانب الشعائر :

العقيدة والأخلاق أساس •

ويأتى بعد الأساس : العمد •

والشعائر هى العمـد •

من هنا •• كانت صلتها وثيقة بالعقيدة وبالأخلاق •

فهى كذلك استمداد من العقيدة •

« ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب »(١) •

ثم ان العقيدة تربو بالشعائر وتزكو •

ومن هنا كان قول السلف •• الايمان يزيد بالطـاعات وينقص بالمعاصى •

وبينها وبين الأخلاق تأثير متبادل •

فحسن أدائها •• تزكو به الأخلاق وتربو — على نحو ما أشرنا •

كذلك الأخلاق تؤدى الى حسن أدائها •

فمن كان ذا وفاء •• فهو مع الله أوفى •

ومن كان ذا صدق •• فهو مع الله أصدق •

ومن كان ذا أمانة •• حفظ أمانة الله أول ما يحفظ •

وهكذا ••

---

(١) الحج ٣٢ •

المبحث الثانى

بقية الجوانب

وهى ما تعالج بعد العقيدة والأخلاق والشعائر •• جوانب الحياة توجيها وتشريعا ابتداء من الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع •• وفى المجتمع كل نواحيه سياسية واقتصادية واجتماعية ولئن فصل الاسلام فى ثبات ووضوح جوانب العقيدة والأخلاق والشعائر فانه فى بقية الجوانب فصل ما لا يتغير •

وأجمل ما يتغير •

فمن أمثلة ما لا يتغير •• جوهر الانسان وما يتصل به من زواج وطلاق وميراث •• فقد فصل كل ذلك تفصيلا وافيا •• يعترف فيه بالواقع ثم يعرج بعد ذلك الى معراج المثل والقيم التى يحرص عليها وما يثيرونه حول هذه القضايا انما هى شبهات •• يثيرها جهل بالاسلام • أو حقد عليه •• وليس هنا مكان العرض لها ••

ومن أمثلة ما يتغير : الظروف السياسية والاقتصادية •

ولذا رسم الاسلام فيها الخطوط الرئيسية •

وليس معنى ذلك — كما يتفوه البعض — ان ليس للاسلام نظام سياسى أو نظام اقتصادى فان الاسلام يرسى المبادىء والاطار العام•

ويضع الخصائص العامة المميزة لهذا النظام الربانى •

ثم يدع لاجتهاد الانسان تبعا لتغير الظروف تفصيل بقية الأحكام •

ولنأخذ النظام الاقتصادى والنظام السياسى كمثلين نؤيد بهما قولنا السابق ، ونرد بهما ردا عمليا على أولئك الذين يستوردون لنا النظم السياسية الاقتصادية بمقولة ان الاسلام لا يتضمنهما •

النظام الاقتصـــادى الاسلامى

قد يحتاج النظام الاقتصادى الاسلامى الى حديث طويل • وقد يحتاج الى مقارنة مع أنظمة متعددة شرقية وغربية •• ليس من قبيـل مقارنة المثيل بالمثيل •• ولكن قريبا من مقارنة الظلام والنور ، والظل والحرور •• وبضدها تتميز الأشياء لكن حسبنا فى هذا المقام أن نرسم الخطوط العريضة •• لندع للدراســة الواســعة المتأنيــة التفصــيل بمشيئة الله •

ويكتفى بالحديث عن أمرين :

١ ــ خصائص النظام الاسلامى الاقتصادى •

٢ ــ الخطوط الرئيسية للنظام الاقتصادى الاسلامى •

وان كان الفصل بين الأمرين •• مجرد فصل نظرى ••

أولا : خصائص النظام الاقتصادى الاسلامى

١ ــ نظـــام ربانى

بمعنى أن مصدره هو الله سبحانه بما جاء فى كتابه أو فى ســـنة رســـوله •

أو ما أجمع عليه العلماء المسلمون •

أو ما كان سابقة ناجحة فى نظام الحكم الاسلامى •• لأنها مستقاة أولا من معين ربانى ، ولأنها ثانيا •• اجتهاد صـــحابة أو تابعين لهم باحسان •• يغنى عنها اجتهادنا لو بلغنا الى أفضل مما بلغوه !

وربانية النظام تجعل له سحرا آخر •

أولا : انه يستثير فى النفس وازعا لحفظه وحمايته أقوى من كل وازع•

فلا تحتاج الى كثير من الأجهزة الثقيلة المعقدة التى أثقلت بهـا كواهل الشعوب ، وأثقلت بها ميزانيات الدول ، وثقلت بهـا صــدور النــاس !

ومن هنا ندرك الفارق بين حصيلة الزكاة على عهد عمر بن عبد العزيز

التى وفت كل المحتاجين من الفقراء والمساكين ، ثم العاملين عليها ، ثم بقية المصارف الأخرى حتى بلغت الى الغارمين ، فسددت الدولة عن المدينين ديونهم .

ندرك الفارق بين مثل هذه الحصيلة ومجموع حصيلة الضرائب كلها المتعددة التى لا تكاد تسد مصرفا واحدا من هذه المصارف !

ثانيا : تجعل احترامه والخضوع له من المحكوم ومن الحاكم على السواء لأنه من مصدر فوق هذا وذاك وأعلى وأسمى .

ثالثا : يتحقق التكامل بين النظام الاقتصادى والنظام الاجتماعى والنظام السياسى لأن الكل من مصدر واحد .. والتجزئة بينها غير جائزة !

٢ ــ انتفاء النــدرة

مشكلة المشاكل فى النظم الاقتصادية المعاصرة هو ما يتناولونه تحت عنوان الندرة ويقصدون به قلة الموارد بالنظر الى تزايد النـاس أو ما يصطلحون عليه بالانفجار السكانى .

وهذه المشكلة .. لا وزن لها بل لا وجود لها فى النظام الاسلامى .

أولا : لأن هذا النظام تقوم عقيدة أصحابه على « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين[١] » ، وعلى أنه « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها »[٢] .. وعلى أن الله قسم الرزق كما قسم الأجل ، وان الرزق ليطلب المرء كما يطلبه أجله .

ومن ثم فلا يمكن أن يأتى وقت أو يوجد مكان تحقق فيه الندرة اللهم الا أن يكون الأمر عقابا من عند الله « ولقد أخذنا آل فرعون بالسـنين ونقص من الثمرات[٣] » . وكلما أقبلت الأمة على الله .. كلما زاد لها فى رزقهـا .

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض »[٤] .

---

(١) الذاريات ٥٨ .
(٢) هـود ٦ .
(٣) الاعـراف ١٣٠ .
(٤) الاعراف ٩٦ .

« استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا »[1] .

أضف اليها بعد ذلك قول الحكيم الخبير « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »[2] . فنعمة الله ليست نادرة بل هى أعظم من أن تحصى.

ثانيا : من ناحية الواقع

فان واقع الأمة الاسلامية يؤكد أمرا هاما .. انها ان عادت أمة واحدة ، وعادت الى ربها فلا يمكن أن تتحقق فيها ندرة أبدا ..

— ان المنطقة الاسلامية أخصب بقاع الأرض زراعيا ..

— وأغنى بلاد الأرض بالمواد الأولية ، وفى مقدمتها أنفسها ، الذهب واليورانيوم والبترول .

— وهى أوسط بلاد العالم موقعا .. تجاريا واستراتيجيا . اذ تشرف على منافذ البحار والمحيطات ويمكن لها أن تتحكم فيها ، وهى من ناحية أخرى تقع فى مكان وسط بين قارات العالم . وهى من ناحية ثالثة أكثر البلاد اعتدالا وصلاحية لكل أنواع الانتاج .

ومن ثم فان صح أن توجد الندرة فى الشرق أو فى الغرب بذنوب أهله وعصيانهم ، وبافتقاد المكان الذى حبا الله به أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

— فانه لا يصح بالنسبة للأمة الاسلامية اذا عادت مرة أخرى أمة الاسلام ؟

٣ — ابتغاء الآخرة .

وقد كان يصح أن تكون هذه هى الخصيصة الثانية .. لكنا فضلنا أن نشير الى الربانية ثم الى الندرة .. باعتبار الأولى صبغة هامة عامة وباعتبار أهمية الثانية عند أهل العصر ومخالفة الاسلام لها ..

---

(١) نوح ١٠ — ١٢ .
(٢) ابراهيم ٣٤ .

أما ابتغاء الآخرة فهى خصيصة هامة .. وتأخيرها لا يقلل من أهميتهـــا .

وابتغاء الآخرة يخفف كثيرا من غلواء الأنظمة القائمة التى تتعامل وكأنه ليس فى الحياة الا المـــادة .

وكأن ليس بعد الدنيا آخرة .. يحاسب فيهـــا المرء « فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى .. وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى[1] .

الدنيا .. انما تصير الدنيا .. وسيلة لا غاية ، مرتقى وليست منتهى ، طريقا الى هدف وليست هدفا فى ذاتها : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة .

ولا تنس نصيبك من الدنيـــا

وأحسن كما أحسن الله اليك

ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفســـدين .. »[2] .

وهكذا يتضح .. وضع الاقتصاد ..

ان الاهتمام به واجب

لكنه لا يلهى عن الآخرة

لأنه نفسه طريق الى الآخرة

واذا ابتغى الانسان الآخرة فى اقتصاده .. فردا كان أو دولة وسار على الطريق الذى رسمه الاسلام .

فانه بلا شك يؤدى عبادة من أجل العبادات .. لأن العبادة ليست قاصرة على النسك والتعبد .. انما تشمل كل أنشطة الحيـــــاة وكل مجـــالاتها[3] .

---

(١) النازعات ٣٧ — ٤١ .
(٢) القصص ٧٧ .
(٣) راجع الايمان الحق — للدكتور على جريشة .

٤ ــ التــوازن :

وهذه الخصائص المتقدمة تفضي الى ما يسمى بالتوازن الاقتصادى.

وقد كان ذلك يكفى لنقول أن النظام الاسلامى الاقتصادى يقــوم على التوازن :

لكن الاسلام أكد هذه الخاصية بأكثر من سبيل :

فجعل التوازن أمرا ملزما للفرد :

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط »[١].

وجعلها بعد ذلك صفة للجماعة لازمة :

«والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما[٢]»

ثم جعلها أخيرا صفة للأمة التى أضفى عليها الخيرية فى مكان آخر :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »[٣] . وهكذا تكتمل حلقة التوازن .. أمرا .. وتوجيها .. ومن قبل ذلك نتيجة لازمة لخصائص أخرى !

وبهذا ينفرد النظام الاقتصادى .. عن أنظمة كثيرة تعانى انعدام التوازن !

٥ ــ النظام الاقتصادى الاسلامى يرفض الترف :

قد كان يكفى أن نقول انه متوازن ..

فهو يعنى أنه يرفض الاسراف ، والترف قمته !

لولا أن الله ينص على الترف ..

جعله قرين الفسق .. أو جعل الفسق نتيجته .. وجعل الهلاك والدمار عاقبته . « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففســقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »[٤] ومعنى الآية الكريمــة

---

(١) الاسراء ٢٩ .
(٢) الفرقان ٦٧ .
(٣) البقرة ١٤٣ .
(٤) الاسراء ١٦ .

أمرنا مترفيها •• أن يرجعوا ويلتزموا •• لكنهم أبوا وفسقوا •• فكان الهلاك والدمار •

وفى القراءة الأخرى بتشديد الميم •• تعنى معنى آخر • انه اذا كان الأمر الى المترفين •• فسلام على الأمة •• انها لابد هالكة ! لأنه اذا اجتمعت السلطة مع الترف •• فانها لا تنتج غير الفسق ، ولا ينتج الفسق الا الهلاك والدمار[1] •

ولقد يكون الهلاك والدمار فى صورة آية من آيات الله التى أهلك بها أمما من قبل قال فيها « وكأى من قرية عتت عن أمر ربهـا ورسـله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا ، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا »[2] •

كما قد يكون بتسليط أعداء الله عليها ••ليذيقوها ألوانا من العذاب والهوان والاذلال أو لتنقلب من الرأسمالية الطاغية التى يتحكم فيها الترف والمترفون •• الى النقيض من ذلك الى جحيم الشيوعية التى يتحكم فيها السفلة والكافرون !

ان الشىء اذا زاد عن حده انقلب الى ضده !

الترف يؤدى الى ضرر اقتصادى هام • انه اذا شاع أدى الى زيادة الاستهلاك على الانتاج وأدى الى التضخم •• وما يترتب على ذلك من اختلال التوازن الاقتصادى ، وحدوث الأزمات الاقتصادية •

وذلك كله فوق الأضرار الاجتماعية الخطيرة التى يؤدى اليها •

وفوق الأضرار السياسية •• وفى مقدمتها تمكن الشيوعية الكافرة من بلاد المترفين !

وجماع هذه الأضرار أو نتيجتها هو ما أكده القرآن : الهـلاك والدمار • فليحذر المترفون •

وليحذر الساكتون على المترفين •

---

(١) ورد الحـديث عن الترف فى آيـات اخرى « بـأن جملت المكذبين من المترفين •• وما ارسـلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون سبأ ٣٤ » وبعضها جمل المترفين من أهل النار « انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم » الواقعة ٤٥ ، ٤٦ •

(٢) الطلاق ٨ ، ٩ •

ان الهلاك والدمار يقترب منهم ..

فوق هلاك ودمار أشد وأكبر .. انه الجحيم يوم القيامة !

وخير للمترفين أن يضحوا بشيء .. قبل أن يحرموا كل شيء ..

وخير لهم أن يملأوا أنصاف بطونهم .. قبل أن تملأها الزقوم وشراب الجحيم .. (كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم)[1] .

* * *

وحسبنا هذه الخصائص الخمس لننتقل الى الحديث عن الخطوط العريضة للاقتصاد الاسلامى فانهـا اذا أزلنا الحاجز النظـرى كذلك خصائص !

* * *

ثانيا : الخطوط الرئيسية للنظام الاقتصادى الاسلامى

تنبع هذه الخطوط من التوازن الاقتصادى .. وصبغ الأنشطة الاقتصادية المختلفة بالصبغة الربانية .

ونكتفى بخطوط ثلاثة رئيسية :

١ ـــ ملكية متوازنة .

٢ ـــ حرية اقتصادية متوازنة .

٣ ـــ نظام مصرفى متوازن .

ونتناولها باذن الله على التوالى .

١ ـــ ملكية متوازنة :

تملك الانسان أمر فطرى .. حتى عدها علماء النفس احـدى غرائزه .

والغريزة فى علم النفس لا تقتل ، ولكن يتسامى بهـا ..

ومن ثم فلا سبيل الى قتل حب التملك فى النفوس .

والنظام الذى يفعل ذلك يقتل نفسه !

---

(١) الدخان ٤٥ ، ٤٦ .

ومن هنا كان الخطأ الرئيسى فى النظام الشيوعى النظـــرى .. الذى لم يستطع حتى الآن أن يطبق نظريته تطبيقا عمليا كاملا ، وان انتحل التعلات والمعاذير !

لكن اطلاق العنان لهذه الغريزة شأن اطـــلاق العنان لأية غريزه أخرى .. يهلك الانسان ويحطمه ، كما يهلك النظام كله ويحطمه .. ومن هنا كان خطر الرأسمالية الطاغية .. التى تطلق العنان للملكية حتى تغدو لونا من الاقطاع يسلب الناس ويستعبدهم ويأكل أو يشرب .. ثمرات جهودهم ، وقطرات جبينهم بل ويمتد الى قطرات دمائهم !

ومن ثم كان خطأ الرأسمالية أو المذهب الفردى ..

وبين هذا وذاك كان نظام الاسلام قواما ، وكان كذلك قواما .

والأمر أوسع من أن نعرض له فى هذه العجالة .

ان الملكية فى الاسلام معترف بها ..

لأن ذلك يؤدى قدرا كبيرا من انجاح النظام الاقتصادى ..

فان سلب العامل ثمرات جهوده بحرمانه من التملك ـــ يجعـــله والخامل سواء .. ومن ثم يركن النشاط الاقتصادى الى الركود .. ويضعف الانتاج .. ويتهدد البلد .. البطالة والمجاعة .. ومن بعـــدها الانهيار والهلاك !

وروسيا الاشتراكية مثل قريب .. فان انتاج روسيا لم يزد طوال خمسين عاما من الحكم الشيوعى القائم على اضعاف الملكية الفـــردية والمنادى بالغائها ـــ لم يزد عما كان عليه فى العهد القيصرى أكثر من ٤٪ فقد كان انتاجها فى العهد القيصرى ٤٦٪ من الانتاج الأمريكى ، وصار انتاجها فى العهد الشيوعى وبعد خمسين عاما من حكمه ٥٠٪ من الانتاج الأمريكى[١] .

فهل تستحق الـــ ٤٪ الزيادة .. كل هذا الفناء والافناء الذى أحدثه الحكم الشيوعى الغاشم ؟ !

وبلوغ الانتاج الروسى مثل الانتاج الأمريكى .. حلم قصرت دون

---

(١) مقومات الاقتصاد الاسلامى ـــ للاستاذ عبد السميع المصرى ـــ مكتبـــة وهبة ـــ ربيع الثانى ١٣٩٥ ـــ مايو ١٩٧٥ .

تحقيقه برامجها الاقتصادية المختلفة وخططها الخمسية والعشرية رغم الأمانى التى كانت تداعب ساستها وقادتها •• وكانوا يدغدغون بهـا عواطف الشعوب اللهثى •• والجوعى •• التى شقيت بفردوس الشيوعية الـكاذب !

لكن هذه الملكية المعترف بها للفرد فى النظام الاسلامى •• ليست طليقة من كل قيد بل ان كثيرا من القيود تحوطها مما يحقق انضباطها ، وبما يحقق أداءها لرسالة فى المجتمع يتحقق بها التوازن بين الفـردية والجماعيـة •

ولذا فالملكية تؤدى وظيفتين •

وظيفة فردية •• بما تحقق للفرد من اشباع ••

ووظيفة اجتماعية •• بما تحقق للمجتمع من فائدة •

وأول قيود الملكية ما أشرنا اليه سلفا من تحريم الترف •

ان الملكية المترفة مذمومة •• واذا بلغت هذا الحد فاما انتهى صاحبها من نفسه ، والا كان لولى الأمر أن يقومه والسوابق الاسلامية فى ذلك كثيرة •

ودفع المفسدة فى الاسلام مقدم على جلب المصلحة •

وتلك بعض غايات التشريع الاسلامى الحكيم •

ويلحق بالترف أمور أخرى حرمها الاسلام •• كالاحتكار ، والغش، والتطفيف فى الكيل والميزان •

ويلحق به كذلك الربا وهو آفة نفرد لها الحديث عند تناولنا للمصارف باذن الله • وهذه كلها فيها آثار كثيرة ومشهورة •

وثانى هذه القيود ما أقامه الاسلام من ألوان الملكية الجماعية •

وهى مرافق كان الاسلام أسبق فى تقدير جعل ملكيتها فى يد الجماعة لا الفرد •• لأن خيرها يعم الجميع ، وضرر تركها أو منعها كذلك يعم الجميع ، ومن ثم كانت الجماعة ـــ ممثلة فى أولى الأمر فيها ـــ أقدر على ادارتها لتحقيق غايتها •

والمثل التقليدى فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسـلم : الناس شركاء فى ثلاث :

المـاء والكلأ والنار ٠

لكن علماء المسلمين قاسوا عليه كل مرفق تظهر حاجة الجماعة اليه وأهمية ملكيتها له ٠

وثالث هذه القيود : نظام الميراث ٠

الذى قد يبدو لأول وهلة ٠٠ أنه نظام رأسمالى اذ يعتد بالملكيـة وينقلها الى ورثة صاحبها لكن المتأمل فيه يجده قيدا على الملكية ٠٠ اذ يجرى توزيعها وفق نظام دقيق يكفل :

١ ــ تفتيت هذه الثروة وانتقالها الى أيد متعددة بدلا من احتواء يد واحدة لهـا ٠

٢ ــ أنه يجرى توزيعه تبعا للحاجة ٠٠ فاذ كانت حاجة الأولاد أشد من حاجة الآباء باعتبار أولئك مقبلين وهؤلاء مدبرون ٠٠ كان نصيب الأولاد أكبر ٠٠ واذ كانت حاجة الذكر أشد من حاجة الأنثى اذ يقوم هو على عائلة بينما تكون الأنثى من بين عائلة يقام عليها ــ كان كذلك نصيب الذكر أكبر ٠

٣ ــ فوق أن النظرة الاقتصادية السليمة ٠٠ تجعل وضع الملكية فى يد الأبناء وهم أنشط ــ أولى من وضعها فى يد الآباء والأغلب أنهم طاعنون فى السن ــ كذلك وضعها فى يد الذكر أجدى للنشاط الاقتصادى من وضعها فى يد الأنثى ٠

وهكذا يمضى نظام الميراث حكيما ليؤدى وظيفة اقتصادية عظيمـة عجز البعض عن ادراكها فراح يبدل كلام الله ، وينتهك حدود الله ٠٠ ويسوى بين الذكر والأنثى فى الميراث ٠٠ ليحقق بذلك الظلم وهو يحسب أنه يحقق العدل ، فليس البشر مهما كان بأعدل من الله ٠٠ ولا هو أحنى على البشر من رب البشر ٠٠ الحنان المنان ، الرحمن الرحيم ، الكريم الودود ٠٠ !

ورابع هذه القيود ما يجعله من حق فى المال •

الزكاة بأنواعهـــا ••

ولو أخذت هذه الزكاة ممن تجب عليهم ، ووزعها ولى الأمر على من تجب لهم •

لحققت لونا من العدل الاجتماعى لم يبلغه نظام آخر •

ولحققت كذلك لونا من التقارب والتآخى •• بل ولاقتربت بالنظام من التوازن الذى يحبه الله فى كل شىء !

وقديما غطت حصيلة الزكاة ـــ مع حياة الضمائر ـــ غطت الفقراء والمساكين والعاملين عليها •• وأعتقت الرقاب ، وغطت كذلك المدينين الغـــارمين !

وفى المـــال حق سوى الزكاة •

قد يتمثل فيما يفرضه ولى الأمر المسلم من ضرائب •

وقد يتمثل فيما يراه علاجا للوضع الاقتصادى قد يبلغ فى بعض الظروف الاقتصادية الاستثنائية الا يملك أحد شيئا •• وفى الذين كانوا اذا سافروا أرملوا •• وفى امتداح الرسول صلى الله عليه وسلم لهم مثل عظيم !

وخامس هذه القيود •• منع الضرر :

فملكيتك حق ••

وللآخرين حق ••

وحتى لا يطغى حق على حق •• وجب أن يمتنع المسلم عن الضرر أو الضرار •• حتى يقف عند حدود حقه فلا يعتدى على حق الآخرين •

وبهذا يمتنع تجاوز استعمال الحق •

لكن داخل استعمال الحق نفسه يمتنع لون من الاضرار كذلك هو ما اصطلح على تسميته باساءة استعمال الحق ••

ويوم اكتشفت هذه النظرية فى مطلع القرن العشرين التفت العالم

كله الى مكتشفها •• ونسى الناس ـ فى غيبة الدعوة وغفلة الدعاة ـ أن الاسلام صاحبها الأول •

فقد نص رسول الاسلام على قاعدة : « لا ضرر ولا ضرار » وهو أساسها القانونى وطبق الاسلام صورا عديدة لمنع اساءة استعمال الحق فى مقدمتها : حق الشفعة الذى يؤكد هذا القول تأكيدا عمليا •

وبهذه القيود •• تتحقق للملكية وظيفتها الجماعية الى جـانب وظيفتها الفردية فكأن الملكية عملة ذات وجهين أحدهما فردى والثـانى جمـاعى •

وهذا غير ما تتابع[1] فيه بعض الكتاب ـ جريا وراء التعبيرات الحديثة من أن الملكية الفردية فى الاسلام ذات وظيفة اجتماعية •• ان لها الوظيفتين الفردية والجماعية ليتحقق بذلك التوازن لهـذا اللون من النشاط •

٢ ـ حرية اقتصادية متوازنة :

تحدث الاقتصاديون عن الحرية الاقتصادية •

فزعم أبناء الغرب أنها تتحقق فى النظام الفردى •

وأن هذا النظام أجدى لتحقيق وفرة الانتاج وجودته ، وأن القيود التى تفرض على الحرية الاقتصادية •• لا يجنى أصحابها الا قلة الانتاج ورداءته وهرب رأس المال وبحثه عن أوطان أخرى غير وطنه ، ومن ثم يتأثر الاقتصاد القومى تأثرا بالغا بالاجراءات التى ترد قيدا على الحرية الاقتصـادية •

وزعم أبناء ماركس •• أن الحرية الاقتصادية فى الغرب أورثت أزمات البطالة •• والدورات الاقتصادية والاحتكار •• وغـيرها من المسـاوىء •

ومن ثم فلا سبيل الا بالقيد الثقيل الذى فرضوه •• وهو أن تكون الحرية للجماعة لا للفرد وللفرد « قدر حاجته ، ومنه قدر قدرته » •

والحق أن الغرب أخطأ اذ أطلق الحرية •

والشرق أخطأ اذ جعل القيد أصلا •

وفى الاسلام تتوازن الحرية الاقتصادية بين الفرد والجمـاعة

---

(١) أى تسـاقط •

بما يحول دون طغيان طرف على طرف •• وبما يحقق للنظام الاقتصادى أمثل ما يتمناه ، مع نبذ مساوىء كل طرف غالى فى الحرية أو غالى فى القيــود !

٣ ــ نظام مصرفى متوازن :

فى الغرب شاع النظام المصرفى القائم على سعر الفــائدة •• وهو تعبير آخر عن الربا وأدرك الناس متأخرين •• أن اليهــود كانوا وراء هذا النظام •• وأن بيوت المــال قد تجمعت مقاليدها فى أيديهم •• لمــا صارت النقود تلد النقود بغير جهد وبغير عمل !

وأدرك علماء الغرب ما فى الربا من خطر •

وراح البعض يحصى أثر الربا •• وغيره من ألوان الاحتكار على الجريمة فى أمريكا حتى قالوا أن أربعة ملايين ونصف مليون جريمــة خطيرة تقع كل عام •

ــ جريمة قتل كل ٢٩ دقيقة •

ــ جريمة اغتصاب (زنى بالاكراه) كل ١٧ دقيقة •

ــ جريمة سرقة باكراه كل دقيقتين •

ــ جريمة سرقة سيارة كل ٤١ ثانية •

ــ جريمة سرقة منزل كل ١٧ ثانية •

وهكذا ••

وصدق الله سبحانه « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كمــا يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا » •

« فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله » •

« ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » •

« يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم » •

الى أن حمل لنا الوعيد رعيبا بعدها بآية :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » •

« فان لم تفعلوا •• فأذنوا بحرب من الله ورسوله » •

« وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون[1] » •

ومع هذه الصراحة •• راح البعض يتأول قول الله •• لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة[2] •

بما يخرج عن مراد الآية الكريمة •• ويفرق بين ربا الاستهلاك وربا الانتاج •

والبعض الآخر راح يحل الربا للدولة •• ويحرمه على الأفراد !!

بحجة احتياج الدولة •• للخروج من أزمتها •• !

بينما قادتها يرفلون فى ترف داعر ، ونعيم حرام ••

واشترى هذا الفريق من العلماء رضى النـاس بغضب الله •• واستحق ومن وافقوه أو حرضوه أو سكتوا عنه حرب الله ورسوله !

وبدلا من أن يأمر بتحريم الحرام من ذلك الترف الداعر •

راح يأمر بتحليل الحرام من الربا علاجا لأوضاع أوجدوها هم ولم يوجدها أحد غيرهم !!

ولقد كانت •• توصيات مجمع البحوث الاسلامية صريحة[3] :

١ ــ الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم ، لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى ولا ما يسمى بالقرض الانتاجى ــ لأن نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعة فى تحريم النوعين •

٢ ــ كثير الربا وقليله محرم لا تبيحـه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرم كذلك ، ولا يرتفع اثمه الا اذا دعت اليـه الضرورة ، وكل امرىء متروك لدينه فى تقدير ضرورته •

٣ ــ أعمال المصارف من الحسابات الجارية وصرف الشـيكات

---

(١) البقرة ٢٧٥ ــ ٢٧٩ •
(٢) آل عمران ١٣٠ •
(٣) المؤتمر الثانى المنعقد فى القاهرة عام ١٩٦٥ •

وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التى يقوم عليها العمل بين التجار والمصارف فى الداخل •• كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة ، وما يؤخذ فى نظير هذه الأعمال ليس من الربا •

٤ — الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة ، وسائر أنواع الاقراض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية وهى محرمة •

٥ — أما المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية فقد أجل النظر فيها الى أن يتم بحثها •

٦ — ولما كان للنظام المصرف أثر واضح فى النشاط الاقتصادى المعاصر ،ولما كان الاسلام حريصا على الاحتفاظ بالنافع من كل مستحدث مع اتقاء أوزاره وآثامه فان مجمع البحوث الاسلامية بصدد درس بديل اسلامى للنظام المصرفى الحالى ويدعو علماء المسلمين ورجال المال والاقتصاد الى أن يتقدموا بمقترحاتهم فى هذا الصدد[١] •

وفى مؤتمر الفقه الاسلامى المنعقد بالرياض ذى القعدة سنة ١٣٩٦[٢] أصدر فى صدد الفائدة ما يلى :

— العمل على الغاء المعاملات الربوية ومنها الفوائد المحددة •• لأنها ربا صريح وهى ضارة بالنشاط الاقتصادى حيث لا يتم التوازن الاقتصادى الا بالغائها ••

— التوسع فى انشاء مؤسسات مصرفية غير ربوية ودعم القائم منها ، والعمل على تشجيع بقية المؤسسات المصرفية العاملة فى البلاد الاسلامية على تطوير نظمها بما يتوافق مع أحكام الشريعة الاسلامية •

النظام السياسى الاسلامى

لا ينتظرن أحد أن نقدم له منهجا مفصلا لنظام سياسى اسلامى•• فذاك لا يمكن قبل أن تقوم دولة الاسلام ، ولا ينتظرن أحد أن نقدم صورا من التاريخ الاسلامى •• فذاك موضع دراسة أخرى •

انما نقدم بمشيئةالله تخطيطا لنظام سياسىاسلامى يحوى خطوطه الرئيسية التى لا يصح ان تخلفت كلها أو بعضها أن يقال عن نظام ما أنه نظام اسلامى ••

---

(١) ص ٤٠١ ، ٤٠٢ من كتاب المؤتمر الثانى للبحوث الاسلامية .
(٢) أكتوبر ١٩٧٦ .

ونحن فى هذا باذن الله ـــ ـة نقدم سيئا بدرن دليل •

وفى اعتقادنا •• أنه يلزم لنظام سياسى اسلامى ثلاثة خطوط :

أولها : شرعية سلامية تظله •

ثانيها : أمة تحمله •

ثالثها : سلطة تحميه •

ونتناول كلا بكلمة :

أولا : الشرعية الاسلامية

قد يظن أن هذا اللفظ مستعار من أنظمة أجنبية •• لكن المتأمل يجد أنه فى الأصل لفظ اسلامى من ناحيـة اشـتقاقه •• ثم من ناحية دلالتـه ••

فنحن أسبق من غيرنا الى الشرعية ، وأرسخ قدما والحمد لله ••

فالشرعية اشتقاق من فعل شرع •

وبين الشرعية و الشريعة جناس كامل من ناحية اللفظ •

وكذلك من ناحية المعنى •

ففى فقه الاسلام لا شرعية بغير شريعة •

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهـواء الذين لا يعلمون »[1] •

« أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله »[2]

وحتى تظل الشرعية الاسلامية نظاما ما لابد من ثلاثة شروط :

اولها : أن يكون لله الشرع ابتداء :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك

---

(١) الجاثية ١٨ •

(٢) الشورى ٢١

وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »[1] .

وألا يشاركه هذا السلطان أحد من البشر والا كان الشرك والكفر .

« أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله »[2] .

ورد الشرع الى الله ابتداء لا يعنى الجمود عن الاجتهاد .. فيما سكت عنه الشرع رحمة بنا غير نسيان ، أو فيما جاء ظنى الدلالة ، وذلك أمر الله الينا « ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم[3] » .

والاجتهاد وان لم يكن شرعا ابتداء الا أنه شرع ابتناء لا ابتداء أى استمدادا من شرع الله واستنباطا منه ..

ومن ثم ففى ظل دائرة الاجتهاد نحن كذلك فى ظلال الشرعية الاسلامية .

الشرط الثانى : أن تكون شريعة الله هى العليا :

وشريعة الله لا تكون عليا الا حين لا تكون معها شريعة أخرى ولا تكون فوقها شريعة أخرى وليست الشريعة كما أشرنا من قبل — قاصرة على مجال الأحكام وانما تمتد الى كل المجالات وتشمل جميع الأنشطة .

ولقد حرص الكتاب على التنويه بجعل شريعة الله هى العليا فى أكثر من موضع فقوله تعالى « وكلمة الله هى العليا »[4] تعنى أن تكون شريعة الله هى العليا .. لأن لفظ كلمة اسم جامع لكلمات الله وبكلماته نزلت شريعته .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله »[5] تعنى نفس الشيىء .

---

(١) الشورى ١٣ .
(٢) الشورى ٢١ .
(٣) النساء ٨٣ .
(٤) التوبة ٤٠ .
(٥) رواه الستة

وقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم » •

« يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صـــوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمـــالكم وأنتم لا تشعرون »[١] •

الآية الأولى تعنى لا تقدموا بين يدى الله ورسوله •• أى لا يكن لكم رأى ولا شرع ولا نظام فوق شرع الله ورسوله •• وهو ما عنيناه بأن تكون شريعة الله هى العليا •

أما الثانية فهى تحرم رفع الصوت فوق صوت النبى •

وليس من المعقول أن يحرم رفع الصوت ماديا فوق صوت النبى ويجوز رفعه معنويا بجعل شرع أو رأى فوق شرع النبى صلى الله عليه وســـلم •• بل يمكن أن نقول أن صـــوت النبى هو الشرع •• « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى[٢] » •

ولقد يكون هذا الشرط غريبا على من قبلوا تطبيق شريعة الله •

لكن يبدو لازما بالنسبة لقوم نصوا فى بعض دساتيرهم على أن الشريعة الاسلامية مصدر رئيسى فأجازوا بذلك أن تكون معها شرائع أخرى•• أو آخرون جعلوا الشريعةالاسلاميةمصدرا ثالثا بعد التشريع الوضعى والعرف فجعلوا فوق شريعة الله شرائع أخـــرى •• كذلك بالنسبة لمن يطبقون •• فقد يجعلون مع شريعة الله شرائع أخرى فى بعض المجالات التى يظنون أن الشريعة سكتت عنها وفى الحقيقة أنها لم تسكت ، مثل النظم المصرفية وكثير من النظم الاقتصادية والاجتماعية بل والسياسية !

من هنـــا كان لابد من التنويه بهذا الشرط لنقول أنه اذا لم تكن شريعة الله هى العليـــا لا شريعة معها ولا شريعة فوقها فانه لا شرعية للنظام الذى يزعم لنفسه أنه اسلامى •

---

(١) الحجرات ١ ، ٢ •
(٢) النجم ٣ ، ٤ •

الشرط الثالث ــ أن تطبق شريعة الله شاملة غير مجزأة :

وشريعة الله شاملة العقيدة والأخلاق ، وشاملة الشعائر والمعاملات وهى بهذا الشمول لا تقبل التجزئة :

فطــرة :

لأنها بناء متكامل يشد بعضه بعضا ، وبتر بعض الشريعة كهدم بعض البناء ان لم يؤد الى هدمه كله •• فعلى الأقل يعجزه عن أداء وظيفته كاملة •

أو هى شــفاء متكامل ، وترك بعض الدواء يؤدى الى عدم الشفاء ان لم يؤد الى تفاقم المرض •

وهى لا تقبل التجزئة • شرعا لأن الله سبحانه وتعالى جعل الاسلام هو هذه الشريعة المتكاملة وبتر جزء •• أو استبدال غيره به •• لا نستطيع معه أن نقول انه هو الاسلام الذى رضيه لنـــا الله !

فضلا عن أن الله سبحانه حذرنا هذه الفتنة •

فقال : « واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك[1] »•

وعقب على هذه التجزئة بقوله « أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون[2] » •

فالذى يأخذ كل نظامه من عند غير الله •• كالذى يأخذ بعض نظامه من عند غير الله قد رضى حكم الجاهلية وأعرض عن حكم الله •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى حكمه[3] » فجعل تعطيل حد واحد من حدود الله مضادة لله فى حكمه ، ومحادة له فى أمره •• فكيف بمن عطل أكثر من حد ، ومنع أكثر من حكم ؟

وهكذا كانت تجزئة شريعة الله :

فتنــة •

---

(١) المــائدة ٤٩ .
(٢) المــائدة ٥٠ .

وجاهليـــة •

ومحادة لله ورسوله •

ومن ثم كانت مرفوضة غير مقبولة •

وهكذا تكتمل للشرعية شروطها •

اذا كان لله الشرع ابتداء •

اذا كانت شريعة الله هى العليـــا •

اذا طبقت شاملة غير مجزأة

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة فأرسل الى أبى حازم •• فكان مما قاله سليمان :

ـ يا أبا حازم : مالنا نكره الموت ؟

ـ لانكم خربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب ••

ـ فقال : يا أبا حازم : كيف القدوم على الله ؟

ـ قال يا أمير المؤمنين : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيىء ، فالآبق يقدم على مولاه •

ـ فبكى سليمان وقال : ليت شعرى ، ما لى عند الله ؟

ـ قال أبو حازم أعرض نفسك على كتاب الله ، تعالى حيث قال : (ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) •

ـ فقال سليمان : فأين رحمة الله ؟

قال : قريب من المحسنين ••

ـ ثم سأله بعد ذلك ؟ ما تقول فيما نحن فيه ؟

ـ قال أو تعفينى ؟ ثم قال : ان آباءك قهـروا الناس بالسيف ، وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم [1] •

---

(١) تفصيل ذلك فى تفسير القرطبى •

وقيام الشرعية الاسلامية على هذا النحو ، أو تطبيق الشريعة الاسلامية بهذه الشروط يستتبع ويستلزم للنظام الاسلامى .. أن توجد أمة تحمله وأن توجد سلطة تحميه ولهذه وتلك من السمات والشروط ما يحتاج لشىء من التفصيل .

ثانيـا ـ أمة تحمل الحق :

« وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون[1] » .

وهذه الأمة التى جعل الله لهـا الخيرية على سائر الأمم جعلها بحقها وشروطها وهى ان قامت فيها هذه الشروط كتب الله لهـا الخلود .

ولقد بقيت الأمة الاسلامية رغم المحن والازمات ، ورغم تقلبات الحكم والحاكم . بقيت بحمد الله حافظة لكتاب الله محفوظة بعناية الله حتى لقد صح ما قاله أحد الأئمة من أن العصمة فى الاسلام للأمة لا للامام ، وصح ما نقوله من انالأمة الاسلامية كانت بعد الكتاب العزيز من أكبر آيات الله العزيز الحميد ..

فلو أن أمة أخرى تعرضت لمـا تعرضت له الأمة الاسلامية من كيد وبطش وعسف لمـا كان لهـا اليوم وجود .

وان الأمة التى أخرجت أبا بكر وعمر وعثمان وعليـا وعمر بن عبد العزيز من الحكام ، وأخرجت من العلماء العاملين : أبا حنيفة ومالكا والشافعى وأحمد بن حنبل ومن بعدهم الذين « صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا[2] » .

وحج الرشيد عاما فلقيه عبد الله العمرى فى الطواف .. فقـال يا هارون قال لبيك يا عم ، قال كم ترى هنا من الخلق لا يحصيهم الا الله .. قال اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه ، وأنت واحد تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكى هارون وجلس فجعلوا يعطونه منديلا منديلا للدموع ثم قال له ان الرجل ليسرع فى مال نفسه فيستحق الحجر عليه .. فكيف بمن أسرع فى مال المسلمين[3] .

---

(١) الاعراف ١٨١ .
(٢) الاحزاب ٢٣ .
(٣) سراج الملوك للعلامة ابى بكر محمد ابن الوليد طبعة سنة ١٣١١ وهامش مقدمة ابن خلدون ص ٦٦ .

والأمة الاسلامية وان كانت اليوم تبدو مفككة ضعيفة •• فانها تحمل عناصر الابتعاث ••

وهى فى ابتعاثها لا تحتاج الى وقت طويل ! وقد أدرك ذلك بعض المستشرقين فقاله وحذر منه •

ونحن بحاجة فى هذه العجالة أن نشير الى سمات هذه الأمة وتكملها أخرى أشرنا اليها فى مكان آخر •

فهى أولا آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر :

ولا يمكن أن تأمر بمعروف ولا تأتيه ، أو أن تنهى عن منكر وتأتيه ، ففاقد الشىء لا يعطيه فأمرها ونهيها يعنى أنها تقيم هذا المعروف وتلفظ ذلك المنكر •

وكل ما أمر به الله ورسوله معروف بل هو أعرف المعروف •

وكل ما نهى عنه الله ورسوله منكر بل هو أنكر المنكر •

وهى ثانيـــا تؤمن بالله :

وايمانها بالله يعنى أنها تقوم على التوحيد ••

ولا تقارب بين توحيد وتثليث

ولا تقارب بين توحيد وشرك ••

ولا تقارب بين توحيد وغيره من العقائد الفاسدة ••

وهى ثالثا تقوم مع التوحيد على الوحدة :

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون[1] » •

وهذه الجنسيات ، وهذه الحدود دخيلة عليها •• ليست من أمر الله فى شىء والأمة الواحدة •• هى التى انتصرت من قبل ••

ولقد رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم عصبية الجاهلية وقال دعوها فانها منتنة ، ورفض المناداة بالعصبية بين الأنصار والمهاجرين ••

---

(١) الانبياء ٩٢ •

حين نادى أحدهم .. يا للانصار ونادى آخر ، يا للمهاجرين فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟

ونزل الكتاب العزيز يؤكد قول الرسول الكريم « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله[1] » .

وهكذا كانت الفرقة والجنسيات والحدود .. جاهلية أو كفرا ..

وكانت الوحدة أخت الايمان : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا[2] » .

وامتدح الرباط الذى وحد الأمة فى كتابه ، فقال عن المهاجرين « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون »[3] .

وقال عن الأنصار « والذين تبوءو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »[4] .

وهكذا قامت دولة الاسلام الأولى تضم كل من قال لا اله الا الله بغير تفرقة لوطن أو جنس وبغير اعتراف بحدود أو جنسية !

وهكذا ينبغى أن نقوم مرة أخرى !

ثالثا : سلطة تحمى الحق

قلنا لابد من أمة تحمل الحق وسلطة تحمى الحق . هذه السلطة لابد لها من أمرين تقوم بهما :

١ ــ **اقامتها شريعة الله**

وهذا أساس شرعيتها الأولى .

---

(١) آل عمران ١٠٠ و ١٠١ .
(٢) آل عمران ١٠٢ ، ١٠٣
(٣) الحشر ٨ .
(٤) الحشر ٩ .

وبغيره تغدو سلطة غير شرعية يجب جهادها • واقامتها شريعة الله لابد أن يكون على النحو الذى أشرنا اليه •

٢ ـــ قيامها على رضى المسلمين بها :

والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

(أ) أن الرضى أساس المعاملات فى الاسلام •• « الا أن تكون تجارة عن تراض منكم[1] » • والامامة أو الخلافة عقد بين الخليفة والرعية يلزم له الرضى •

(ب) ان الرضى لازم لصحة الامامة الصغرى •• امامة الصلاة فوجب الرضى من باب أولى لصحة الامامة الكبرى امامة المسلمين •

(جـ) لقول الله سبحانه « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »[2] فدلت الآية فى الطاعة على الشرط الأول وهو اقامة شريعة الله ، ودلت بلفظ منكم على الشرط الثانى وهو الرضى فانهم لا يكونون منا بغير رضى منا •

(د) لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرص على غرس هذا الأصل فى المجال السياسى بما فعله ببيعة العقبة الأولى والثانية مع أنه رسول الله وما كان بحاجة الى رضى الناس •• لكنه حرص حين مهد لاقامة الدولة أن تكون امامته ورئاسته لهذه الدولة برضى من المسلمين •

(هـ) ثم ما فعله حين ترك تعيين خليفة من بعده ليتم اختياره برضى المسلمين الأمر الذى حرص عليه الخلفاء الراشدون من بعده على تفصيل ليس هنا محله •

(و) لقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فانه لا بيعة له ولا للذى بايعه تغرة أن يقتلا » •

(ز) وهذا ما طبقه عمر بن عبد العزيز حفيد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما حين ولى أمر المسلمين فقال : « أيها الناس لقد ابتليت بهذا

---

(١) النساء ٢٩ •
(٢) النساء ٥٩ •

الأمر من غير رضا منى ولا مشورة من المسلمين وانى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعة فاختاروا لأنفسكم » .

فأعاد بذلك تصحيح الوضع الى ما كان عليه فى عهد الراشدين .

فاذا قامت السلطة على شريعة الله ثم على رضى المسلمين .

فلا يهم الشكل بعد ذلك :

لا يهم أن نسميها خلافة .

أو أن نسميها امامة .

أو نسميها امارة .

أو غير ذلك من الأسماء ما دام قد توافر لها هذان الركنان الأساسيان فان انهار أحدهما انهارت الشرعية التى تستند اليها السلطة وفى الأمر تفصيل ليس محله هذا المقام[1] .

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك نظرية الخروج — المشروعية الاسلامية العليا : للدكتور على جريشة .

وبعـــد

● فتلك شريعة الله •• البذرة الطيبة •• التى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها وهى كما أشرنا فى أكثر من موضع لا تقبل التجزئة •

● وواجب الدولة بالنسبة لكل جوانبها واجب مزدوج •• فهـو ايجابى من ناحية •• يرعى ويصون ويوجه ويدافع بالكلمة ، والصورة ، والسيف !

وهو سلبى من ناحية أخرى •• يمنع ويحول •• دون أن يخدش عقيدة ، أو خلقا ، أو شعائر أو نسكا بالكلمة المنشورة أو المتطورة • وبالتربية فى المدارس والبيوت وبالحدود ، والقصاص ، والتعزير !

وذلك هو الفهم السليم •• لحراسة الدين وسياسة الدنيا به •

وهو تعريف الخلافة ، وتعريف كل حكم شرعى ، أو يريد لنفسـه الشرعيـة !

● ومن ثم :

فعلمانية القانون •• عدوان على الشرعية الاسلامية •

وعلمانية التعليم •• عدوان على الشرعية الاسلامية •

وعلمانية الاعلام •• عدوان على الشرعية الاسلامية •

وعلمانية المجتمع •• بعلمانية تقاليده ، وخلقه ، وعاداته •• عدوان على الشرعية الاسلامية •

وعلمانية الاقتصاد •• (بقيامه على الربا أو افتقاره لخصـائصه الرئيسية) عدوان كذلك على الشرعية الاسلامية •

وعلمانية الحكم (بقيامه على غير الشرعيـة ، أو على غير رضى الناس) عدوان صارخ على الشرعية الاسلامية •

تمـاما ••

كما لا يقبل من الفرد أن يصلى •• ويترك الزكاة •

وكما لا يقبل منه أن يصوم •• ويقول الزور أو يعمل به •

وكما لا يقبل منه أن يحج •• ويرفث أو يفسق •

وكما لا يقبل منه أن يفعل ذلك كله •• ثم يترك الجهاد ذروة سنام الاسلام أو يجاهد •• ثم يستبيح لنفسه ما نهى عنه الاسلام •

من كذب ، أو خلف ، أو خديعة ، أو خيانة •• !

انها لكبيرة ممن وضع نفسه هذا الموضع ••

كذلك هى كبيرة ممن رفعوا شعارات الايمان أو الاسلام ثم أعرضوا عن حكم الله •• فى الاقتصاد •

أو فى السياسة •

أو فى الاجتماع •

أو فى العقيدة ••

أو فى الأخلاق •• !

● ويبقى — كيف لنا — أن نعود الى تحكيم الشريعة كلها •• كما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبعهم باحسان ؟

والرد ••

رسول الله بدأ من القاعدة •• لكنه لم يغفل القمة ••

فكان تركيزه على الضعفاء والمساكين ، وكانت رسله وكتبه الى الملوك • ونحن ••

كثيرا ما بدأنا من القاعدة •• وركزنا عليها •• وتركنا القمة ليستعملها غيرنا فى حربنا وقامت أمامنا الصعاب فى القاعدة •

فنحن نبنى •• وغيرنا يهدم •• اذاعة ، تليفزيون ، سينما ، صحافة ، رأى عام وحرب القمم لنا — حرب مجردة من المبادىء والقيم الانسانية التى كان يعرفها العرب فى جاهليتهم ، والتى دفعتهم أن يفكوا الحصار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بعد ما ظلوا فيه ثلاث سنين ، ودفعت أمثال أبى سفيان أن يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عنه وأمثال عتبة أن يشهد للقرآن شهادة حق ••

فهل لنا •• أن نصبر على القاعدة •• حتى تخلص لنا قاعدة صلبة الايمان قوية اليقين •• ؟

وهل لنا •• أن نبحث عن قمة عاقلة •• تسمح لنا بالبناء •• دون أن تهدم •• ودون أن تحارب من يبنى •• ولها •• ألا تنازع الملك والسلطة !

ان قاعدة عريضة مؤمنة •• وقمة عاقلة متبصرة •• هى أمل الاسلام القريب والله المستعان ••

* * *

المراجـــع

اقتضـــاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الاسلام ابن تيمية .

القرب فى محبة العرب للحافظ العراقى .

الفكر الاسلامى المعاصر : دراسة وتقويم لغازى التوبة .

الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى

تهافت الفكر المادى بين النظرية والتطبيق للدكتور محمد البهى

الايمان الحق : شهادة وعقيدة وعبادة للدكتور المستشار علىمحمد جريشة

فى الزنزانة للدكتور المستشار على محمد جريشة

عندما يحكم الطغاة للدكتور المستشار على محمد جريشة

الاسلام يتحدى ـ مدخل علمى للايمان لوحيد الدين خان .

حاضر العالم الاســلامى تأليف لوثروب ستودارد وترجمة نويهض وتعليقات شكيب ارسلان .

حضارة العرب لغوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر .

الغارة على العالم الاسلامى ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى

الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين .

الاسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين .

حصوننا مهددة من داخلها ـ فى أوكار الهدامين للدكتور محمد محمد حسين

الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية لأبى الحسن الندوى .

الاسلام فى وجه التغريب : مخططات الاستشراق والتبشير للأستاذ أنور الجنـــدى .

العالم الاسلامى : الاستعمار السياسى والثقافى والاجتماعى للأستاذ أنور الجنـــدى .

بين الرابطة الاسلامية والفكرة القومية لأبى الأعلى المودودى .

مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ليوسف كمال محمد

لم هذا الرعب كله من الاسلام للاستاذ جودت سعيد .

التبشير والاستشراق : أحقاد وحملات للمستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى .

المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والاسلامى لابراهيم خليل أحمد

أفيون الشعوب للعقـــاد

حقيقة الشيوعية ـ سلسلة اخترنا لك ـ الشيوعية والانسانية لعباس محمود العقـاد .
الاسلام والشيوعية للدكتور عبد الحليم محمود .
الخطر اليهودى ـ بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة محمد خليفة التونسي .
الصهيونية بين الدين والسياسة لعبد السميع الهراوى .
العالم العربى اليوم لمورو بيرجر
أحجار على رقعة الشطرنج لوليم غاى كار : ترجمة سعيد الجزائرى .
لعبة الأمم لمايلز كوبلاند تعريب مراد سرخيس .
وجهة الاسلام لهاملتون جب وآخرين .
تقرير لورد كرومر سـنة ١٩٠٦
أعمدة الحكمة السـبعة للورنس .
مقومات الاقتصاد الاسلامى للاستاذ عبد السميع المصرى .
الاسلام فى وجه الزحف الأحمر لمحمد الغزالى .
ماركسية القرن العشرين ترجمة لكتاب جارودى (التحويل الكبير فى الاشتراكية) لنزيه الحكيم .
الخطر الصهيونى على العالم الاسلامى لماجد كيلانى .
تجربة عربى فى الحزب الشيوعى لقدرى قلعجى .
حوار مع الشيوعيين فى اقبية السجون لعبد الحليم خفاجى .
مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ليوسف كمال محمد
نحن والشيوعية فى الآونة الأخيرة للدكتور سعدون حمادى .
مؤامرة اليهود على المسيحية لأميل الغورى .
الكنز المرصـود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج ترجمة الدكتور يوسف نصر الله
خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية لعبد الله التـل .
اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية لايليا أبو الروس .
الماسونية فى العراء للدكتور محمدعلى الزعبى .
الجمعية الماسونية : حقائقها وخفاياها للدكتور أحمد غلوش .

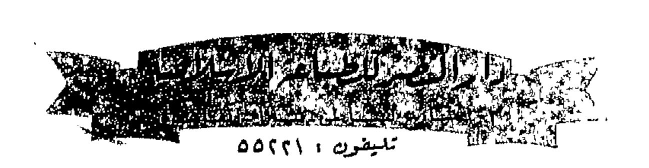
الفهـــرس

صفحة

الموضـــوع	صفحة

الموضــــوع	صفحة

رقم الإيداع ٤٥٦٧ / ١٩٧٨



دار الاعتصام

للطبع والنشر والتوزيع

القاهرة ٨ شارع حسين حجازي

تليفون ٣١٧٤٨

